المحـــتويات

تقديم

يطيب لى أن أقدم للقراء والباحثين هذا العدد الثالث من هذه السلسلة التى تنشر بحوثا متخصصة فى علوم اللغة ، تركز على اللغة العزبية ، وتنشر الدراسات الجادة فى بنيتها وقضاياها ، وتهتم بالتراث اللغوى العربى ، وترحب بالاتجاهات المعاصرة .

هدف هذه السلسلة أن تشارك فى النهوض بالبحث العلمى فى اللغة العربية . تضم دراسات فى الأصوات والصرف والنحو والدلالة والمعجم ، وترحب ببحوث فى علم اللغة المقارن وفى علم اللغة التقابلى وفى القضايا اللغوية المعاصرة . تتلقى من الباحثين أعمالا جادة بوجهات نظر مبتكرة وتوثين علمى دقيق . ولا تقبل الكتابات التى لا تدخل فى هذا النسق .

البحوث التى تنشر فى هذه السلسلة سيكون لها حيز مناسب ، حتى يتمكن الباحث من التوثيق التكامل وتقديم الفكرة مدعمة ومدققا فيها . ولهذا نفضل أن يكون البحث الواحد بين خمسين صفحة ومائة صفحة ، وهو نمط جديد ثبت أنه يصل ببحوث علمية إلى مستوى طيب .

يخضع النشر فى هذه السلسلة لعملية تحكيم علمى دقيق ، اعتمادا على رأى كبار المتخصصين فى علوم اللغة فى الجامعات العربية والأجنبية . ونرجو أن يجد التحكيم العلمى مزيدا من القبول لدى الباحثين ، يتم التحكيم لصالح المستوى العلمى . وتجد ملاحظات المحكمين صدى طيبا عند أكثر الباحثين ، ويظل كل بحث منسوبا إلى صاحبه معبرا عن رأيه ودالا على جهده ، وهو وحده المسئول عن الدفاع عنه .

هذا النمط الجديد من السلاسل العلمية المحكمة يعد بداية مهمة فى مجال علوم اللغة، يدين بالفكرة - من حيث الشكل - إلى زملاء أعزاء سبقوا فأصدروا من قبل دراسات عربية وإسلامية، وزملاء بادروا إلى نشر كتب دورية تضم بحوثا علمية محكمة فى مجالات المكتبات والمعلومات . وهو نمط يجعل للناشرين الجادين مكانا فى النشر العلمى المتخصص على النحو المألوف فى أوربا وأمريكا ، ويفتح للباحثين آفاقا جديدة. وكل ما ينفق فى هذه السلسلة من جهد أو مال هدفه خدمة البحث العلمى بشكل يصل بنا إلى العمل المعمق الجاد الذى يقدم الجديد إلى المعرفة .

وتخطط السلسلة لإصدار أربعة أعداد فى كل سنة وقد اكتمل التخطيط للأعداد الأربعة الأولى لعام ١٩٩٨ . وتعهد إلى أحد كبار الأساتذة فى علوم اللغة بالإشراف على عدد أو أكثر ، حرصا على تنوع الاتجاهات وتكامل الخبرات ، مع الالتزام بالموضوعية والتحكيم العلمى .

ومن واجبى أن أعبر باسم أسرة التحرير والباحثين اللغويين والناشر عن خالص الشكر والاعتزاز بالدعم المعنوى الكبير الذى تلقته هذه الدراسات ، ونخص بالشكر جامعات دول المغرب العربى إلى جانب جامعات دول الخليج. الدول العربية فى المشرق والمغرب تلتقى هنا فى مجال علوم اللغة. نشكر على وجه الخصوص جامعة أم القرى بمكة المكرمة والجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية بالجزائر ومكتبة الملك فهد الوطنية ومكتبة الملك عبد العزيز العامة بالمملكة العربية السعودية والمجمع الثقافى فى أبو ظبى بدولة الإمارات العربية المتحدة والبنك الإسلامى للتنمية.

والأمل كبير أن تكون هذه السلسلة الفصلية محققة لجانب من أمل المتخصصين فى علوم اللغة وأداة للتواصل العلمى وتبادل الرأى من أجل مزيد من البحوث الجادة فى اللغة العربية.

أ. د. محمود فهمى حجازى

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث في علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة في حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية في حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير في حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب في حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى في الاستشهادات المرجعية الدقة في التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد في ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر في هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أي عمل مما ينشر في هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابي من الناشر.
- يخضع ترتيب المواد في النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل .

مفهوم المضارعة فى الفكر النحوى
عند سيبويه

بقلم الدكتورة
عزة عبد الفتاح عبد الحكيم

موضوع هذا البحث «مفهوم المضارعة فى الفكر النحوى عند سيبويه» مع التركيز على المفهوم والمصطلح ومعروف أن «المصطلحات جزء من لغات التخصص وهى جزء أساسىّ فى كلٍّ لغات التخصص المختلفة سواءٌ أكانت فى المجال العلمى أم فى المجال المهنى . إن لغات التخصص ليست مجرد مصطلحات ، فالمصطلحات وحدها لا تقيم لغة بل فيها أيضاً خصائص صرفية ونحوية محددة. لا شك أن السمة الجوهرية المميزة للعبارة المتخصصة تكمن فى مصطلحاتها»[1] . ولأن علم المصطلح يعد من أهم مجالات علم اللغة التطبيقى بمعناه الشامل فقد آثرت أن يكون بحثى فى مجال المفاهيم والمصطلحات ، وقد اخترت المضارعة فى كتاب سيبويه لأن أحداً لم يتطرق إلى هذا الموضوع من قبل كما أنه أول كتاب لغوى يستخدم لفظ «المضارعة» .

مادة البحث :

المصدر الذى تستقى منه الدراسة مادتها هو كتاب سيبويه أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، وقد اعتمدت على طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م

ط٢ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . وكنت إذا وجدت غموضاً فى بعض النصوص أرجع إلى كتاب سيبويه الطبعة الأولى المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣١٦ هـ للتأكد من صحة النص .

منهج البحث :

قسم البحث إلى نقاط هى : ظاهرة المضارعة ، ثم المضارعة فى النواحى الصوتية ، ثم المضارعة فى النواحى الصرفية ، ثم المضارعة فى النواحى التركيبية ، ثم أخيراً نتائج البحث . ولم أفرد جزءاً للحديث عن المضارعة فى النواحى الدلالية لأن سيبويه لم يستخدم هذا المصطلح فيما يخص الدلالة .

المعنى العام لكلمة مضارعة يدل على المشابهة ، وورد فى لسان العرب «والمضارع : المُشبِه . والمضارعة المشابهة . والمضارعة للشىء : أن يضارعه كانه مثلُهُ أو شبهُهُ . . . المضارعة المشابهة والمقاربة . وأثبتت بعض المعاجم دلالات اصطلاحية ولذلك ، قال الأزهرىّ : والنحويون يقولون الفعل المستقبل مضارعٌ لمشاكلته الأسماء فيما يلحقه من الإعراب . والمضارع من الأفعال ك ما أشبه الأسماء وهو الفعل الآتي والحاضر . والمضارع فى العروض: مفاعيل فاعِلاتن مفاعيل فاعلاتن . سمىٌ بذلك لأنه ضارع المجتث»[٢] . إن المعنى الذى يقصده ابن منظور هو : أن يضارع الشىءُ الشىءَ كانّه مثلُه ، أن يضارع الشىءُ الشىءَ كانّه شبهُهُ . وهو نفس المعنى الذى قصده سيبويه حين قال : فمن كلامهم أن يشبهوا الشىء بالشىء وإن كان ليس مثله فى جميع الأشياء[٣] . ونجد هذا المعنى فى مصطلح «شبه الجملة» الذى يطلق على الظرف والمضاف إليه وعلى الجار والمجرور كما فى قولنا : فى البيت أو بين الأشجار . فالجار والمجرور أشبها الجملة فى كونهما أكثر من كلمة ،

ولكنهما خالفاها من حيث عدم إفادتهما معنى ، وكذلك شبه الجملة «بين الأشجار» وهذا من باب المشابهة الناقصة .

ولكن مصطلح المضارعة يرد عند سيبويه فى تحليله لقضايا مختلفة ، صوتية وصرفية ودلالية .

والمضارعة التى يقصدها سيبويه فى كتابه هى ما يُعْرف بظاهرة المماثلة فى علم اللغة الحديث حيث يميل العرب إلى تجانس الحركات المتجاورة وهو اقتصادٌ عضوىّ فى النطق يلجأ إليه المتكلم دون تعمد وهى ظاهرة الميل إلى الانسجام بين الحركات المتجاورة . ويطلق سيبويه على تلك الظاهرة فى مواضع أخرى من كتابه اسم التقريب(٤) . وقد تناول مصطلح المضارعة فى أكثر من موضع وتحدث عما يحدث من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، وتناول كذلك ما يطلق عليه أقصى درجات التأثر بين المتجاورَين أى الإدغام .

ولكن مصطلح المضارعة لم يكن وحده ، فنجد المشابهة فى العمل النحوى يعبر عنها بكلمات أخرى ، مثل : لفظ «شبيه» ، فقد كان سيبويه يستخدمه فى موضع المضارعة كما فى باب مضارعة الاختصاص للنداء ، وفى باب مضارعة النكرة المعرفة .

ومع أن استخدامه لمصطلح المضارعة كان مقصوراً على أمثلة محدودة متناثرة ولمحات سريعة ، وأنه يطلق مصطلح المضارعة حين يضارع الشىء بالشىء سواء أكانت المضارعة تامةً أم ناقصة ، فهذا ما يحاول أن يكشف عنه هذا البحث .

اولاً : المضارعة فى النواحى الصوتية :

ورد مصطلح المضارعة فى النواحى الصوتية فى كتاب سيبويه فى عدة مواضع هى :

١ - مضارعة الصاد للزاى :

تحدث سيبويه[٥] عن ذلك فى الباب الذى عقده تحت عنوان «هذا باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى يضارع ذلك الحرف وليس من موضعه ، وفى ذلك يقول : فأما الذى يضارع به الحرف الذى من مُخْرَجه فالصاد الساكنة إذا كان بعدها الدال . وذلك نحو : مَصْدَر وأَصْدَر والتصدير لأنهما قد صارتا فى كلمة واحدة ، كما صارت مع التاء فى كلمة واحدة فى اُفْتَعل فلم تدغم الصاد فى التاء ولم تدغم الدال فيها ولم تبدل لأنها ليست بمنزلة اصطبر وهى من نفس الحرف . فلما كانتا من نفس الحرف أجرتيا مجرى المضاعف الذى هو من نفس الحرف من باب مددت ، فجعلوا الأول تابعاً للآخر ، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهى الزاى لأنها مجهورة غير مطبقة ، ولم يبدلوها زايا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق» .

وفى هذا النص تتضح ظاهرة المماثلة الصوتية كما يراها سيبويه فهو يرى أن إدغام الصاد فى الدال أو إبدال الدال حرفاً يناسب الصاد كالطاء فى نحو مصدر وأصدر[٦] والتصدير غير ممكن ، ويفسر ما حدث فى هذه الأمثلة بأنه مضارعة للصاد بالزاى أى تقريبها منها لأن الزاى مجهورة كالدال وبذلك يتحقق الانسجام بين المتجاورين وهذا النوع من المماثلة هو الذى أطلق عليه المحدثون من علماء الأصوات اللغوية التأثر الرجعى regressive وهو أن يتجاور صوتان لغويان ويتأثر الأول منهما بالثانى .

ونطق الصاد زايا كان مستحسناً عند الأقدمين فقد تكلموا عن طبقتين لنطق

الصاد يصفون إحداهما بالحسن ويصفون الأخرى بأنها ضعيفة ومرذولة . أما الصورة المستحسنة فهى ما يعبرون عنها بالصاد التى كالزاى . أما الصورة الضعيفة المرذولة فيصفونها بأنها الصاد التى كالسين .

وإذا كان القدماء قد ذهبوا إلى أن الصاد حرف أسنانى رخو مهموس مطبق وأنه النظير المفخم للسين كما أنه أحد أصوات الصفير ، فإن المحدثين لم يختلفوا عنهم كثيراً فقد ذهبوا إلى أن الصاد حرف لغوى احتكاكى مهموس مفخَّم كما أنه أحد أصوات الصفير التى تضم معه السين والزاى[٧] .

أما قول سيبويه «ولم يبدلوها زايا خالصة كراهية الاجحاف بها للإطباق» فهو يشير إلى أن الصاد أبدلت إلى تلك الطاء العامية التى نسمعها فى نطق الناس فى لهجات الحديث لكلمة «ضابط» حين يقولون ظابط .

وذكر سيبويه فى النص السابق أنه سمع بعض العرف الفصحاء يجعلون هذه الصاد زاياً خالصة اى لا تنطق ظاءً ويشبه ذلك بذهاب الإطباق فى الإدغام حين نطقوا قولهم (افحس سالما) افحسالما ، وهو يعلل لذلك بعدم وصولهم إلى الإدغام وليستعملوا ألسنتهم فى ضرب واحد وأنهم لم يبدلوا الدال صاداً لأنها ليست بزيادة كالتاء فى افتعل .

ويرى سيبويه أن الصاد إذا تحركت لم تبدل ويعلل لذلك بأن الحركة الفاصلة بين الحرفين لا تحقق المجاورة المباشرة ، ثم يقرر بعد ذلك أنهم ربما ضارعوا بها وهى بعيدة نحو مصادر والصراط لأن الطاء كالدال . والمضارعة هنا وإن بعدت الدال بمنزلة قولهم صويق ومصاليق فأبدلوا السين صاداً كما ابدلوها حين لم يكن بينهما شىء فى صُقْت ونحوه .

وتفسيره هذا يستقيم فى مجموعه مع البحث اللغوى الحديث حيث تحول الصوت المهموس إلى نظيره المجهور ، وهذا نوع من المماثلة الصوتية .

٢ - المضارعة بقلب السين صاداً:

يرى سيبويه ان من المضارعة قلب السين صاداً إذا كان بعدها حرف من حروف التفخيم كالقاف والخاء وحروف الإطباق نحو صَوِيق ومصاليق فأبْدلوا السين صاداً كما ابدلوها حين لم يكن بينهما شيء في صُقْت ونحوه وهذا يستقيم أيضاً مع البحث اللغوى الحديث الذى يرى أن إبدال السين صاداً لوقوع حرف من حروف التفخيم بعدها نوع من المماثلة الرجعية regressive Assimitation لان الصاد حرف مفخم مطبق يناسب حرف القاف فالصاد تشترك مع السين فى المخرج فى كونهما صوتين مهموسين عند سيبويه ، وتتميز الصاد عن السين بالتفخيم وإذا قلبت الصاد سيناً فقدت هذه الخاصية .

وقد ذهب علماء اللغة إلى أنه يجوز قلب السين صاداً إذا وقع بعدها عين أو غين أو خاء او قاف أو طاء ويشترط أن تكون السين اصلية لأن الأضعف يقلب إلى الأقوى[٨] .

ونقل السيوطى عن كتاب الفرق بين الأحرف الخمسة لأبى محمد البطليوس قوله : من هذا الباب ما ينقاس ومنه ما هو موقوف على السماع فأما ما ينقاس فهو كل سين وقعت بعدها عين أو غين أو خاء او قاف أو طاء جار قلبها صاداً مثل يساقون يصاقون وصقر وسقر وصخر وسخر وشرط ذلك أن تكون السين متقدمة علم هذه الحروف لا متأخرة بعدها وأن تكون هذه الحروف مقاربة لها لا متباعدة عنها وأن تكون السين هى الأصل لأن الأضعف يقلب إلى الأقوى .

٣ - مضارعة الشين والجيم للزاى:

تحدث[٩] سيبويه عن الشين التى تشبه الجيم والجيم التى تشبه الشين حين قال : وأما الحرف الذى ليس من موضعه فالشين لأنها استطالت حتى خالطت

أعلى الثنيتين ، وهى فى الهمس والرخاوة كالصاد والسين ، وإذا أجريت فيها الصوت وجدت ذلك بين طرف لسانك وإنفراج أعلى الثنيتين ، وذلك قولك : أشدَق ، فتضارَع بها الزاى» .

وفي الحقيقة فإن سيبويه فى النص السابق يتحدث عن صورة صوتية واحدة ولكنه لم يكن يعرف الصوت المركب ويتضح هذا فى كلام ابن جنى عن الشين التى تشبه الجيم حين قال : وأما الشين التى كالجيم فهى الشين التى يقل تفشيها واستطالتها وتتراجع قليلاً متصعدة نحو الجيم(١٠) .

وفى المثال الذى أورده سيبويه «أشدق» تماثلت الشين مع الدال التالية لها فى الجهر فصارت النظير المجهور للشين وفى هذه الحالة ستكون أمام صورة للجيم مشابهة لما نطلق عليه الجيم الشامية وهو صوت عن مقدم الحنك احتكاكى مجهور .

وكذلك الجيم جعلت بمنزلة الشين فى مثل قولنا الأجدر : أشْدر . يقول سيبويه وإنما حملهم على ذلك أنها من موضع حرف قد قرُب من الزاى .

فالجيم فى المثال السابق فقدت جهرها ثم ازدادت رخاوتها وبذلك ماثلت الشين فى المخرج والهمس والرخاوة ، والشين تماثلت مع الدال التالية لها فى الجهر فصارت النظير المجهور للشين وهى الجيم الشامية وهو نوع من المماثلة الرجعية لأن الصوت الأول تأثر بالثانى . ثم يقول سيبويه : وقد قربوها منها منها فى افتعلوا حين قالوا اجْدمعوا أى اجتمعوا واجْدرءوا يريد اجترءوا ، لما قربها منها فى الدال وكان حرفاً مجهوراً قربها منها فى افتعل لتُبْدل الدال مكان التاء ، وليكون العمل من وجه واحد ولا يجوز أن يجعلها زاياً خالصة ولا الشين لأنهما ليسا من مُخْرجها اجدرءوا حدث فيها نوع من المماثلة الصرفية لأن الصوت الثانى تأثر بالأول .

أما مضارعة الجيم والشين بالزاى فقد حدث نتيجة التطور الصوتى أن تحولت الجيم من صوت خالٍ من التعطيش إلى صوت معطش لأن الحركة الأمامية قد جذبتها إلى الأمام وأصبح مخرجها أقرب إلى وسط الحنك بعد أن كان أقصى الفم .

ويرجح[11] د. إبراهيم أنيس أن تكون الجيم الخالية من التعطيش هى الأصل وأنها قد بقيت على هذا الأصل السامى فى اللغات السامية الأخرى كالعبرية والسريانية ، أما فى العربية فيبدو أنها تطورت إلى التعطيش ، ثم زادت نسبة التعطيش مع الزمن حتى صارت على النحو المألوف لنا فى بلاد الشام وبلاد المغرب .

والكلمة العربية لا يتوالى فيها حرفان من مخرج واحد أو قريبان جداً فى المخرج والصفة ويقضى هذا أنه لو كانت الجيم معطشة لكان نظيرها المهموس هو الشين ولقربت جداً فى المخرج والصفة من الزاى . وهذا هو الذى قصده سيبويه فى النص السابق .

ولذلك نلاحظ أن القراء حرصوا على نطق القرآن الكريم نطقاً سليماً بعيداً عن الزلل ولشدة حرصهم على الأصوات الشديدة المجهورة التى تعرضت للهمس فى بعض اللهجات الكلامية سموها أصوات القلقلة وقلقلوها فى نطقهم ليأمنوا بهذا من همسها . فالقلقلة مبالغة فى الجهر بالصوت حتى لا تشوبه شائبة من همس كما شاع فى لهجات الكلام ، وحروف القلقلة هى القاف والطاء والباء والجيم والدال حين يقع حرف منها ساكناً فى كلمة من كلمات مثل اجتمعوا ، فالجيم المشكلة بالسكون تميل إلى قلبها شيناً إذا وليها حرف مهموس ، أما إذا قلقل حرف الجيم فإن صفته كحرف مجهور تظهر واضحة .

ثانياً: المضارعة فى النواحى الصرفية :

تحدث سيبويه فى مواضع كثيرة من كتابه عن المضارعة فى النواحى الصرفية ومن ذلك :

١ - مضارعة الأسماء المبنية لسوف وقد :

تحدث سيبويه[١٢] عن ذلك تحت باب «مضارعة الأسماء غير المتمكنة . بما ليس باسم ولا فعل ، ويعنى بالأسماء غير المتمكنة الأسماء المبنية التى تضارع ما ليس باسم ولا فعل يعنى سوف (مبنية على الفتح) وقد (مبنية على السكون).

فالأسماء المبنية مثل هؤلاء (مبنية على الكسر) وهذا (مبنية على الوقف) ، والذين (مبنية على الفتح) وهى بذلك تضارع سوف وقد المبنيتين أيضاً ؛ أى فى لزومهما حركةً واحدةً لا تتأثر بالعوامل الداخلة عليها ، وكلّ هذه الأسماء والأدوات تشترك فى أن معناها لا يتضح إلا من خلال الجملة فهى تفتقر إلى ما بعدها كى يتضح المعنى . ويمكن أن تدخل المضارعة هنا تحت باب المضارعة التامة .

٢ - مضارعة الأسماء المبنية للحروف :

تحدث سيبويه عن ذلك تحت باب مضارعة الأسماء غير المتمكنة الحروفَ التى ليست بأسماء ولا أفعال ، ويعنى بهذه الحروف مثلاً حروف الجر ، فحروف الجر ليست أسماء كما أنها ليست أفعالاً وهى مبنية كما أن الأسماء غير المتمكنة مبنية . يقول سيبويه : «وأما الفتح والكسر والضم والوقف فللأسماء غير المتمكنة المضارعة عندهم ما ليس باسم ولا فعل مما جاء لمعنى ليس غير نحو سوف وقد ، وللأفعال التى لم تجر مجرى المضارعة ، والحروف التى ليست بأسماء ولا أفعال ولم تجىء إلا لمعنى» .

٣ - مضارعة الممنوع من الصرف للفعل :

ذهب سيبويه إلى أن الممنوع من الصرف يضارع الفعل من حيث عدم التمكن فى الإسمية كالاسم المنصرف كما أن الفعل ليس له تمكن الاسم . وفى ذلك يقول(١٣) : فجميع ما يترك صَرْفُهُ مضارعٌ به الفعل لأنه إنما فُعِل ذلك به لأنه ليسَ له تمكن غيره كما أن الفعل ليس له تمكن الاسم» .

٤ - مضارعة الفعل المضارع للماضى المبدوء بهمزة وصل زائدة أو تاء زائدة :

تحدث سيبويه عن ذلك تحت باب «ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كَسَرْتَ ثانى الحرف حين قلت فَعِل» ونحن نعرف أن جميع العرب ما عدا أهل الحجاز يجوّزون(١٤) كسر حرف المضارعة ما عدا حرف الياء فى الثلاثى المبنى للفاعل ، إذا كان الماضى على فَعِل بكسر العين مثل قولنا : أنا اِعلَم ونحن نِعلم وانت تِعلَم وكذلك فى المثال والأجوف والناقص والمضاعف كما فى إيجَلُ وإخال وإشقى وإِعَضُّ .

ويرى سيبويه أنهم كسروا حروف المضارعة لكى ينبهوا على أن عين الماضى مكسورة ، ويعلّل سيبويه بعد ذلك لعدم كسر الفاء بأن أصلها فى المضارع السكون ، ولعدم كسر العين حتى لا يلتبس يفعَل المفتوح بيفعل المكسور ، ويرى سيبويه أنهم كسروا غير الياء من حروف المضارعة فيما أوله همزة وصل مكسورة نحو : أنت تِستغفر وتِحرنجم التنبيه على أن الماضى مكسور الأول وهو همزة ، وذهب إلى أنهم لم يضموا حرف المضارعة فيما ماضيه فَعُل مضموم العين منبِّهين به على ضمة عين الماضى لاستثقال الضمتين لو قالوا مثلاً تُظْرُف ،

وهذا الذى ذهب إليه سيبويه هو ما يطلق عليه عند علماء اللغة المحدثين اسم المماثلة فى الحركات لأن الكسر مع الفتح أخف من اجتماع ضمتين لثقلهما .

وقد اشترط سيبويه لتغيير الحركات واللّجوء إلى الأخفّ إذا أمن اللّبس ، فإن لم يؤمن اللبس فلا يجوز لأن التغير الصوتى فى الحركات قد يؤدى إلى تغيير المعنى المقصود فيتوهم السامع ان المقصود شىء آخر مختلف تماماً ، ونحن لا ننسى قصة الأعرابى الذى سمع إماما يقرأ ك ولا تَنكحوا المشركين حتى يؤمنوا بفتح التاء ، فقال : سبحان الله ! هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده ؟ ! فقيل له : إنه لحن والقراءة ولا تُنكحوا بضم التاء فقال : قبّحه الله لا تجعلوه إماماً فإنه يُحلّ ما حرّم الله .

يقول(١٥) سيبويه : واعلم أن كلّ شىء كانت ألفه موصولة مما جاوز ثلاثة أحرف فى فَعَل فإنك تكسر أوائل الأفعال المضارعة للأسماء وذلك لأنهم ارادوا أن يكسروا أوائلها كما كسروا أوائل فَعِل فلما أرادوا الأفعال المضارعة على هذا المعنى كسروا أوائلها كأنهم شبهوا هذا بذلك . وإنما منعهم أن يكسروا الثوانى فى باب فعل أنها لم تكن تحرك فوضعوا ذلك فى الأوائل ولم يكونوا ليكسروا الثالث فلتبس يـفَعِل بيفعُل وذلك قولك استغفر فأنت تِستغفر واحر نجم فانت تِحر نجم واِغدَوْدَن فانت تغدودن إقعنسس فأنا إِقعنسس وكذلك كلّ شىء من تفعَّلت، أو تفاعلت او تفعْلَلت يجرى هذا المجرى لأنه كان عندهم فى الأصل مما ينبغى أن تكون أوله ألف موصولة لأن معناه معنى الإنفعال وهو بمنزلة انفتح وانطلق ولكنهم لم يستعملوه استخفافاً فى هذا القبيل» .

وسيبويه يعنى أنهم شبهوا ما فى أوله تاء زائدة من ذوات الزوائد نحو تكلّم وتغافل تدحرج بباب انفعل ، وذلك لكون ذى التاء مطاوعاً فى الأغلب كما أن انفعل كذلك ، فتفعّل وتفاعَل وتفَعْلَل مطاوع فَعّل وفاعَل وفَعْلَل فكسروا غير الياء من حروف مضارعاتها وكلّ ما أول ماضيه همزة وصل مكسورة أو تاء زائدة يجوز فيه ذلك :

٥ - مضارعة فعلان فعلاء :

ذكر(١٦) سيبويه ذلك تحت باب ما لحقته نونٌ بعد ألف فلم ينصرف فى معرفة ولا نكرة ويمثل لذلك بعطشان وسكران وعجلان ، ويرى أنّ فَعْلان يضارع فَعْلاء لأنها على مثالها فى عدد الحروف والتحرك والسكون كما أن البناء الأول «فعلان» به بالألف والنون الزائدتان للمذكر فقط ولا نقول فى المؤنث عن عطشان عطشانة ، فلا نلحقه التاء وإنما مؤنثة عطشى ، وكذلك لفظ «حمراء» الدال على المؤنث لم يؤنث على بناء المذكر لأن مذكره أحمر ، فلمؤنث سكران بناءٌ على حدة وكذلك لمذكر حمراء بناء على حدة فلما ضارع فعلاء هذه وأشبهها أجرى مجراها .

يقول سيبويه : وذلك نحو عطشان وسكران وعجلان وأشباهها وذلك أنهم جعلوا النون حيث جاءت بعد ألف كألف حمراء لأنها على مثالها فى عدة الحروف والتحرك والسكون ، وهاتان الزائدتان قد اختص بهما المذكر ولا تُلحقه علامة التأنيث كما أن حمراء لم تؤنث على بناء المذكر ، ولمؤنث سكران بناء على حدة كما كان لمذكر حمراء بناء إلى حدة فلما ضارع فعلاء هذه المضارعة وأشبهها فيما ذكرت لك أجرى مجراها» .

٦ - مضارعة ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل للواحد :

وذلك نحو مساجد ومفاتيح ، وكلّ جمع يأتى بعد ألفه حرفان أو ثلاثة الأوسط منها حرف لين نحو خواتيم ودوانيق وكواهل وجواهر ودراهم ودنانير، وما كان على مثال ما سبق ذهب النحويون إلى أنه لا ينصرف لأنه جمع وليس له مثال فى الواحد .

يقول(١٧) سيبويه : «وأما مفاعل ومفاعيل فلا يكسر فيُخرج الجمع إلى بناء غير هذا لأن هذا البناء هو الغاية ، فلما ضارعت الواحد صرفت ، كما أدخلوا

الرفع والنصب في يفعَل حين ضارع فاعلاً ، وكما ترك صرف أفْعَل حين ضارع الفعل ، وكذلك وكذلك الفُعول لو كسِّرت مثل الفلوس ، لأنه تُجْمع جمعاً لأُخْرِج إلى فعائل كما تقول : جَدود وجدائد ورَكوب وركائب . ولو فعلت ذلك بمفاعل ومفاعيل لم تجاوز هذا . ويقوى ذلك أن بعض العرب يقول : أُتِيّ للواحد فيضم الألف . وأما أفعالٌ فقد يقع الواحد ، من العرب من يقول: هو الأنعام ، وقال الله عزّ وجل ﴿ نسقيكم مما في بطونه ﴾[18] ومعنى ذلك أن الجمعِ لو كان له نظير في الواحد يصرف نحو قلوبٌ وفلوس ؛ نظيره الواحد : السَّدوس ؛ يقال لضربٍ من الثياب وهي : الطيالسة الخُضْر والأَتِيّ : لمجرى السيل والقُعود والجُلوس .

ومثال أجمال وأحمال قولهم : بُرْمة أعْشار وثوبٌ أكياش : يقال لضرب من الثياب وكذلك سائر أنحاء الجمع له في الواحد نظير نحو أحمرة وأخْوِنة ونحو الغِزْلانُ نظيرها في الواحد العِرفان والحِرمان ، وكذلك «فُعْلان» نحو : السكران والكفران وكذلك أَفْعُل نحو : أكلُب نظيرها : أنمُلة لأن الهاء لا تُحتَسبْ بها[19] .

ويقول سيبويه : فأما عِوادِيّ وعوارِيّ وحوالِيّ فغير مصروفاتٍ لأن هذه الياء كانت في الواحد نحو عادِيّة وعارِيّة وَحَوَلِيّ ، فأما ما كان نحو صياقلة وبياطرة وأساورة فمصروف في النكرة ، وإنما صُرِف لأنك صممت الآخر إلى الأول كما ضممت «حَضْر» إلى «موت» ومع هذا أنه مثال يكون الواحد نحو قولهم : علانِية» .

قال ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل لا ينصرف في معرفة ولا نكرة لأنه ليس له مثال في الواحد والواحد أشد تمكناً وهو الأول فلما لم يكن هذا من بناء الواحد وتركوا صرفه .

٧ - مضارعة صيغة فواعل الدالة على المذكر لفواعل الدالة على المؤنث:

ذهب سيبويه إلى أن ما كان على فاعل لغير الآدميين وإن كان لمذكر فإنه يجمع على (فواعل) مثل جمال بوازل وفى ذلك يقول: «وإن كان[٢٠] فاعل لغير الآدميين كُسِّرَ على (فواعل) وإن كان للمذكر أيضاً لأنه لا يجوز فيه ما جاز فى الآدميين وذلك قولك جمالٌ بوازل وجمال عواضِهٍ».

ومذهب اللغويين القدماء أن ما كان على وزن فاعل اسماً مجمعه على «فواعل» نحو قادم وقوادم وتابل وتوابل وحاجب وحواجب. وأما ما كان نعتاً للمذكر فتكسيره على فُعّل وفُعّال نحو ضارب وضُرّب وضُرّاب وكاتب وكُتّب وكُتّاب وأما ما كان لمؤنث فجمعه على فواعل فرقاً بين المؤنث والمذكر وذلك مثل ضاربةَ وضوارب وذاهبة وذواهب، وأما جمعهم فارساً على فوارس فلأنه شيء لا يكون فى المؤنث، فلم يخافوا لبساً فاخرجوه على الأصل وقالوا: «هالكُ فى الهوالك» لأنه مَثَلٌ فجرى على الأصل.

ويستشهد سيبويه ببيت شعري للفرزدق اضطر فيه إلى جمع ناكس على نواكس صفة للرجال فى قوله:

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم　　　خُضُعَ الرقاب نواكس الأبصار

يقول سيبويه: لأنك تقول هى للرجال كما تقول هى الجمال فشبه بالجمال.

٨ - مضارعة عدوّ للاسم:

ذهب سيبويه إلى أن لفظ «عدوّ» على الرغم من كونه وصفاً إلا أنه يضارع الاسم ولذلك جمع على أعداء.

يقول[٢١] سيبويه : «وقد كسروا شيئاً منه من بنات الواو على أفعال قالوا : أفلاء وأعداء والواحد فَلْوّ وعدُوّ كَرِهوا فُعُلاً كما كرهوا فى فَعَلِل وكرهوا فِعلانا للكسرة التى قبل الواو وإن كان بينهما حرف ساكن لأنه ليس حاجزاً حصيناً وعدو وصف ولكنه ضارع للاسم» .

وجمع لفظ «عدو» على أعداء نوع من المماثلة فى الحركات للتخفيف على جهاز النطق فالهمزة مفتوحة والدال مفتوحة ، ونحن نعرف أن الفتحة هى أخف الحركات .

ثالثاً: المضارعة فى النواحى التركيبية :

١ - مضارعة الفعل المضارع لاسم الفاعل :

تحدث سيبويه[٢٢] فى الجزء الأول من كتابه عن الفعل المضارع لأسماء الفاعلين فى قوله : إن يفعل إنما أعرب لمضارعته لفاعل ، ووضح أوجه الشبه والاختلاف بين الفعل المضارع واسم الفاعل فيقول : «وإنما ضارَعتْ أسماء الفاعلين أنك تقول : إن عبد الله ليفعل ، فيوافق قولك : لفاعِلٌ ، حتى كأنك قلت : إنّ زيداً لفاعلٌ فيما تريد من المعنى وتلحقه هذه اللام كما لحقت الاسم، ولا تلحق فَعَلَ اللام ، وتقول . سيفعل ذلك وسوف يفعل ذلك فتُلحقها هذيْن الحرفين لمعنى كما تَلْحق الألف واللام للأسماء للمعرفة فوجه الشبه بين الفعل المضارع واسم الفاعل هو دخول اللام التى نطلق عليها لام التوكيد على كلٍّ منهما دون أن يحدث تغير فى المعنى أى أنه تغير فى الصيغة لا يعقبه تغير فى المعنى ، فليس هناك فرق فى المعنى بين قولنا : إن محمداً ليذاكر دروسه وإنّ ربك ليحكم بينهم وإنّ محمداً لمذاكر دروسه وإن ربك لحاكمٌ بينهم، وهذه اللام التى يصّح دخولها على الفعل المضارع واسم الفاعل لا يصحّ دخولها على الفعل الماضى فلا نقول : إنّ محمداً لذاكرَ دروسه .

يقول السيرافى فى شرحه لكتاب سيبويه[٢٣] : فاجتمع الفعل المضارع مشابهة الأسم من هذه الوجوه دون غيره من الأفعال ففُصل على سائر الأفعال بأن أعرب لما بان به عن هذه المشاركة واختص به دون نظائره .

ويضيف السيرافى فى شرحه لكتاب سيبويه عدة أوجه أخرى لمشابهة الفعل المضارع اسم الفاعل مثل المساواة فى العدة والرتبة ، وأن ألف الوصل لا تدخل على المضارع كما دخلت على الماضى والأمر ، كما أن الفعل توصف به النكرات كما فى قولنا : مررتُ برجلٍ يقوم . ويكون خبراً كقولنا : إن زيداً يقوم ، وكان زيد ينطلق . كما كان ذلك فى الاسم إذا قلنا : مررت برجلٍ قائم وكان زيد منطلقاً ، فلما وقع موقعه صار مثله فى هذا الوجه .

اما وجه الإختلاف بين الفعل المضارع واسم الفاعل فهو أن حرفَىْ التسويف السين وسوف يدخلان على الفعل المضارع ولا يدخلان على اسم الفاعل فى مثل قولنا : محمد سيذاكر وسوف يذاكر للدلالة على المستقبل كما تدخل الألف واللام على الأسماء لتخرجها من دائرة التنكير إلى دائرة التعريف.

وإذا كانت السين وسوف تدخلان على الفعل المضارع للدلالة على المستقبل فإنّ التنوين حين يدخل على اسم الفاعل قد يجعله دالاً على المستقبل فى مثل قولنا :

هذا قاتلٌ محمداً

وهذا قاتلُ محمدٍ

فالتنوين فى المثال الأول أخرج الجملة إلى معنى المستقبلية ، أما المثال الثانى فقد دلّ على إنتهاء القتل وتحديد القاتل .

ومعروفٌ أن اسم الفاعل إذا كان بمعنى المضىّ كان مضافاً إلى ما بعده

وعومل معاملة الأسماء فى الإضافة مثل قولنا . هذا ضاربُ زيد أمس ، ولو قلنا : هذا ضاربٌ زيداً أمس لم يجز عند أحدٍ من البصريين والكوفين إلا الكسائى فإنه كان يجيزه ، وإنما يم يجز ذلك لأن اسم الفاعل إنما يعمل عمل الفاعل الذى ضارعه وهو المستقبل كما أن المستقبل أُعْرِب لمضارعته اسم الفاعل وكلّ واجدٍ منهما محمول على صاحبه وليس بين اسم الفاعل والفعل الماضى مضارعه ، فلذلك لم يُعْرَب الماضى ولا عَمِل اسم الفاعل عمله[٢٤] .

أما المحدثون فقد ذهب بعضهم[٢٥] إلى أنه لا يوجد فرق فى المعنى على الإطلاق بين اسم الفاعل والفاعل المضارع فى مثل قولنا : والله يدعو إلى دار السلام أو الله الداعى إلى دار السلام لأن المضارع فى الجملة الأولى ليس فعلا وإنما هو وصف يجوز عليه ما يجوز على الوصف عن وجوب مطابقته لموصوفه فى كلٍّ شىء فالفرق بين المضارع واسم الفاعل فى الجملتين السابقتين حين يتقدم المسند إليه لا فى معناهما ولا فيما يصيب كلاً منهما من تغيير مع التثنية أو الجمع أو التأنيث ، ولم يكن عبد القاهر الجرجانى مصيباً حين حاول أن يتلمّس فروقاً بين استعمال الفعل المضارع واستعمال وما اشتق منه فذهب إلى أن الفعل المضارع يفيد التجدد ووقوع الحدث شيئاً فشيئاً فى حين أنه مع الشتق لا يكاد يعدو ثبوت الصفة وحصولها .

وقد أشار النحاة[٢٦] فى كتبدهم إى أن المضارع للحال والاستقبال وذهب بعض المحدثين إلى أنه قد يتناول الماضى أيضاً ، ، وكل ذلك مرجعه حين يسبق المضارع المسند إليه وخلاصة القول أن الفعل المضارع يضارع اسم الفاعل مضارعه ناقصة أى أنه يشبهه فى نواحٍ ويخالفه فى نواحٍ أخرى .

٢ - مضارعة الأسماء المبنية للفعلين الماضى والأمر :

ذكر سيبويه ذلك تحت باب مضارعة الأسمآء غير المتمكنة للأفعال التى لم يجر مجرى المضارعة ويعنى بها الأفعال الماضية والفعل الأمر لأن الفعل الماضى

والفعل الأمر مبـنيان كما أن الأسمآء غير المتـمكنة مبنية ، ويعنـى بالأسماء غير المتمكنة الأسماء المبنية .

وقد ذهب[٢٧] علـماء اللغـة إلى أن الفـعل الماضـى مبنى لأن الأصـل فى الأفعال البـناء وبُنى على حركـة تفضيلاً له عـلى فعل الأمر لأن الفـعل الماضى أشبه الأسماء فى الصيغة نحو قولك :

مررت برجلٍ ضرب

كما تقول مررت برجلٍ ضارب

فأشبه ايضاً ما اشبه للأسمآء فـى الشرط والجزاء ، فإنك تقول : إن فعلتَ وفَعَلْتُ والمعنى فيه إنْ تفـعلْ أفْعَلْ فلما قام الماضى مقام المستقبـل والمستقبل قد أشبه الأسمـاء وجب أن يبنى علـى حركة تفضيـلاً له على فعل الأمـر الذى ما اشبه الأسمآء ولا اشبه ما أشبهها .

وبنى الفعل الماضى على الفتحة لأنها أخف الحركات .

أما الفعل الأمر فقد بنى على الوقف لأن الأصل فى الأفعال البنآء والأصل فى البنآء أن يكون على الوقف فبنى على الوقف لأنه الأصل .

يقول سيبويه[٢٨] إنهم لم يسكنوا آخر فَعَل لأن فيها بعض ما فى المضارعة . تقول : هـذا رجل ضربنا فـتصف بها النـكرة ، وتكون فى مـوضع ضارب إذا قلت هذا رجل ضارب وتقول : إنْ فَعُل فَعَلْتُ فيكـون فى معنى إنْ يفعَلْ أفعل فهى فعْلٌ كما أن المضارع فعل وقد وقعت موقعها فى إن ووقعت موقع الأسماء فى الوصف كما تقع المضارعة فى الوصف .

ثم يذكر سيبويـه بعد ذلك السبب فى عدم تسكين الأفعـال الماضية بقوله : «فلم يسكنوها كما لم يسكنوا من الأسماء ما ضارع المتمكن» .

٣ - مضارعة الأسماء التى على وزن افعل للفعل المضارع :

ذهب سيبويه[٢٩] إلى أن الأسماء التى على وزن أفعل تضارع الفعل المضارع وفى ذلك يقول واعلم أن ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء فى الكلام ووافقه فى البناء أجرى لفظه مُجْرَى ما يستثقلون ومنعوه ما يكون كما يستخفون وذلك نحو أبيض وأسود وأحمر وأصفر فهذا بناء أذهبْ وأعلمُ فيكون فى موضع الجر مفتوحاً استثقلوه حين قارب فى الكلام ووافق فى البناء .

ثم تحدث عن مضارعة أفعل الذى يكون صفة للاسم فيرى أنه يكون وهو اسم صفة كما يكون الفعل صفة ، وأما شِكر فإنه لا يكون صفة وهو اسم وإنما يكون صفة وهو فعل وتفسير ذلك أن باب أفعل وهو اسم مضارع الفعل، ومضارعته الفعل أنه صفة والفعل يوصف به أيضاً مثل قولنا :

مَررَت برجلٍ أحمر

ومررتُ برجلٍ يأكل

ويضارعه أيضاً فى أن الفعل لا يكون إلا بفاعل والنعت لا يحسن إلا بمنعوت ومشاركته له فى البناء أن «أحمر» الهمزة فيه زائدة كما هى زائدة فى «أذهب» ووزنها افعل[٣٠] .

وفى موضع آخر يقول سيبويه «وإنما صارت أفْعَل فى الصفات أكثر لمضارعة الصفة الفعل»[٣١] .

وفى موضع آخر : «فما بالك تصرف يزيد فى النكرة وإنما منعك من صرف أحمر فى النكرة وهو اسم أنه ضارع الفعل .

٤ - مضارعة المصادر للأفعال :

ذكر سيبويه[٣٢] أن المصادر تضارع الأفعال من عدة أوجه منها أن ما كان

على وزن فِعْلة مصدراً وكان فِعْلُه معتل الفـاء بالواو فإن هذه الواو تحذف عندما نأتـى منه بالمـصدر ومثـال ذلك «وعد» الاسـم منه وَعْد والمصـدر عدة ويعـلل سيـبويه لحـذف الواو من المـصدر بقـوله : «فإنـهم يحـذفون الواو مـنها كـما يحذفونـها من فعلها (يـعنى يعد) لأن الكسر يـستثقل فى الواو فـاطرد ذلك فى المصدر وشبـه بالفعل لأن الفعل تـذهب الواو منه ولأن المصادر تضـارع الفعل كثيراً فى قبلك : سَقْيا واشباه ذلك .

والمصادر تضارع الفعل فى العمل لأن المصدر يعمل عمل الفعل المشتق منه مثل قولنا :

اعجبنى ضرب زيد عمراً وإعطاء عمرو زيداً درهماً .

فهذه المصادر ضربٌ ، إعطاء ، تعمل عمل أفعالها فتصير بمنزلة قولنا :

اعجبنى ان ضربَ زيدٌ عَمْراً وان اعطى عمروٌ زيداً درهماً

ويمكن إضافتها فتجر ما نضيفها إليه مثل قولنا :

اعجبنى ضربُ زيدٍ عمراً وإعطاء عمروٍ زيداً درهماً

ودخول الألف واللام على المصدر مثل تنوينه

أما ما ذكره سيبويه أن المصادر تضارع الفـعل كثيراً فى قولنا : سَقْيا وأشباه ذلك فهو عـلى نحو استعمال الـعرب لها ، ولا يجوز (سقيـك) لأن العرب لم تدع بـه ، وإنما[٣٣] وجب لزوم الـعرب إياها لأنـها أشياء قد حـذف منها الـفعل وجعلت بدلاً من اللفظ به علـى مذهب أرادوه من الدعاء فلا يجوز تجاوزه لأن الإضمار والحذف وإقامة المصـادر مقام الأفعال ليس بقياس مستمـر فيتجاوز فيه الموضع الذى لزموه .

ثم يقول سيبويه : «فأما فى الأسماء فتثبت» يقصد الواو ويأتى بمثال هو : ولدة ، وقالها : لِدَة كمـا حذفوا عِدَة ، ثم يعللِ بقوله : «وإنمـا جار فيما كان

من المصادر مكسور الواو إذا كان فِعْلَة لأنه بعدد يفعِل ووزنه ، فيلقون حركة الفاء على العين كما يفعلون ذلك فى الهمزة إذا حذفت بعد ساكن . فإن بنيت اسمًا من وَعَد على فِعْلَة : قلت وِعَدة وإن بنيت مصدراً قلت عدة .

٥ - مضارعة اسم الفاعل والصفة المشبهة لأفعل منه وغيره :

تحدث سيبويه عن ذلك[٣٤] تحت باب «هذا ما جرى من الأسماء التى تكون صفة مجرى الأسماء التى لا تكون صفة» ، ويمثل للأسماء التى لا تكون صفة بقوله : «وذلك أفعل منه ومثال وأخواتها ، وحسبك من رجلٍ ، وسوآء عليه الخير والشر ، وأيّما رجلٍ ، وأبو عشَرَة وأبٌ لك وأخ لك وصاحبُ لك ، وكلّ رجلٍ ، وأفعَلُ شىءٍ نحو خيرُ شىء وأفضل شىء ، وأفعَل ما يكون وأفعَل منك .

ثم يذكر سيبويه أن تلك الأسماء السابقة بمنزلة الأسماء التى لا تكون صفة لأنها ليست بفاعلة وليست كالصفات غير الفاعلة أى التى لم تبلغ قوة أسماء الفاعلين ويريد بها الصفة المشبهة مثل حسنٍ وطويلٍ وكريم لأن هذه تفرد وتؤنث بالهاء كما يؤنث فاعل ، ويدخلها الألف واللام ، وتضاف إلى ما فيه الألف واللام وتكون نكرة بمنزلة الاسم الذى يكون فاعلا حين تقول هذا رجلٌ ملازمُ الرجلِ وذلك قولك : هذا حسنُ الوجه ، ومع ذلك فإن الألف واللام تدخلان على حسن الوجه فنقول : الحسن الوجهِ كما نقول الملازمُ الرجلِ .

ثم يقول : فَحَسنٌ وما أشبهه يتصرف هذا التصرف[٣٥] .

أما الأسماء التى لا تكون صفة مثل حسبك من رجلٍ وخير شىء وأفضل شىء فلا يستطيع أن نفرد شيئاً منها لو قلنا : هذا رجلٌ خيرٌ وهذا رجلٌ أفضلُ وهذا رجل أبٌ . . . لم يستقم ولم يكن حسناً .

والمعروف أن اسمَ الفاعل إذا كان بمعنى المضىّ فأضفته إلى نكرة تَنَكّرَ وإن أضفته إلى معرفة تَعَرَّف ، وإذا كان اسم الفاعل بمعنى الحال والاستقبال كان

نكرةً على كلٍّ حال فـإن أضفته إلى معرفة لم يتعرف بالإضـافة لأن إضافته غير محـضة ، وكذلك : «غـيرك وشِبهُك ومِثْلُكَ ونَحوُك وضَربُك» وما أشبـه هذا هو نكـرة وإن كان بلفـظ المعرفة والـدليل علـى ذلك أنك تنـعت به النـكرات فتقول: مررت برجل مِثلِك وشبهِك وغيرِك[٣٦] .

ويضرب سيبويه مثالاً اخر هو (أيّ) التى لا يمكن أن تفرد فنحن لا نستطيع ان نقول : هذا رجلٌ أيٌّ ، فاللواحق تحسّن هذا النوع من الأسماء ولا تدخل الألف واللام عليها كما دخلت على الحسن الوجه ولا ينون ولا يؤنث كما ينون الفاعل ويؤنث ولذلك لم يكن هذا النوع من الأسـماء قوياً كالصفر المشبهة التى يمكن قطعها عما بعدها .

يقول سيبويه[٣٧] فلما جاءت مـضارعة للاسم الذى لا يكون صـفة البتة إلا مستكرها كان الوجه عندهم فيه الـرفع إذا كان النعت فيه للآخر وذلك قولك : مررتُ برجلٍ حـسنٌ أبوه» ومع ذلك أيضاً أن الابـتداء يحسن فيـهنّ ، تقول : خيرٌ منك زيد ، وأبو عشرة زيدٌ وسواء عليـه الخير والشر ، ولا يحسن الابتداء فى قولك : حـسنٌ زيدٌ . . فلما جاءت مضـارعة للأسماء التى لا تـكون صفة وقويت فى الابتداء كان الوجه عندهم الـرفع إذا كان النعت للآخر وذلك قولك : مررت برجـلٍ خيرٍ منه أبـوه ومررت برجلٍ سواءٌ عـليه الخير والـشر ومررت برجلٍ أبٌ لك صـاحبهُ ومررتَ برجلٍ حـسبك من رجلٍ هو ومـررت برجلٍ أيما رجلٍ هو .

٦ - مضارعة المنصوب على الاختصاص للنداء :

يرى سيبويه أن الاسـم المنصوب على الإختصاص يضـارع النداء حيث ذكر تحت باب ما ينتصب على التعظيم ان[٣٨] «هذا شبيه بقوله : إنا بنى فلانٍ نفعل كذا لأنه لا يريد أن يُخبر من لا يدرى أنه من بنى فلان ولكنه ذكر ذلك افتخاراً

وآبتهاءً إلا أن هذا يجرى على حرف النداء ...» .

ووجه المضارعة كما يرى سيبويه هو أن الاسم المنصوب على الاختصاص قد نصب بفعل محذوف تقديره اختص أو أعنى وكذلك المنادى بعد حرف النداء منصوب بفعل تقديره أدعو أو أنادى ، وفى ذلك يقول : وتَرك إظهار الفعل فيه حيث ضارع هذا وأشباهه لأن إنا بنى فلان ونحوه بمنزلة النداء وقد ضارعه هذا الباب .

وقد أجرت العرب أشياء اختصوها على طريقة النداء لاشتراكهما فى الاختصاص واستعير لفظ أحدهما للآخر من حيث شاركه فى الاختصاص كما أجرَوْا التسوية مجرى الاستفهام إذ كانت التسوية موجودة فى الاستفهام مثل أزيدٌ عندك أم عمرو وأزيد افضل أم خالد فالشيئان اللذان تسأل عنهما قد استوى علمك فيهما ... كذلك جاء للاختصاص بلفظ النداء لاشتراكهما فى معنى الاختصاص وإن لم يكن منادى[٣٩] .

والذى يدل على أنه غير منادى أنه لا يجوز دخول حرف النداء عليه فلا تقول أنا أفعل كذا يا أيهذا الرجل إذا عنيت نفسك ولا نحن نفعل كذا يا أيها القوم إذا عنيتم أنفسكم لأنك لا تنبه غيرك . وهذا الاختصاص يقع للمتكلم نحو نحن نفعل أيها العصابة وتعنى بالعصابة أنفسكم ... كما يقع للمخاطب ولا يجوز للغائب .

وذكر ابن يعيش[٤٠] أن الاختصاص يجرى على مذهب النداء من النصب بفعل مضمر غير مستعمل إظهاره وليس بنداء على الحقيقة بدليل أن الاسم المفرد الذى يقع فيه لا يبنى على الضم كما يبنى الاسم المفرد فى النداء على الضم فى نحو يا زيدُ ويا بكرُ ولم يقولوا فى «بنا تميما يكشف الضباب» «بنا تميمٌ» بالضم كما فعلوا فى النداء ، ولأنه ايضاً يدخل عليه الألف واللام نحو نحن العرب أقرى الناس الضيف» .

وخلاصة القول ان الإختصاص يضارع النداء من حيث إنه منصوب بفعل مضمر غير مستعمل إظهاره ولا يكون إلا للمتكلم والمخاطب وهما حاضران ولا يكون لغائب .

٧ - النكرة المضارعة للمعرفة :

تحدث سيبويه عن مضارعة النكرة لمعرفة عند حديثه عن ضمير الفصل وشروطه وهو بذلك يشير إلى باب «افعل من كذا» الذى يشبه المعرفة من حيث إنه غير مضاف ويمتنع دخول الألف واللام عليه لأن الألف واللام تعاقب من فلاتجامعها فجرى مجرى العلم نحو زيد وعمرو فى إمتناعه من الألف واللام ، وليس بمضاف مع ان من تخصصه لأنها من صلته فطال الاسم فصارت كالصلة للموصول .

وفى ذلك يقول سيبويه[٤١] : «واعلم ان هو لا يحسن أن يكون فصلاً حتى يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة مما طال ولم تدخله الألف واللام فضارع زيداً وعمراً نحو خير منك ومثلك ، وافضل منك وشر منك ، كما أنها لا تكون فى الفصل إلا وقبلها معرفة أو ما ضارعها ، كذلك لا يكون ما بعدها إلا معرفة أو ما ضارعها . لو قلت : كان زيد هو منطلقاً ، كان قبيحاً حتى تذكر الأسماء التى ذكرتُ لك من المعروفة أو ما ضارعها من النكرة مما لا يدخله الألف واللام» .

ثم يستشهد بأمثلة منها قوله تعالى : ﴿ إنْ ترنى انا أقلَّ منك مالاً وولداً ﴾ وكذلك ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً واعظمَ اجراً ﴾ .

فقد تكون «انا» فصلاً فى الأية الأولى وقد تكون صفة[٤٢] اى تأكيداً كما يرى سيبويه ، فإن كانت فصلاً نصبت كلمة أقل على انها مفعول به ثانٍ وكذلك كلمة خيراً ، ومثلها قوله تعالى كنت أنت الرقيب عليهم

وقد وقع الضمير فى الآيات السابقة بين معرفة وما قاربها من النكرات ويسمى هذا الضمير ضمير الفصل والعماد ، والفصل من عبارات البصريين كأنه فصل الاسم الأول عما بعده وآذن بتمامه وإن لم يبق منه بقية من نعت ولا بدل إلا الخبر لا غير والعماد من عبارات الكوفيين .

فإذا قلنا كان[٤٣] زيد هو القائم عرف أن هو ضمير فصل ينصب ما بعده ، ووجب أن يكون بعد معرفة لأن فيه ضربا من التأكيد ولفظة لفظ المعرفة فوجب أن يكون الاسم الجارى عليه معرفة كما أن التأكيد كذلك ، ووجب أن يكون ما بعده معرفة أيضاً لأنه لا يكون ما بعده إلا ما يجوز أن يكون نعتاً لما قبله ونعت المعرفة معرفة فلذلك وجب أن يكون بين معرفتين ،

٨ - مضارعة حروف الجزاء باب إن وكان :

تحدث سيبويه[٤٤] عن مضارعة حروف الجزاء باب إن وكان تحت باب «هذا باب يذهب فيه الجزاء عن الأسماء كما ذهب فى إنّ وكان وأتباعهما غير أن إنّ وكان عواملُ فيما بعدهن والحروف فى هذا الباب لا يحدثن فيما بعدهن من الأسمآء شيئاً كما أحدثت إنّ وكان وأشباههما ، لأنها من الحروف التى تدخل على المبتدأ أو المبنى عليه فلا يغير الكلام عن حالة» .

ويشير سيبويه بقوله «باب يذهب فيه الجزاء من الأسماء» إلى ما لا يجوز فيه الجزاء ومن أمثلته فى ذلك .

أتذكر إذ من يأتينا تأتيه

وما من يأتينا نأتيه

واما من يأتينا نأتيه

ثم يعلق على ذلك بقوله «وإنما كرهوا الجزاء ها هنا لأنه ليس من مواضعه. الا ترى أنه لا يحسن أن تقول : أتذكر إذ إنْ تأتِنا نأتك ولا يجوز أن نقول : إنّ إنْ تأتنا نأتك فلما ضارع هذا الباب باب «إن» وكأن كرهوا الجزاء فيه.

ثم يذكر سيبويه أنه يجوز فى الشعر أن يُجَارى بعد هذه الحروف فتقول : أتذكر إذْ من يأتنا نأته وإنما أجاروه لأن إذ وهذه الحروف لا تغير ما دَخَلَتْ عليه عن حالة قبل أن تجيء بها فقالوا ندخلها على مَنْ يأتنا نأتِه ولا تغير الكلام .

٩ - مضارعة حروف الجزاء لما يجر من الأسماء :

ذهب سيبويه(٤٥) إلى أن بعض حروف الجزاء لا تلزم جزم الفعل الواقع بعدها ولكن يكون فيها الاستفهام فترفع فيها الأسماء وتكون بمنزلة الذى ، وهى بذلك تضارع اسم الفاعل الذى يمكن أن يجر ما بعده أو أن ينصبه فى مثل قولنا .

ضاربِ عبدِ الله   وضاربٍ عبدَ الله

يقول سيبويه «واعلم أن حروف الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها قبل للأفعال وذلك لأنهم شبهوها بما يجزم مما ذكرنا ، إلا أن حروف الجزاء يدخلها فَعَل ويفعل ، ويكون فيها الاستفهام فترفع فيها الأسماء وتكون بمنزلة الذى ، فلما كانت تصرّف هذا التصرف وتفارق الجزم ضارعتْ ما يُجَرّ من الأسماء التى إن شئت استعملتها غير مضافة نحو : ضاربِ عبد الله ، فلذلك لم تكن مثل لَمْ ولا فى النص واللام فى الأمر لأنهن لا يفارقن الجزم .

ثم يقول سيبويه : ويجوز الفرق فى الكلام فى إنْ إذا لم تجزم فى اللفظ، نحو قوله : عاودْ هراةَ وإنْ معمورُها خَرِبا .

فإن جزمت ففى الشعر ، لأنه لم يشبـه بلَمْ وإنما جاز فى الفصل ولم يشبه لَمْ لان لَمْ لا يقـع بعدهـا فَعَل ، وإنما جاز هذا فـى إنْ لأنها أصـل الجزاء ولا تفارقه فجـار هذا كما جاز إضمار الفـعل فيها حين قالوا : إن خـيراً فخيرٌ وإنْ شراً فشر ، وأما سائر حروف الجزاء فهذا فيه ضعف فى الكلام لأنها ليست كإن فلو جاز فى إنْ وقد جزمت كان أقوى إذ جاز فيها فَعَلْ .

وقد ذكر(٤٦) اللغويـون القدماء أنّ إنْ لقوتهـا فى بابها وعدم خـروجها عن الشرط إلى غيره توسعوا فيها فأجازوا فيـها الفصل بالاسم ولم يكن ذلك بأبعد من حذف فعل الشرط فى قولهم المرء مقتـول بما قتل به إنْ خنجرٌ فنخجر ، فإن كان بـعدها فعـل ماضٍ فى اللـفظ لا تأثيـر لها فـيه فالفـصل حسن وجـاز فى الكلام. وشـبهت بما ليس بـعامل من الحروف نـحو همزة الاستفـهام وإن كان بعدها مضارع مجزوم قبح تقدم الاسم إلا فى الشعر لأنها قد جرت بعد الإعمال وظهوره مجـرى لم ولما ونحوهما من الجـوازم فكما لا تقول لم زيـد يقم ولم زيدا أضـرب إلا فى ضرورة الـشعـر كذلك لا تـقول إن زيدٌ يـقم أقـم إلا فى ضرورة الشعـر فعلى هذا تقول إذا وليـها الفعل الماضى إن زيـد ركب ركبت ، ومن كلامهم إنْ اللهُ أمكننى من فلان فعلت وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إن امرؤ هاك ﴾ و ﴿ إن أحدٌ من المشركين استجارك ﴾ .

١٠ - مضارعة نعم وبئس للفعل :

ذهب سيبويه إلى أن نعم وبئس تضارعان الفعل فنعم للمدح وبئسْ للذم ، ومما يدل على أنهما فـعلان أننا نضمر فيهما إذا قلنا : نـعم رجلاً زيد لا نضمر إلا فى الفعل ، ويمكن أن يبرز الضمير ويتصل بالفعل على حد اتصاله بالأفعال فى مثل نعـما رجلين ونعموا رجالاً كما نـقول ضربا وضربوا ، كما تلـحقها تاء التأنيث الساكنة فى الوصل وفى الوقف كما تلحق الأفعال نحو : نعمت الجارية هند وبئست الجاريـة جاريتك كما نقول : قامت هند وقعدت وهـما مبنيَان على

الفتح كالأفعال الماضية ولكنهما تختلفان فى أنهما لا تتصرفان فلا يأتى منهما مضارع ولا اسم فاعل وسبب ذلك كما ذكر اللنحويون[٤٧] أنهما تضمنا ما ليس لهما فى الأصل وذلك أنهما نقلا من الخبر إلى نفس المدح والذمّ والأصل فى إفادة المعانى إنما هى الحروف فلما أفادت فائدة الحروف خرجت عن بابها ومنعت التصرف كليس وعسى .

يقول سيبويه[٤٨] : «وأما نعم وبئيس ونحوهما فليس فيهما كلام لأنهما لا تغيران لأن عامة الأسماء على ثلاثة أحرف . ولا تجريهن إذا كنّ أسماء للكلمة لأنهن أفعال والأفعال علم التذكير لأنها تضارع فاعلاً .

ويمكن اعتبار هذا النوع من المماثلة مماثلة تامة .

١١ - مضارعة حيث وحينئذ والآن لأين :

ذهب سيبويه[٤٩] إلى أن حيث وحينئذ والآن تضارعر أين فى قوله : «كما جعلوا حيث فى بعض اللغات كأينَ وكذلك حينئذٍ فى بعض اللغات لأنه مضاف إلى غير متمكن ، وليس كأينَ في كلٌ شيء ، كما جعلوا الآن كأين وليس مثله فى كلٍّ شيء ولكنه يضارعه فى أنه ظرف ولكثرته فى الكلام كما ضارع حينئذ أين فى أنه أضيف إلى اسم غير متمكن فكذلك ضار هذا : ضارع خمسة عشر فى البناء وانه غير علم» .

وقد أشار اللغويون القدماء إلى أن فى حيث أربع لغات : حيثُ بالضم وحيثَ بالفتح وحوثُ وحوثَ وهى مبنية فى جميع لغاتها وذهبوا إلى أن الذى أوجب بناءها أنها تقع على الجهات الست وهى خلف وقدام ويمين وشمال وفوق وتحت وعلى كلٌ مكان فأبهمت حيث ووقعت عليها جميعاً فضاهت بإبهامها فى الأمكنة إذا المبهمة فى الأزمنة الماضية كلّها فلما كانت إذ مضافة إلى جملة توضحها أوضحت حيث بالجملة التى توضح بها إذ من ابتداء وخبر وفعل وفاعلٍ ، ولأنها تفتقر إلى الجملة بعدها أشبهت الذى ونحوها من الموصولات.

أما حيث فكانت ساكنة الآخر إلا أنه التقى فى آخرها ساكنان هما الياء والثاء فمنهم من فتح طلبا للخفة لثقل الكسرة بعد الياء كأين وكيف ومنهم من شبهها بالغايات فضمها كقبلُ وبعدُ .

أما الآن فهى ظرف من ظروف الزمان مبنى على الفتح وذكر اللغويون أن سبب بنائها أنها وقعت فى أول أحوالها معرفة بالألف واللام ، وحكم الأسماء أن تكون متكورة شائعة فى الجنس ثم يدخل عليها ما يعرفها من إضافة وألف ولام فلما خالفت أخواتها من الأسماء بنيت لأنها ألحقت بشبه الحروف .

أما أين[٥٠] فظرف من ظروف الأمكنة مبنى لتضمنه همزة الاستفهام ووجب أن تبنى على السكون كما ذكر القدماء لوقوعها موقع همزة الاستفهام إلا أنه التقى فى آخره ساكنان فحركت النون لاجتماعهما وفتحت طلبا للخفة واستثقالاً للكسرة بعد الياء فآثروا تخفيفها لكثرة دورها وسعة استعمالها وفيها معنى المجازاة لإبهامها ووقوعها على كلِّ اسم يقع بعد حرف الجزاء .

١٢ - مضارعة حروف النفى لحروف الاستفهام وحروف الأمر والنهى :

ذهب سيبويه[٥١] إلى أن حروف النفى تضارع حروف الاستفهام حيث قُدّم الاسم قبل الفعل ويعلل لذلك بقوله : لأنهّن واجبات كما أن الألف وحروف الجزاء غير واجبة وكما أن الأمر والنهى غير واجبين .

وسهل تقديم الأسماء فيها لأنها نفىٌ واجب وليست كحروف الاستفهام والجزاء وإنما هى مضارعةٌ ، وإنما تجىء لخلاف قوله : قد كان .

ويستشهد سيبويه على ذلك بأمثلة منها : ما زيدا ضربته ولا زيداً قتلته وما ثمرا لقيت أباه ولا ثمرا مررىُ به ولا بشرا اشتريت له ثوباً . وكذلك إذا قلت: ما زيداً أنا ضاربةُ إذا لم يكن اسماً معروفاً .

خامسا: نتائج البحث:

استطاعت الباحثة أن تصل إلى النتائج الآتية :

١ - أن مصطلح المضارعة الذى أطلقه سيبويه فى أكثر من موضع من كتابه هو ما يعرف فى حالات كثيرة فى علم اللغة الحديث الحديث باسم المماثلة.

٢ - استخدم سيبويه أكثر من مصطلح للتعبير عن معنى المماثلة مثل المضارعة والمشابهة والمناظرة والتقريب ، .وأكثر هذه المصطلحات ورودا فى كتابه هو مصطلح المشابهة حيث استخدمه كثيراً حتى وصل عدد مرات وروده فى جزء واحد إلى مائة وست وأربعين مرة تقريباً .

أما مصطلح التقريب فكان وروده نادراً فى صفحات كتابه وكذلك مصطلح المناظرة الذى ورد بلفظ نظير ونظائر ويناظر مثل قوله «أجرى مجرى نظائره» أو «هذا نظير ذلك» .

٣ - أن استخدام سيبويه لمصطلح المضارعة لا يختلف على الإطلاق عن استخدامه لمصطلح المشابهة ، فالمضارعة والمشابهة أن يشبه الشىء بالشىء وإن كان ليس مثله فى جميع الأشياء ، فقد يكون الشىء مشبهاً الشىء الآخر تماماً وقد يشبهه فى نواحٍ ويخالفه فى أخرى ، وفى كلتا الحالتين يطلق سيبويه على المماثلة المضارعة أو المشابهة .

٤ - أن سيبويه لم يتحدث عن المضارعة كظاهرة لغوية وإنما ورد هذا المصطلح فى الأمثلة المتناثرة فى بعض أبواب كتابه .

٥ - أن مصطلح المماثلة له أصل تراثى، ورد الفعلَ مثّل قوله [٥٢] : «كما قول قلت : هذا رجل أفعَل لم ينصرف لأنك مثّلته بما لا ينصرف وهى الصفة فافعل صفة كفعلاء» .

٦ - أن سيبويه قد تحدث عن المضارعة فـى الحركات عند حديثه عن عدم جواز ضم حرف المضارعة فيما ماضيه فَعُلَ مضمـوم العين للتنبيه على ضمة عين الماضـى لاستـقال الضمـتين فى تُظْرُف كـما تحدث سـيبويه عـن المماثـلة الصوتية فـى الصوامت عند حديثـه عن مضارعة الصاد بالـزاى والمضارعة بقلب السين صاداً ومضارعة الشين والجيم بالزاى.

٧ - أن سيبويه قد توصـل بفطنته وذكائه إلى معرفة صـفات الحروف ولكنه لم يكن يعرف الحرف المـركب ، وظهر ذلك عند حديثه عن الشـين التى تشبه الجيم والجـيم التى تشبـه الشين ، وهما فى حـقيقة الأمر صورة صـوتية واحدة .

٨ - ذهب سيـبويه إلى أن بعـض الأسماء المبنيـة تضارع سوف وقد مـن حيث لزومها حركة واحدة لا تـتأثر بالعوامل الداخلة عليها ومـن حيث افتقارها إلى ما بعدها كى يتضح المعنى .

٩ - أن الأسماء غير المتمكنة (المبنية) تضارع الحروف من حيث كونها مبنية .

١٠- أن الممنوع من الصرف يضارع الفعل من حيث عدم التمكن فى الاسمية .

١١- أن بنـاء «فَعْلان» يضارع بنـاء «فعلاء» لأنـه على مـثاله فى عـدد الحروف والتحرك والسكون ، كما أن مؤنث فعلان له بناء على حدة وكذلك مذكر فعلاء له بناء على حدة ولذلك أجرى فَعْلاء مجرى فَعْلان .

١٢- أن ما كان مثال مفاعل ومفاعيل وله مثال فى الواحد يصرف ، أما ما كان على مثال هذين البناءين وليس له نظير في الواحد ترك صرفه .

١٣- أن صيغة فواعل صفـةً الدالة على المذكر غير العاقل تـضارع صيغة فواعل صفةً الدالة عـلى المؤنث مثل جمال بـوازل ، وضاربه وضوارب ١٤- أن

لفظ «عدو» على الرغم من كونه وصفاً إلا أنه يضارع الاسم ولذلك جمع على أعداء .

١٥- أن الفعل المضارع يضارع اسم الفاعل حيث إن كلاً منهما يقبل دخول لام التوكيد عليه مثل : إن عبد الله ليفعل وإن عبد الله لفاعلٌ .

١٦- أن السين وسوف تدخلان على الفعل المضارع للدلالة على المستقبل ، وكذلك التنوين حين يدخل على اسم الفاعل قد يجعله دالاً على المستقبل فى مثل قولنا : هذا قاتلٌ محمداً وهذا قاتلُ محمدٍ .

١٧- أن الأسماء المبنية تضارع الفعلين الماضى والأمر لأن كلاً منهما مبنى كما أن الفعل الماضى يضارع الأسماء فى الصيغة مثل : مررت برجلٍ ضَرَبَ ، ومررت برجلٍ ضاربٍ

١٨- أن الأسماء التى على وزن أفعل تضارع الفعل المضارع مثل أبيض وأسود واذهب وأعلم من حيث كونها صفة ، لأن الفعل يوصف به أيضاً مثل : مررت برجلٍ أحمر ، ومررت برجلٍ يأكل ، كما أنَّ الفعل لا يكون إلا بفاعل والنعت لا يحسن إلا بمنعوت .

١٩ - أن المصادر تضارع الفعل فى العمل لأن المصدر يعمل عمل الفعل المشتق منه .

٢٠- أن اسم الفاعل والصفة المشبهة يضارعان أفعل منه ومثلك وأخواتها وحسبك من رجل وغيرها (أى الأسماء التى لا تكون صفة) .

٢١- أن المنصوب على الاختصاص يضارع النداء لأن كلاً منهما منصوب بفعل محذوف .

٢٢- أن النكرة فى مثل قولنا «أفعل من كـذا» تضارع المعرفة من حيث إنها غير مضافـة ويمتنع دخول الألف والـلام عليها فجـرت مجرى العلم مـثل زيد وعمرو ولـذلك رأى سيبويـه أن الضمير (هـو) مثلاً لا يحسـن أن يكون فصلاً حتى يكون ما بعده معرفة أو ما أشبه المعرفة .

٢٣- أن بعض حروف الجزاء تضارع اسم الفاعل حيث إنها لا تلزم جزم الفعل الواقع بعدها ، كما أن اسم الفاعل يمكن أن يجر ما بعده أو أن ينصبه .

٢٤- أن نعم وبئس تضارعان الـفعل لأننا نـضمر فيهـما ، كما يمكـن أن يبرز الضمـير ويتصل بالـفعل (نعم) علـى حد اتصاله بـالأفعال فى مثل نـعما رجلين ونعموا رجالاً كما تقول ضربا وضـربوا ، كما أن تاء التأنيث تلحق بهما كما تلحق بالأفعال ، وهما مبنيتان على الفتح كالأفعال الماضية .

٢٥- أن حينئذٍ تضارع اين لأنها مضافة إلى غير متمكن .

٢٦- أن حروف النفـى تضارع حروف الاستفـهام وحروف الأمر والنهـى حيث يقدم الاسم قبل الفعل كما فى «ما زيدا ضربته ولا زيدا قتلته» .

الهوامش

١ - الأسس اللغوية ص ١٤ .

٢ - لسان العرب ٢٩/ ٢٥٨٠ .

٣ - الكتاب ٣/٢ ٣٠ .

٤ - الكتاب ٤/ ٤٧٨ .

٥ - الكتاب ٤/ ٤٧٧ .

٦ - الأصوات اللغوية ص (١٤٨) حيث يتحدث د. إبراهيم أنيس عن السين الزائية والزاى السينية والزاى الطائية ويرى أن الزاى الظائية هو نطق الفرس للظاء العربية وهى نفس الظاء العامية التى تجرى على ألسنتنا الآن أى لا تخرج معها طرف اللسان فإذا جهر بالصاد أصبحت تلك الظاء العامية فلا فرق بين الصاد وهذه الظاء إلا فى صفة الجهر والهمس .

٧ - أصوات العربية ص (١٣٧) .

٨ - أصوات العربية ص (٥٣) .

٩ - الكتاب ٤/ ٤٧٨ .

١٠- أصوات العربية ص ١١٢ وانظر ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ يفرق بين الجيم قديماً وحديثاً .

١١- الأصوات اللغوية ص ٨٣ .

١٢- الكتاب ١/ ١٥ .

١٣- الكتاب ١/ ٢٣ .

١٤- شرح الشافية ١/ ١٤١ .

١٥- الكتاب ٤/ ١١٢ .

١٦- الكتاب ٣/ ٢١٥ .

١٧- الكتاب ٣/ ٢٢٩ .

١٨- التطبيق الصرفى ص ١٢٧ .

١٩- ما ينصرف وما لا ينصرف ص ٦٣ .

٢٠- الكتاب ٣/ ٦٣٣ .

٢١- الكتاب ٣/ ٦٠٨ .

٢٢- الكتاب ١/ ١٤ .

٢٣- شرح السيرافى ١/ ٧٣ .

٢٤- الجمل فى النحو ص ٨٤ .

٢٥- من أسرار اللغة ص ٣١٤ .

٢٦- الإيضاح فى علل النحو ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .

٢٧- من أسرار العربية ص ٣١٥ .

٢٨- الكتاب ١/ ١٥ .

٢٩- الكتاب ١/ ٢١ .

٣٠- شرح السيرافى ٢/ ٣٩ .

٣١- الكتاب ٣/ ١٩٧ .

٣٢- الكتاب ٤/ ٣٣٦ .

٣٣- التراكيب غير الصحيحة فى كتاب سيبويه ص ٢٤٩ .

٣٤- الكتاب ٢/ ٢٤ .

٣٥- الجمل فى النحو ص ٩٤ . يقول المؤلف : وإنما جاز أن تنعت رجلاً وهو نكرة فـى قولنا (مررت بـرجلٍ حسنِ الوجه) بقـولك «حسن الوجـه» فأنه نكـرة مثله وإن كـان بلفـظ المعرفة لأن إضـافته لـيست مـحضة وتقـديره الانفصال ، لأن الأصل هو قولك : مررت برجلٍ حسنٍ ، وهذا موضوعٌ مكانه .

٣٦- المرجع السابق ص ٩٠ .

٣٧- الكتاب ٢/ ٢٦ .

٣٨- الكتاب ٢/ ٦٢ .

٣٩- شرح المفصل ٢/ ١٧ .

٤٠- المرجع السابق ٢/ ١٨ .

٤١- الكتاب ٢/ ٣٩٢ .

٤٢- أطلق سيبـويه على التأكيد الوصفـى لأن التأكيد هو المؤكد فى المـعنى كما يسميـه المحض ولذلك لا يجوز كان زيد أنـت خيراً منه لأن الفصـل ههنا ليس الأول فلا يكون فيه تأكيد له .

٤٣- شرح المفصل ٣/ ١١١ .

٤٤- الكتاب ٣/ ٧٤ .

٤٥- الكتاب ٢/ ١١٢ .

٤٦- شرح المفصل ٩/ ٩ .

٤٧- المفصل ٧/ ١٢٧ .

٤٨- الكتاب ٣/ ٢٦٦ .

٤٩- الكتاب ٣/ ٢٩٩ .

٥٠- شرح المفصل ٤/ ١٠٤ .

٥١- الكتاب ١/ ١٤٥ .

٥٢- الكتاب ٣/ ٢٠٦ .

المصادر والمراجع

أ - المصادر

سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان .

كتاب سيبويه - تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٧٧م

ب - المراجع :

* الاستراباذى - رضى الدين محمد بن الحسن :
شرح الشافية لابن الحاجب ، دار الكتب بيروت لبنان ، سنة ١٩٧٥ م

* ابن الأنبارى : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد :
من أسرار العربية - تحقيق محمد البيطار - دمشق ١٩٥٧ م .

* أنيس : د. إبراهيم أنيس :
الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو - ط ٣ ، القاهرة ، سنة ١٩٩٥م .
من أسرار اللغة - الطبعة السابعة ١٩٩٤م - مكتبة الأنجلو المصرية .

* حجازى : د. محمود فهمى حجازى :
الأسس اللغوية لعلم المصطلح - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ، د.ت .

* الراجحى : د. عبده الراجحى :
التطبيق الصرفى - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ، سنة ١٩٧٣ .

* الزجاج : أبو اسحق الزجاج
ما ينصرف وما ينصرف - تحقيق د. هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجى، ١٩٩٤م .

* الزجاجى - أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق .
الإيضاح فى علل النحو - تحقيق د. مازن المبارك - دار النفائس ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٨٦م .
الجمل فى النحو - تحقيق على توفيق الحمد ، اليرموك الأردن ، دار الأمل - ط٣ ، الأردن ، سنة ١٩٨٦ م .

* السيرافى : أبو سعيد :
شرح كتاب سيبويه الجزء الأول تحقيق د. رمضان عبد التواب - ودكتور محمود فهمى حجازى ود. محمد هاشم عبد الدايم - الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م .
شرح كتاب سيبويه تحقيق د. رمضان عبد التواب ، الجزء الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .

* الفرنوانى : رفعت :
أصوات العربية فى ضوء المنهج المقارن - الطبعة الثانية ١٩٩٣ .

* ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل :
لسان العرب - دار المعارف تحقيق عبد الله على الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلى - دار المعارف - القاهرة ، د.ت.

* ياقوت : محمود سليمان ياقوت :
التراكيب غير الصحيحة نحوياً فى «الكتاب لسيبويه» - دار المعرفة - الاسكندرية ، سنة ١٩٨٥ م .

* ابن يعيش : موفق الدين يعيش بن على :
شرح المفصل - عالم الكتب بيروت - مكتبة المتنبى ، القاهرة

الشاهد القرآني
عند ابن هشام اللخمي ت ٥٧٧ هـ

بقلم الدكتور
مجدي إبراهيم يوسف

أولاً: المقدمة :

موضوع هذه الدراسة : الشاهد القرآني عند ابن هشام اللحمي ت ٥٧٧ هـ ، وتعتمد هذه الدراسة على كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان) ، بتحقيق الباحث الأسباني خوسيه بيريث لاثارو .

وابن هشام اللخمي[1] هو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام ابن إبراهيم بن خلف اللخمي ، نحوي لغوي ، ولد في إشبيليه ، وأقام في سبته ، وتوفي سنة ٥٧٧ هـ ، وكانت له مناظرات مع أبي بكر محمد بن طاهر

تاريخ استلام البحث ١٩٩٧/٤/٥م، وتاريخ قبوله ١٩٩٧/٧/٧م.

(١) انظر في ترجمته: إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لليماني ٢٩٨، التكملة لكتاب الصلة ٦٧٥/٢، الذيل والتكملة ٧٠/٦، ٧٥، الوافي بالوفيات ١٣١/٢، البلغة في أئمة اللغة ٢٠٩، بغية الوعاة ٤٨/١، كشف الظنون ١٨٤٧/٢، هدية العارفين ٩٧/٢، الأعلام للزركلي ٣١٨/٥. وانظر أيضاً ما كتبه المحدثون في بحوثهم.

د. عبد العزيز الأهواني – ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة – مجلة معهد المخطوطات العربية– المجلد الثالث سنة ١٩٥٧ ص ١٢٧ : ١٥٧، ومن ص ٢٨٥ : ٣٢١.

د. عبد الكريم عوفي – ابن هشام اللخمي وآثاره مع العناية بكتابه شرح الفصيح – مجلة اللسان العربي – العدد ٣٨ سنة ١٩٩٤م ص ١٠٢ : ١١٢.

الإشبيلى ت ٥٨٠ هـ . أخذ العلم عن أبى بكر بن العربى ت ٥٤٣ هـ ، وأبى طاهر السلفى ت ٥٧٦ هـ ، وابن مضاء اللخمى القرطبى ت ٥٩٢ هـ .

لقد كان العلماء يحتجون فى مؤلفاتهم فى لحن الغامة بآيات من القرآن الكريم لتصحيح اللحن أو الخطأ فى الكلام ، ومن ثَمّ فقد اتخذوا من آيات القرآن الكريم معياراً لتحديد الخطأ والصواب فى الكلام ، فما وافق القرآن يعد فصيحاً ، وما خالفه يدخل فى دائرة اللحن والخطأ فى الكلام . وابن هشام اللخمى ت ٥٧٧ هـ واحد من علماء التأليف فى لحن العامة ، فكتابه يصور لغة أهل الأندلس وما طرأ عليها من تغيرات فى القرن السادس الهجرى .

لقد كان ابن هشام يحتج فى كتابه بالشعر والقرآن وأقوال العرب والأحاديث النبوية ، ولكن هذه الدراسة تقتصر على دراسة الشاهد القرآنى ، وذلك لبيان أهميته ودراسة الظواهر اللغوية ، ومن هنا كانت أهمية هذه الدراسة .

وتهدف هذه الدراسة إلى :

١ - التعرف على خصائص اللهجات العربية فى الأندلس فى القرن السادس الهجرى ، فقد كان ابن هشام اللخمى يعرض فى كتابه اللهجات المستخدمة فى عصره ، ثم يذكر اللغة الفصيحة فيها اعتماداً على الشاهد القرآنى .

٢ - دراسة القضايا اللغوية فى الشاهد القرآنى فى ضوء مجالات البحث اللغوى الحديث .

٣ - محاولة تفسير الظواهر اللغوية فى ضوء البحث اللغوى الحديث .

٤ - دراسة القراءات القرآنية التى تناولها ابن هشام اللخمى ، فقد اتخذ من قراءة بعض القُرّاء معياراً للفصاحة .

٥ - الكشف عن أهمية الشاهد القرآنى بوصفه معياراً للفصاحة فى كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمى ت ٥٧٧ هـ .

تعتمد مادة هذه الدراسة على الشواهد القرآنية التى احتج بها ابن هشام اللخمى ت ٥٧٧ هـ فى كتابه ، لتصحيح ظاهرة من الظواهر اللغوية ، وقد بلغ عدد هذه الآيات : سبعاً وخمسين آية وجزء من آية .

ولكتاب ابن هشام أهمية كبرى فى تاريخ التأليف فى لحن العامة ، فقد ألفه ليرد به على كل من الزبيدى ت ٣٧٩ هـ فى كتابه لحن العامة ، وابن مكى الصقلى ت ٥٠١ هـ ، فى كتابه تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، ثم أورد بعد ذلك مباحث تمثل ما آلت إليه العربية فى الأندلس فى القرن السادس الهجرى ، والكتاب قام بنشره وتحقيقه خوسيه پيريث لاثارو بمدريد فى أسبانيا سنة ١٩٩٢ م . ويمكن أن ننظر إلى هذا الكتاب على أنه مكون من ثلاثة أقسام .

القسم الأول : جعله ابن هشام اللخمى فى الرد على كل من : الزبيدى ت ٣٧٩هـ، وابن مكى الصقلى ت ٥٠١ هـ ، وقد صرح المؤلف نفسه بذلك، يقول (وألَّف الزُّبيدى - رحمه الله - فى لحن عامة زمانه وما تكلمت به فى أوانه فتعسف عليهم فى بعض الألفاظ وأنحى عليهم بالإغلاط وخطّأهم فيما استعمل فيه وجهان وللعرب فيه لغتان . فأوردتُ فى هذا الكتاب جميع ذلك وما تعسّف عليهم هنالك ، وبيَّنت ما وقع فى كلامه من السهو والغلط والتعنيت والشطط . وأردفته بذكر أوهام ابن مكى فى كتابه المسمى بتثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، وابتدأت بالرد عليهما فيما أنكراه . . .)[1] .

القسم الثانى : أفرده ابن هشام ليذكر فيه أخطاء عامة زمانه فى الأندلس ، يقول (. . . وأضفتُ إلى ذلك كثيراً مما لم يذكراه - يقصد الزُّبيدى ، وابن مكى - مما غُيِّر فى زماننا ولَحَنتْ فيه عَوامنا)[2] ، ويضم هذا القسم ثلاثة أبواب[3] .

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ص ١٢ تحقيق خوسيه پيريث لاثارو - مدريد ١٩٩٠ م .

(٢) نفسه .

(٣) يقع هذا القسم فى الصفحات من ٩٩ : ٣٧٧ من المطبوع .

أ - باب ما جاء عن العرب فيه لغتان فأكثر ، استعملت العامة منها أضعفها ، وربما استعملت أقواها ، وربما عدلت عن الصواب فى ذلك ونطقت باللحن .

ب - باب ما تلحن فيه العامة مما لا يحتمل التأويل ، ولا عليه من لسان العرب دليل .

جـ - باب ما جاء لشيئين أو لأشياء ، فقصروه على واحد .

وأما القسم الثالث من الكتاب فقد ذكر فيه ابن هشام اللخمى ما تمثلت به العامة فى أقوالهم ، ثم ردّه إلى ما أُخِذ منه من أقوال الشعراء ، وقد جاء هذا القسم تحت عنوان «مما تمثلت به العامة ، مما وقع فى أشعار المتقدمين والمحدثين، تَلَقّنوها من الفصحاء ، وهم لا يعرفون الأشعار التى أخذت منها ، وربما حرّفوا بعض ألفاظها»[1] .

ومن أمثلة ذلك :

أ - قولهم : «الحُرُّ حُرٌّ وإنْ مَسَّهُ الضُّرُّ» ، وإنما وقع : «وإنْ ألَمَّ بـه الضُّرُّ» ، قال الشاعر :

والحُرُّ حُرٌّ وإنْ ألَمَّ بـه الـضُّـرُّ فـيـه العَفَافُ والأَنَفُ

ب - وقولهم[2] : «اضعف من حُجَّة نَحْوِى» ، وهو عجز بيت لأبى الحسين أحمد بن فارس صاحب مُجْمل اللغة ، وقبله :

مَرَّتْ بنا هَيْفَاءُ مَقْدُورَةٌ تُرْكِيَّةٌ تُعْزَى لِتُرْكِىّ
تَرْنُو بِطَرْفٍ فَاتِنٍ فَاتِرٍ أَضْعَفَ مِن حُجَّةِ نَحْوِىّ

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٨١ .

(٢) نفسه : ٣٨٧ .

جـ - وقولهم[1] : «لا نَاقَةٌ لِيَ فى هـذا ولا جَمَلُ» ، هو عجز بيت للراعى ، وصدره :

ومـاصَرَمْتُكِ حـتـى قلْتِ مُعْلِنَةً لا نَاقَةٌ لِيَ فـى هــذا ولا جَمَلُ

د - وقولهم[2] : «لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ» مأخوذ من بيت ضابىء البُرْجُمِيّ :

لِكُلِّ جَدِيـدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّنـى وجَدْتُ جَدِيـدَ المَوْتِ غَيـرَ لَذِيـذِ

هـ - وقولهم[3] : «ما الحُبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوّلِ» ، وهـو عجز بيت لأبى تمام ، وصدره :

نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيْثُ شِئْتَ من الهَوَى

وبهذا القسم الثالث يكتمل كتاب ابن هشام اللخمى ، الذى جعله كما قال (.... مدخلاً إلى تقويم اللسان وتعليم الفصاحة ، التى هى جمال الإنسان)[4] .

ويرجع السبب فى اختيار هذا الكتاب إلى عدة أمور ، وهى :

أولاً : أن هذا الكتاب يصور حال العربية فى الأندلس فى القرن السادس الهجرى وما آلت عليه على ألسنة الخاصة ، وذلك أن اللحن كان قد تجاوز العامة إلى الخاصة من الكُتّاب والأدباء . وقد صرح ابن هشام بأن الخاصة هم الكُتّاب والأدباء ، فى عدة مواضع منها :

أ - يقول فى مقدمة كتابه (... ولقد شهدت بعض من ينتمى بزعمه إلى الأدب وينسل إليه من كل حَدَب ، وقد استعمل فى كلامه الخِرْبِزَ ، فساله بعض الحاضرين عنه ، فقال : هو البَطِّيخ بفتح الباء ، وهذا من أقبح

(1) المدخل : ٣٨٨ .
(2) نفسه : ٣٩١ .
(3) نفسه : ٤٠٨ .
(4) نفسه : ١٢ .

القبيح ، أن يستعمل اللغة الغريبة ، وقد قَصّر عن تصحيح المستعملة القريبة)[1] .

ب - ويقول في موضوع آخر (فأما قول بعض الخاصة من الكُتّاب الأدباء «سيما» بغير «لا» فذكر الزبيدى أنه لا يجوز حذف «لا» البته)[2] .

جـ - ويقول ابن هشام في موضع ثالث (وقول الخاصة في المثل : يا حَامِلُ أذكُرْ حَلاً ، قال ابن جنى هذا تصحيف ، وإنما الصواب : ياحابِل بالباء ، أى يا مَنْ يَشُدُّ الحَبْلَ)[3] .

ويفهم من هذه النصوص أن اللحن كان قد تجاوز عامة أهل الأندلس في القرن السادس الهجرى ، حتى أصاب الخاصة من الكتاب والأدباء .

ثانياً: أن هذا الكتاب رد فيه ابن هشام اللخمى على كل من الزبيدى ، وابن مكى الصقلى ، وهذا معناه أن بعض الظواهر اللغوية كانت موجودة حتى عصر ابن هشام ، ومن ثم فقد أيدً بعضها وخالف الآخر .

ثالثاً: أن ابن هشام كان يتخذ من الشاهد القرآنى والقراءات القرآنية معياراً لتحديد الخطأ والصواب في الكلام .

أما الدراسات السابقة الدراسة فإنها لم تتناول الشاهد القرآنى في كتب لحن العامة بصفة عامة أو كتاب ابن هشام اللخمى ت ٥٧٧ هـ ، «المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان» بصفة خاصة ، ومن هنا كانت أهمية هذه الدراسة، فهى أول دراسة في هذا المجال ، وأما دراسة الدكتور عبد العزيز مطر فقد تناولت ثلاثة كتب بالتحقيق والدراسة ، ولم يكن كتاب ابن هشام واحداً منها ، فضلاً عن أنه لم يتعرض لدراسة الشاهد القرآنى في تلك الكتب ، وأما الكتب التى تناولها الدكتور مطر بالدراسة فهى :

---

(١) المدخل : ١٢ . (٢) نفسه : ١٥٥ . (٣) نفسه : ٤٠٣ .

أ - كتاب لحن العامة للزبيدى ت ٣٧٩ هـ .

ب - كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكى الصقلى ت ٥٠١ هـ .

جـ - كتاب تقويم اللسان لابن الجوزى ت ٥٩٧ هـ .

وأمّا كتاب «المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان» لابن هشام اللخمى ت ٥٧٧ هـ ، فقد قام بتحقيقه خوسيه پيريث لاثارو ، ويقع فى جزئين ، الأول تناول تحقيق الكتاب وقد كُتب المتن بالعربية ، أما هوامش الكتاب فكتبت بالأسبانية . والجزء الثانى فيه دراسة عن الكتاب كتبت بالأسبانية ، وقد نُشِر الكتاب بمدريد بأسبانيا سنة ١٩٩٢ م .

وأما دراسة الدكتور عبد العزيز الأهوانى فإنها لم تتعرض للشاهد القرآنى فى كتاب ابن هشام اللخمى ، ولكنها اقتصرت فقط على دراسة الألفاظ المغربية فيه ، وقد جاءت بعنوان (ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة» ، وهو بحث منشور فى مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ١٩٥٧ م ، من ص ١٢٧ : ١٥٧ ، ومن ص ٢٨٥ : ٣٢١ .

وثمة دراسة أعدها الدكتور عبد الكريم عوفى ، عن شرح ابن هشام اللخمى لكتاب الفصيح لثعلب ، وقد جاءت هذه الدراسة بعنوان (ابن هشام اللخمى وآثاره مع العناية بكتابه شرح الفصيح) ، ونشرت فى مجلة اللسان العربى العدد ٣٨ سنة ١٩٩٤ م من ص ١٠٢ : ١١٢ .

ومن هنا فإن دراسة لمّا تعد عن الشاهد القرآنى عند ابن هشام اللخمى من خلال كتابه المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ، ومن ثمَّ فإن هذه الدراسة تعد دراسة غير مسبوقة فى هذا المجال .

وأما مصادر هذه الدراسة فأهمها : كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمى ، وهناك كتب أخرى سيرد ذكرها فى قائمة المصادر

والمراجع ، ويكفى أن نشير إلى أهمها ، مثل : كتاب سيبويه ، والمقتضب للمبرد ، والأصول لابن السراج ، والخصائص لابن جنى ، وما تلحن فيه العامة للكسائى ، ولحن العامة للزبيدى ، وتثقيف اللسان لابن مكى الصقلى . وثمة كتب تتصل بإعراب القرآن ، منها : معانى القرآن للفراء ، وإعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ، والحجة فى علل القراءات لأبى على الفارسى ، والمحتسب لابن جنى ، وإعراب غريب القرآن لابن الأنبارى ، والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ، وغير ذلك كثير مما سيرد ذكره فى قائمة المصادر والمراجع .

ثانياً : القضايا اللغوية فى الشاهد القرآنى :

يمكن تصنيف القضايا اللغوية التى تناولها ابن هشام اللخمى واستشهد عليها بشواهد قرآنية فى كتابه المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ، حسب مجالات الدرس اللغوى التالية :

١ - الأصوات والرسم الإملائى .

٢ - بناء الكلمة (التصريف) .

٣ - التركيب (النحو) .

٤ - الدلالة .

وفيما يلى توضيح ذلك :

١ - الأصوات والرسم الإملائى :

استشهد ابن هشام اللخمى فى كتاب المدخل بشواهد قرآنية تناولت قضايا تتصل بالأصوات من ناحية ، وبالرسم الإملائى من ناحية أخرى .

أما القضايا التى تتصل بالأصوات فقد تمثلت فى التخفيف ، والإدغام ، والإبدال ، والحذف ، والإشباع ، وفيما يلى بيان ذلك :

ا - التخفيف

وقد تمثلت هذه الظاهرة فى تخفيف الهمزة كما يلى :

ذكر ابن هشام[١] أن العامة تقول فى المائدة : مَيْدَةٌ ، ووصفها بأنها أضعف من المائدة ، واستشهد على فصاحة المائدة بقوله تعالى : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾[٢] ، يقول (والمائدة وفيها لغتان : مَائِدَةٌ وهى أفصح ، وهى لغة القرآن ، . . . والجمع موائد ، ويقال لها أيضاً : مَيْدَةٌ كما تنطق بها العامة ، وهى أضعف)[٣] .

ويفهم من هذا النص أن عامة أهل الأندلس كانوا يميلون إلى تخفيف الهمزة بإبدالها حرف لين ، فكلمة (مائدة) صارت (مَيْدة) ، ولعل السبب فى هذا ميل اللغة إلى السهولة والتيسير ، فالهمزة من أشد الحروف (. . . لأنه بَعُدَ مخرجها ولأنها نبرة فى الصدر تخرج باجتهاد ، فهى أبعد الحروف مخرجًا فثقل عليهم ذلك ؛ لأنها كالتهوع)[٤] .

ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس[٥] أن الهمزة المحققة مخرجها من المزمار نفسه، فعند النطق بها تنطبق فتحة المزمار ، انطباقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحق ، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجارى هو ما نعبر عنه بالهمزة . فالهمزة إذن صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ؛ لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً ، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائى الذى ينتج الهمزة .

---

(١) انظر المدخل : ١٠٢ .

(٢) سورة المائدة : الآية رقم ١١٤ .

(٣) المدخل : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٤) الكتاب : ٥٤٨/٣ .

(٥) انظر الأصوات اللغوية : ٧٢ .

ومعنى هذا أن كون الهمزة صوتاً شديداً من ناحية ، فضلاً عن انه يحتاج إلى جهد عضلى قد يزيد على اى صوت آخر من ناحية اخرى ، كل هذا جعل عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى يميلون إلى التخلص من الهمز ميلاً للسهولة والتيسير ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس (ولا شك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً عاماً ثم انفراج المزمار فجأة ، عملية تحتاج إلى جهد عضلى قد يزيد على ما يحتاج إليه اى صوت آخر ، مما يجعلنا نعد الهمزة أشد الأصوات ، ومما جعل للهمزة احكاماً مختلفة . . .)[1] .

يتضح من هذا أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى كانوا يميلون إلى التخلص من الهمزة بإبدالها حرف لين ، كما فى قولهم : مَيْدة بدلاً من مائدة .

ب - الإدغام

وقد تمثلت هذه الظاهرة فى إدغام التاء فى الدال ، كما يلى :

استشهد ابن هشام اللخمى بقوله تعالى : ﴿ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي ﴾[2] على إدغام التاء فى الدال من يهتدى التى صارت يَهَدِّى ، يقول (ويقولون للسائل رجل مُكَدِّى بتشديد الدال ، والصواب مُكْدِ بإسكان الكاف وتخفيف الدال من قولهم حَفَرَ فأكْدَى ، اى بلغ الكَدْيَة فلم يُنْبِطْ مَاءً . وقال بعضهم : إنما أصله مُجَدٍّ من الاجتداء ، وهو طلب المعروف فصحّفته العامة ، فأبدلت من الجيم كافاً . وكان الأصل فى المُجَدِّى المُجتَدِى ، فادْغِمَت التاء فى الدال ثم ألقيت حركة الحرف المدغم على ما قبله ، كما فعل ذلك من قرأ «أَمَّنْ لا يَهَدِّى» ، والأصل فيه يهتدى)[3] .

(١) الأصوات اللغوية ٧٢ ، وانظر ايضاً فى اللهجات العربية ٧٧ .

(٢) سورة يونس : الآية رقم ٣٥ .

(٣) المدخل : ١٨٠ .

لقد استشهد ابن هشام بهذه الآية فى معرض كلامه عن قول عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى (مُكَدِّى) بتشديد الدال ، للسائل بدلاً من (مُكْدٍ) بإسكان الكاف وتخفيف الدال ، فإن كان أصل الكلمة كذلك ، فهذا معناه أن العامة حركت الساكن وهو الكاف ، وشددت ماحقه التخفيف وهو الدال .

ثم ذكر أنه قد ذهب فريق إلى أن أصل مُكْدٍ « مُجَدٍّ » من الأجتداء فصحفته العامة فابدلت من الجيم كافاً ، وكان الأصل فى المجُدِّى « المُجتَدِى» فأدغمت التاء فى الدال ثم ألقيت حركة الحرف المدغم على ما قبله ، وهنا ذكر الآية موضع الشاهد .

وإبدال الجيم كافاً أمرٌ وارد ، فقد ذكر ابن السكيت كلمات كثيرة تعرضت لمثل هذا الإبدال[١] .

ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن صوت الجيم لا يفترق من الكاف فى شيء سوى أن الجيم مجهورة والكاف مهموسة[٢] ، فالكاف صوت شديد مهموس نظيره المجهور هو الجيم القاهرية .

وأمّا إدغام التاء فى الدال من كلمة (المُجَدِّى) ، وأصلها (المُجتَدِى) مثل (يَهِدِّى) ، وأصلها (يَهتَدِى) كما فى الآية موضع الشاهد ، فإن التاء والدال كليهما صوت أسنانى لثوى ، مخرجهما واحد ، عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، والفرق بينهما أن الدال صوت مجهور نظيره المهموس هو التاء[٣] ، ومن ثم فإدغام التاء فى الدال وارد ، وقد ذكر ابن السكيت[٤] أمثلة كثيرة لإبدال الدال والتاء .

---

(١) انظر الإبدال ، باب الكاف والجيم : ١١٨ .

(٢) انظر الأصوات اللغوية : ٦٧ .

(٣) انظر الأصوات اللغوية : ٥١ .

(٤) انظر الإبدال : ١٠٢ ، ١٠٣ .

ومعنى هذا أن عامة أهل الأندلس قلبوا الجيم إلى كاف فقالوا : مُكِدٍ فى مُجَدٍّ ، ثم قالوا : المُجَدِّى ، وأصلها المُجتَدِى فادغموا التاء فى الدال تماماً مثل إدغام التاء فى الدال فى كلمة (يهدّى) ، وأصلها يهتدى .

جـ - الإبدال

وقد تمثلت هذه الظاهرة فى إبدال صوت مكان صوت آخر ، وذلك كما يلى :

إبدال الهمزة واواً:

نقل ابن هشام اللخمى عن ابن مكى الصقلى - فى معرض رده عليه - ما ذكره من أن الناس (يقولن : واسَيْتُكَ بِمَالى ووَاكَلْتُ فلاناً ووَازيْتَهُ ووَاجَرْتُ دَابَّتى ووَاخَذتُّه بِذَنْبِه ووَاتَيْتُهُ على ما يريد . والصواب آسَيْتُك بمالى وآكَلْتُ فلاناً وآزيْتَه إذا جلست بإزائه وآجَرْتَ دابّتى وآخَذتُّه بذنبه وآتَيْتُكَ على ما تريد)[1] .

وقد ذهب ابن هشام إلى أن ما ذكره ابن مكى هو القياس[2] ، وإن كان يرى أنه غير ممتنع أن يأتى بالواو ، فقد حكى عن الأخفش : آخذته وواخذته[3] واستشهد على ذلك بقراءة ورش[4] ﴿ لا يُوَاخِذُكُمُ اللّه ﴾[5] .

ويفهم من هذا النص أن عامة أهل الأندلس كانت تقلب الهمزة واواً ، وقد ذهب ابن السيد البطليوسى إلى أن «آخّذته بذنبه» أفصح اللغات ، وهو

---

(١) المدخل ٨٥ ، وانظر تثقيف اللسان : ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) انظر المدخل : ٨٥ . (٣) نفسه . (٤) نفسه .

(٥) سورة البقرة : الآية رقم ٢٢٥ ، سورة المائدة : الآية رقم ٨٩ ، وفيهما بإثبات الهمز فى المصحف .

القياس لأنه فاعل من اخذ يأخذ ، وذهب إلى أن «واخدته - لغة غير مختارة ولا فصيحة»[1] .

ويبدو أن قلب الهمزة إلى واو راجع إلى السهولة والتيسير ، فالهمزة صوت حلقى مخرجه من أقصى الحلق ، أما الواو فهى صوت شفوى ، يخرج من بين الشفتين ، والهمزة تعد من اشد الأصوات ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس (فالهمزة . . . صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً . . . ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ، ذلك الإنفراج الفجائى الذى ينتج الهمزة ، ولا شك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً تاماً ، ثم إنفراج المزمار فجاءة عملية تحتاج إلى جهد عضلى قد يزيد على ما يحتاج إليه أى صوت آخر، مما يجعلنا نعد الهمزة أشد الأصوات ، ومما جعل للهمزة احكاماً مختلفة فى كتب القراءات . . .)[2] .

وقد عرفت العربية كلمات كثيرة ابدلت فيها الهمزة إلى واو ، مثل[3] : أَرَّختُ الكتاب ووَرَّختُه ، وأكَّدتُ العهد ووكَّدتُه ، وآخيْتُه وواخيْتُه . ولا شك أن هذا كله مما يدخل فى إطار السهولة والتيسير .

إبدال العين غنياً:

ذكر ابن هشام اللخمى أن الناس يقولون : بَحْرٌ غَمِيقٌ ووادٍ غَمِيقٌ بالغين معجمة ، والصواب : عَمِيقٌ بالعين غير معجَمة[4] .

---

(١) انظر الاقتضاب شرح ادب الكتاب : ٢/ ١٧١ .

(٢) الأصوات اللغوية : ٧٢ .

(٣) انظر كتاب الإبدال لابن السكيت ، باب الهمزة والواو : ١٣٨ .

(٤) انظر المدخل : ١٨٨ ، وتثقيف اللسان : ٧٠ .

ثم ذكر أنه قُرِئَ فى الشاذ ﴿ مِن كُلِّ فَجٍّ غَمِيق ﴾[1] ، هكذا بالغين بدلاً من العين ، وقد زعم قوم أن كل ما كان منبسطاً على وَجهِ الأرض قيل له عَمِيق بعين غير معجمة ، وما كان هاوياً إلى أسفل قيل فيه غَمِيق بالغين معجمة، يقال : فَجٌّ عَمِيقٌ ، وبئر غَمِيقَةٌ ، ولكن العين غير معَجَمة أشهر وأعرف فى كل شىء[2] .

وهذا معناه أن عامة أهل الأندلس كانوا يبدلون العين غيناً وقد أورد ابن السكيت أمثلة كثيرة لكلمات قلبت فيها العين إلى غين[3] .

إن السمة التى تجمع بين العين والغين تتمثل فى أنهما من الأصوات الحلقية، فالغين صوت رخو مجهور مخرجه أدنى الحلق إلى الفم ، أما العين فهى صوت مجهور ، مخرجه وسط الحلق ، وهى أقل رخاوة من الغين[4] .

إبدال القاف كافاً:

ذكر ابن هشام اللخمى[5] إن الناس يقولون للعَظْم المُشْرِفِ على الصدر : تَرَكَه[6] ، ثم قال والصواب : تَرْقُوَة ، والجمع التَّرَاقِى ، واستشهد بقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾[7] .

وهنا معناه أن عامة أهل الأندلس كانوا يقلبون القاف إلى كاف ، وقد أورد ابن السكيت أمثلة كثيرة لهذا القلب[8] .

---

(١) سورة الحج : الآية ٢٧ .

(٢) انظر المدخل ١٨٨ ، وتثقيف اللسان : ٧٠ .

(٣) انظر الإبدال ، باب العين والغين : ١١١ وما بعدها .

(٤) انظر الأصوات اللغوية : ٧١ .

(٥) انظر المدخل : ٢٥٥ .

(٦) انظر لحن العامة للزبيدى : ١٢٢ ، وتثقيف اللسان لابن مكى : ٩٥ .

(٧) سورة القيامة : الآية رقم ٢٦ .

(٨) انظر الإبدال ، باب القاف والكاف : ١١٣ .

والقاف والكاف كلاهما من أصوات أقصى الحنك ، وكلاهما صوت شديد مهموس[1] .

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس (... على أننا نستنتج من وصف القدماء لهذا الصوت أنه ربما كان يشبه تلك القاف المجهورة التى نسمعها الآن بين القبائل العربية فى السودان وبعض القبائل فى جنوب العراق)[2] .

وقد تطور صوت القاف بانتقال مخرجه إلى الأمام باحثاً عن أقرب الأصوات شبهاً به من الناحية الصوتية ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس (... أما فى الانتقال بمخرج القاف إلى الأمام فنجد أن أقرب المخارج لها هو مخرج الجيم القاهرية والكاف ، فلا غرابة أن تتطور القاف إلى أحدهما ... على أنه إذا تم تطور أمامى آخر فى المستقبل للقاف ... فسيكون حتماً بأن تقلبها كافاً)[3] .

د - الحذف

وقد تمثلت هذه الظاهرة فى حذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وذلك كما يلى :

أورد ابن هشام[4] قراءة بعض القرّاء ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَد ﴾[5] ، شاهداً على حذف التنوين من «أحد» لالتقاء الساكنين .

وكان ابن هشام قد ذكر هذه القراءة فى معرض رده على ما حكاه ابن مكى الصقلى من أن الناس يقولون فى التأريخ : وذلك فى ربيع الأوَّل ، بحذف

(1) انظر الأصوات اللغوية : ٦٧ .

(2) نفسه : ٦٧ .

(3) نفسه : ٦٩ .

(4) انظر المدخل : ٩٥ .

(5) سورة الإخلاص : الآيتان : ١ و ٢ وقراءة المصحف بتنوين (أحدٌ) .

التنويـن من «ربيع» يجعـلونه علـــى الإضافة والصواب فى ربـيعِ الأوّلِ على النعت(١) .

ومذهب ابن هشام أن حذف التنوين هنـا لالتقاء الساكنين ، وقد ذهب إلى ان حذفه ليس بخطأ لـكونه مسموعاً فاشياً فى كثير مـن الكلام والشعر ، حتى كأنه لكثرته يكون أصـلاً مطرداً يقاس عليه(٢) ، وذهب إلى أن التـنوين ضارع حروف المد والـلين بما فيـه من الغُنّة ، وقد وجب فـى حروف المد واللـين أنها تحذف إذا سكنـت ولاقت ساكناً ، فحُمِلَ الـتنوين عليـها بالشبه ، فـحذف كما حُذفت(٣) .

وقد عدّ ابن خـالويه قراءة حذف التنويـن من الشواذ ، وذكر أنها لنـصـر ابن عاصم وأبى عمرو ، وقد رويت عن عمر رضى الله عنه(٤) .

وكان الـفراء يرى أن الـتنوين أجـود ، وأن الحذف ليـس الوجه ، يـقول (والذى قرأ «أحد الله الصـمد» بحذف النون من «أحد» ، يـقول : النون نون الإعراب إذا استقبلتها الألف واللام حذفت ، وكـذلك إذا استقبلها ساكن فربما حذفت وليس بالوجه . . . والتنوين أجود)(٥) .

وأكثر النحويين يـذهبون إلى أن التنوين إنما حذف لالتقـاء الساكنين ، وكان فى هذا لازمًا ؛ لأنهما بمنزلة شىء واحد(٦) .

وسيبـويه يرى أن المختار فـى التنوين الـتحريك لالتـقاء الساكـنين ، وعقد

---

(١) المدخل : ٩٥ ، وانظر تثقيف اللسان : ٢٧٠ .

(٢) انظر المدخل : ٩٥ .

(٣) انظر السابق : ٩٧ .

(٤) مختصر فى شواذ القرآن : ١٨٢ .

(٥) معانى القرآن : ٣/ ٣٠٠ ، وانظر إعراب القرآن للنحاس : ٥/٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٦) انظر المقتـضب : ٢/٣١١ ، وراجـع البيـان فى إعراب غـريب الـقرآن لابن الأنـبارى : ١/ ٣٩٧ ، ٢/١٥٥، ٥٤٥ ، الإنصاف فى مسائل الخلاف : ٢/ ٦٥٩ وما بعدهـا ، مغنى اللبيب لابن هشام : ٨٤٤ .

لذلك باباً سماه (هذا باب ما يذهب التنوين فيه من الأسماء لغير إضافة ولا دخول الألف واللام ، ولا لأنه لا ينصرف ، وكان القياس أن يثبت التنوين فيه)[1] ، وقد جاء فى هذا الباب قول سيبويه (. . . وسائر تنوين الأسماء يحرَّك إذا كانت بعده ألف موصولة ؛ لأنهما ساكنان يلتيقان فيحرك الأول كما يحرك المسكَّن فى الأمر والنهى)[2] .

وذهب المبرد إلى أن الوجه فى الآية إثبات التنوين ، وأن حذفه جائز[3] ، وكان يرى أن الوجه فى التنوين التحريك ؛ لالتقاء الساكنين ؛ لأن الحذف إنما يكون فى حروف المد واللين خاصة ، وإنما جار فى التنوين لمضارعته إياها ، وأنه يقع كثيراً بدلاً منها ، وتزاد فى الموضع الذى تزاد فيه ، فلمّا أشبهها وجرى معها أجرى مجراها[4] .

ومعنى هذا أن عامة أهل الأندلس كانوا يميلون إلى حذف التنوين .

هـ - الإشباع

وقد تمثلت هذه الظاهرة فى إشباع الحركة كما يلى :

استشهد ابن هشام بقوله تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[5] ، على ان بعوضة بدون ألف هى الصواب ، وباعوضة غلط ، يقول (ويقولون : بَاعُوضَةٌ ، وفى الجمع بَاعُوضٌ ، والصواب : بَعُوضَةٌ والجمع بَعُوضٌ)[6] .

ومعنى هذا أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى كانوا يميلون إلى مطل الحركات ، ويترتب على ذلك نشوء حركة من جنسها ، وقد عرف

(١) الكتاب : ٣/ ٥٠٤ .
(٢) نفسه : ٣/ ٥٠٥ .
(٣) انظر المقتضب : ٢/ ٣١٣ .
(٤) انظر السابق : ٢/ ٣١١ .
(٥) سورة البقرة : الآية ٢٦ .
(٦) المدخل : ١٩٦ ، وانظر تثقيف اللسان : ١٠٧ .

ابن جنى هذه الظاهرة ، وتكلم عنها فى باب مطل الحركات[1] ، يقول فيه (وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها ، فتنشىء بعد الفتحة الألف ، وبعد الكسرة الياء ، وبعد الضمة الواو)[2] .

الرسم الإملائى

يتصل بالرسم الإملائى قضيتان اثنتان، الأولى: مَد ما حقه القصر والهمز، والثانية، استخدام الهاء بدلاً من التاء فى الكتابة وفيما يلى بيان ذلك:

١ - مَدّ ما حقه القصر والهمز:

ذكر ابن هشام اللخمى[3] أن «الخَطَأ» بالقصر والهمز هى اللغة العليا ، والخَطَاء بالمدّ دونها ، وعَدّ من ذلك قراءة الحسن ﴿ وما كَانَ لِمُؤْمِنٍ أن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلاَّ خطَاء ﴾[4] ، هكذا بالمد .

وقد عَدّ الفراء[5] (الخطأ) من المهموز المقصور الذى لا نظير له .

وعَدّ ابن خالوية[6] قراءة المدّ من الشاذ .

وجاء فى اللسان (الخَطَأُ والخَطَاءُ : ضد الصواب . . . وقد يُمَدُّ الخَطَأُ ، وقُرِىءَ بهما قوله تعالى : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خطَاء ﴾[7] .

وكلمة (خطَأ) هكذا الصواب فى كتابتها ، فالهمزة إذا كانت آخراً وقبلها فتحة كتبت ألفاً على كل حال[8] ، ويقول ابن السراج (. . . تكتب جميع هذا فى الرفع والنصب والخفض بالألف ، فإن أضفت الحرف إلى اسم ظاهر فهو

---

(١) انظر الخصائص : ٣/١٢٢ . (٢) نفسه .

(٣) انظر المدخل : ١٠٩ ، وراجع تثقيف اللسان : ٢٢٨ .

(٤) سورة النساء : الآية رقم ٩٢ . (٦) انظر مختصر فى شواذ القرآن : ٢٨ .

(٥) انظر المقصور والممدود : ٥٠ . (٧) اللسان (خطأ) . (٨) انظر الجمل : ٢٧٩ .

على حاله تكتبه بألف نحو : هذا خطأ زيد ، ورأيت خطأ زيد ، وسمعت بخطأ زيد ، فإن أضفته إلى مضمر كتبت الهمزة على حركتها ، تكتبها في الخفض بالياء ، وفي الرفع بالواو ، وفي النصب بالألف ، تكتب : هذا خطؤه ، بواو ، ومن خطئه بياء ، ورأيت خطأه بالألف . . . .)[1] .

ب - ما كتب بالهاء بدلاً من التاء :

نقل ابن هشام في رده على الزبيدي[2] تخطئته لكتابة «مناه» بالهاء بدلاً من التاء في قول حبيب[3] .

إِحْدَى بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاهِ   بَيْنَ الكَثِيبِ الفَرْدِ فَالأَمْوَاهِ

وكان الزبيدي قد احتج بقوله تعالى : ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾[4] ، ونقل ابن هشام[5] ، عن الزبيدي أن الصواب : عَبْدُ مَنَاةَ بالتاء مثل عبد يَغُوث وعبد وَدّ وعبد العزَّى ، وهي أصنام كانت العرب تتعبد لها[6] .

وقد ردّ ابن هشام[7] على الزبيدي بأن أبا تمام لم يغلط ، ولكنه أجرى الوصل مجرى الوقف ضرورة ، فلما كان الوقف على مناة بالهاء كما يوقف على اللات بالهاء أجراها في الوصل ذلك المجرى ، والعرب كثيراً ما تفعل ذلك ، تجري الوصل مجرى الوقف ، والوقف مجرى الوصل .

---

(١) الهجاء والخط ، مطبوع في مجلة المورد ص ١٢٠ - المجلد الخامس - العدد الثالث سنة ١٩٧٦ ، وانظر أيضاً كتاب الهجاء لابن الدهان : ٤٠ .

(٢) انظر المدخل : ٥٨ .

(٣) البيت لأبي تمام ، انظر الديوان : ٣/ ٣٤٣ ، ولحن العامة للزبيدي ت ٢٣٨ هـ ، تثقيف اللسان ٥٤ ، اللسان (منى) .

(٤) سورة النجم : الآية ٢٠ .

(٥) انظر المدخل : ٥٨ .

(٦) المدخل : ٥٨ ، وانظر لحن العامة للزبيدي ٢٣٨ هـ ، وقد أورد المحقق د. عبد العزيز مطر هذا النص في ملحقات الكتاب التي لم ترد في المخطوط بل وردت منسوبة إلى الزبيدي في كتب أخرى ، منها المخل إلى تقويم اللسان لابن هشام .

(٧) انظر المدخل : ٥٩ .

٢ - بناء الكلمة :

استشهد ابن هشام اللخمى فى كتابه المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان بشواهد قرآنية على بعض الظواهر المتعلقة ببناء الكلمة والتصريف ، ويمكن أن ننظر إلى هذه الظواهر ، من حيث التشديد والتخفيف ، وتغيير الحركة ، والزيادة والحذف ، والجمع ، وبناء فَعَّال ومفعول ، وفيما يلى بيان ذلك :

أ - التشديد والتخفيف :

استشهد ابن هشام اللخمى بآيات قرآنية على أن الناس يشددون ما حقه التخفيف أو العكس أى يخففون ما حقه التشديد ، وبيان ذلك ما يلى :

* **تشديد ما حقه التخفيف :**

ذكر ابن هشام اللخمى[١] أن الصواب يقال «نَكَسَ» بتخفيف الكاف بدلاً من تشديدها ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[٢] . يقول (ويقولون : نَكَّسَ رأسه ، بتشديد الكاف ، والصواب : نَكَسَ بتخفيفها . . . إلاّ أن يكثر الفعل)[٣] .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾[٤] ، فقد استشهد ابن هشام بهذه الآية على أن الصواب أن يقال «نَكَبَ» بالتخفيف بدلاً من تشديد الكاف ، يقول (ويقولون : نَكَّبَ عن الطريق ، بالتشديد ، والصواب «نَكَبَ» . . . إلاّ أن يكثر الفعل)[٥] .

---

(١) انظر المدخل : ٢١٢ ، تثقيف اللسان لابن مكى : ١٦٣ .

(٢) سورة السجدة : الآية رقم ١٢ . (٣) المدخل : ٢١٢ ، وانظر تثقيف اللسان : ١٦٣ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية رقم ٧٤ . (٥) المدخل : ٢١٢ ، وانظر تثقيف اللسان : ١٦٣ .

ويفهم من هذا النص أن التخفيفَ فصيحٌ ، وأن التشديد المستخدم غير صواب ، ويبدو أن الناس استخدموا التشديد لغرض التكثير ، ذلك أن (نكَسَ راسه) معناه أماله وطأطأه من ذل وخزى[١] ، ومن ثم لمّا كانت الكلمة تفيد هذا المعنى فقد أرادوا فيها معنى المبالغة ، ومن هنا شددوا الكاف لغرض التكثير ، وقد أكد ابن هشام اللخمى هذا بقوله (والصواب نكَسَ . . . إلاّ أن يكثر الفعل)[٢] .

ويمكن أن نفسر تشديد الكاف فى قولهم (نكّبَ عن الطريق) بمثل هذا ايضاً، ذلك أن (نكَبَ عن الطريق) معناه عَدَلَ عنه[٣] .

وقد أرادوا لهذا المعنى المبالغة ، ومن ثم شددوا الكاف لغرض التكثير ، يقول ابن هشام اللخمى (. . . والصواب : نكَبَ . . . إلا أن يكثر الفعل)[٤] .

* تخفيف ما حقه التشديد :

وهو عكس الظاهرة السابقة ، ويتمثل فيما ذكره ابن هشام اللخمى[٥] من أن «غَلَّقْتُ» بالتشديد هى اللغة الفصحى ، وقد احتج على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَاب ﴾[٦] .

وكان ابن هشام قد ردّ على الزبيدى[٧] ما ذكره من أن الصواب (أَغْلَقْتُه) ، وماحكاه ابن دريد (غلَقْتُ)[٨] ، ووصفها بأنها لغة ضعيفة ، وأن الأفصح «غَلّقْتُ» .

(١) انظر اللسان (نكس) ، والمعجم الوسيط (نكس) : ٢/ ٩٩ .

(٢) انظر المدخل : ٢١٢ . (٣) انظر اللسان (نكب) ، المعجم الوسيط (نكب) : ٢/ ٩٨٨ .

(٤) المدخل : ٢١٢ ، وانظر تثقيف اللسان : ١٦٣ .

(٥) انظر المدخل : ٤٢ . (٦) سورة يوسف : الآية رقم ٢٣ .

(٧) انظر المدخل : ٤٢ ، وانظر لحن العامة للزبيدى : ٢٣٨ ، والنص الموجود فيه نقلاً عن المدخل لابن هشام ، وانظر ما تلحن فيه العامة للكسائى ، وفيه (وتقول : اغلقت الباب) .

(٨) انظر المدخل : ٤٢ ، واللسان (غلق) .

ويرى ابن هشام أن : أَغلَقتُ وغَلَقتُ وإن كانت لغـة ضعيفة فلا يجب أن تُلَحَّن بها العامة ، لأنها من كلام العرب وإن قَلّت وضَعُفت[١] .

وسيبـويه يرى أن «غَلَّقت» تفيد الـكثرة ، ولا يمنع استـخدام «أغْلَقت» ، يقول (وقالـوا : اغلقتُ البابَ ، وغَلَّقتُ الأبوابَ حـين كَثَّروا العمل . . وإن قلت أغلقتُ الأبواب كان عَربياً جيداً)[٢] واحتج سيبويه علـى استخدام اغلقت بقول الفرزدق[٣] :

مَازِلْتُ أُغلِقُ أبـــوابـاً وأفتَحُهـــا حتى أتـيـتُ أبـا عمـرو بـن عمّارِ

ثم قال سيبويه (ومثل غَلَّقت وأغلقت : أجدتَ وجَوَّدتَ وأشباهه)[٤] .

وعقد سيبويه لذلك باباً سـماه باب دخول فَعَّلتُ على فعَلتُ ، وقد أوضح فيه أن فَعّلت تفيد الكثرة ، وأن التخفيف عربى جائز[٥] .

ومثل ذلك قولـه تعالى ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾[٦] ، فقد استشــــهد ابن هشام اللخمى[٧] بهذه الآية على أن الصواب «سيِّدى» بتشديد الياء بدلاً من «سِيدِى» ، يقول ابن هشام (ويقولون : سِيدِى ، والصواب سَيِّدى . . . . . ، وكذلـك يقـولون فى المـرأة «سِتِّى ، والصـواب : سَيِّدتِى ، فأما الـسِّيدُ فـهو الذِّئبُ)[٨] .

ويفهم من هاتين الآيتين أن التشديد فصيح ، و أن التخفيف ليس صواباً ، وإذا نظرنا إلى كلمتى «غَلَّقت» بالتشـديد ، و (سيِّد) بالتشديد ، وقد استخدمتا

---

(١) انظر المدخل : ٤٢ .
(٢) الكتاب : ٤/ ٦٣ .
(٣) ديوان الفرزدق ٣٨٢ ، ابن يعيش ١/ ٢٧ ، شرح شواهد الشافية ٤٣ ، اللسان (غلق) .
(٤) الكتاب : ٤/ ٦٣ .
(٥) انظر الكتاب : ٤/ ٦٤ .
(٦) سورة يوسف : الآية ٢٥ .
(٧) انظر المدخل : ٣١١ .
(٨) نفسه ، وانظر اللسان (سود) ، وفيه عن الفراء أن السيد فى الآية الزوج ، انظر معانى القرآن للفراء ٢/ ٤١ ، وانظر اللسان (سيد) ، وفيه (السِّيدُ : الذئب) .

بالتخفيف (غَلَقت) ، (وسِيد) لأمكنا أن نرجع ظاهرة التخفيف هنا إلى السهولة والتيسير فى النطق ذلك أن تشديد اللام فى (غلّقت) يحتاج جهداً عضلياً مضاعفاً فمخرج اللام كما ذكر سيبويه (من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية)(١) ، وقد وُصف هذا الصوت بأنه منحرف (. . . لإنحراف اللسان مع الصوت)(٢) . ولا شك أن هذا الانحراف للسان الذى يحدث مع هذا الصوت يصعب على اللسان تكراره مرة أخرى ، ومن هنا نطق الناس الكلمة بدون تشديد اللام جرياً وراء السهولة والتيسير .

وكذلك كلمة (سيِّد) التى يقولونها (سِيدى) بالتخفيف بدلاً من التشديد من أجل السهولة والتيسير ، فالياء هنا منقلبة من الواو ، وأصلها : سَيْوِدٌ ، فَيْعِل(٣) ، فلمّا كان لدينا ياءان أدغموا إحدى اليائين فى الأخرى ، ومن ثَمّ كرهوا التشديد للتخفيف .

وأما كسرة السين فالظاهرة أنها لمجانسة الياء بعدها ، ومن ثمّ كانت حركتها من جنس الياء وهى الكسرة ، وقد تنبه سيبويه إلى هذا ، وعقد باباً سماه (هذا باب ما تقلب الواو فيه ياءً ، إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة ، أو كانت ساكنة والياء بعدها متحركة)(٤) ، يقول فيه (وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التى تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم إياهما ومَرّهما على ألسنتهم ، فلمّا كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها ، كان العمل من وجه واحد ورفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم ، وكانت الياء الغالبة فى القلب لا الواو ؛ لأنها أخف عليهم لشبهها بالألف ، وذلك قولك فى : فَيْعِلٍ : سَيِّدٌ وصَيِّبٌ ، وإنما أصلهما : سَيْوِدٌ وصَيْوِبٌ)(٥) .

(١) الكتاب : ٤/ ٤٣٣ .

(٢) نفسه : ٤/ ٤٣٥ .

(٣) انظر الكتاب : ٤/ ٣٦٥ .

(٤) الكتاب : ٤/ ٣٦٥ .

(٥) نفسه .

ثم أشار سيبويه إلى تغير حركة الحرف الأول من الفتح إلى الكسر ، ولكنه لم يشر إلى المجانسة بمعنى أن حركة الحرف الأول صارت كسرة لمجانسة الياء بعدها ، وسيبويه وإن كان لم يشر إلى المجانسة إلاّ أنه نقل رد أحد العلماء دون أن يذكر اسمه على الخليل بن أحمد فيما ذهب إليه من أنه كان يجب أن تبقى حركة الحرف الأول مفتوحة[1] ، يقول سيبويه (... وقد قال غيره - يقصد الخليل بن أحمد - هو : فَيْعِلٌ ؛ لأنه ليس فى غير المعتل فَيْعِل، وقالوا : غُيِّرت الحركة ؛ لأن الحركة قد تقلب إذا غُيِّر الاسم ، ألاّ تراهم قالوا : بِصْرِىُ، وقالوا : أَمَوِىٌّ ، وقال : أُخْتٌ ، وأصله الفتح ، وقالوا : دُهْرِى ، فكذلك غيّروا حركة فَيْعَلٍ)[2] .

ب - تغيير الحركة :

أورد ابن هشام اللخمى آيات قرآنية كثيرة تؤكد أن ثمة تغيرات حدثت فى ضبط بنية الكلمة على ألسنة العامة فى الأندلس فى القرن السادس الهجرى ، ثم ذكر الضبط الصحيح للبنية اعتماداً على ما استشهد به من القرآن الكريم .

وفيما يلى بيان ذلك :

* كسر ما حقه الفتح :

ذكر ابن هشام اللخمى[3] أن فتح نون كلمة (النَّوى) لاكسرها هو الصواب، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾[4] ، فالصواب هنا فتح نون النَّوى بدلاً من كسرها ، يقول (ويقولون النِّوَى بكسر النون ، والصواب النَّوَى بفتحها)[5] .

(١) انظر الكتاب : ٤/ ٣٦٥ ، وفيه عن الخليل (... ولو أرادوا «فَيْعَلٌ» لتركوه مفتوحاً) .

(٢) الكتاب ٤/ ٣٦٥ ، وانظر شرح المفصل : ١٠/ ٩٥ ، وشواهد الشافية : ٦١ ، والإنصاف : ٢/ ٧٩٥ وما بعدها .

(٣) انظر المدخل : ٢٨٨ . (٤) سورة الأنعام : الآية ٩٥ . (٥) المدخل : ٢٨٨ .

* **فتح ما حقه الكسر :**

ذكر ابن هشام اللخمى أن كسر الزاى من كلمة (مَعْزِل) لا فتحها هو الصواب واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ نَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾[1] ، فالصواب كسر الزاى فى كلمة «مَعْزِل» بدلاً من فتحها ، يقول (ويقولون : جلست بِمَعْزَلٍ ، والصواب : بِمَعْزِلٍ)[2] .

* **فتح ما حقه الضم :**

ذكر ابن هشام اللخمى أن الناس يفتحون الباء من كلمة (السُّنْبَلَة) والصواب ضمها واستشهد على هذا بقوله تعالى : ﴿ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾[3] ، فالصواب ضم الباء من «السُّنْبُلَة» بدلاً من فتحها ، يقول (ويقولون للذى فيه حَبُّ الزَّرْع : السُّنْبَلَةُ بفتح الباء ، والصواب : السُّنْبُلَةُ . . . وجمعها سَنَابِلُ)[4] .

ويبدو أن السبب فى هذه الظاهرة تأثر الباء بحركة اللام المفتوحة بعدها ، ومن ثم حركها العامة بالفتح .

ومثل ذلك قول الناس (عَرْجَون) بفتح العين ، والصواب كما ذكر ابن هشام ضمها ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾[5] ، يقول (ويقولون عَرْجُونٌ بفتح العين ، والصواب عُرْجُونٌ بضمها)[6] .

---

(1) سورة هود : الآية رقم ٤٢ .
(2) المدخل : ٢٠٢ ، وانظر تثقيف اللسان : ١٢٧ .
(3) سورة البقرة : الآية رقم ٢٦١ .
(4) المدخل : ٣٠٨ .
(5) سورة يس : الآية ٣٩ .
(6) المدخل : ٢٩٥ .

* **فتح ما حقه الإسكان :**

ذكر ابن هشام اللخمى أن إسكان الميم من كلمة (النَّمْل) لا فتحها ، هو الصواب ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾[1] ، يقول (ويقولون : النَّمَلُ بفتح الميم ، والصواب : النَّمْلُ بإسكانها ، والواحدة نَمْلَةٌ)[2] .

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾[3] ، بإسكان الزاى فى كلمة (الهزل) بدلاً من فتحها ، فالناس يقولون (الهَزَلُ فى ضد الجِدِّ ، والصواب : الهَزْل بإسكان الزاى)[4] .

وشبيه بهذا إسكان الهاء من كلمة (لَهْو) بدلاً من تحريكها كما تقول العامة[5] ، وقد استشهد ابن هشام اللخمى على صحة الإسكان بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾[6] .

* **ضم ما حقه الفتح :**

ذكر ابن هشام اللخمى[7] أن الناس يضمون الضاد من كلمة (الضَّرُّ) والصواب فتحها ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ﴾[8] ، فالصواب فتح الضاد من كلة «الضَّرُّ» بدلاً من ضمها .

ثم ذكر أن الضاد تضم إذا وردت الكلمة من غير النَّفْع ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى أخباراً عن ايوب ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[9] ،

---

(١) سورة النمل : الآية ١٨ .

(٢) المدخل : ٢٨٨ .

(٣) سورة الطارق : الآية ١٤ .

(٤) المدخل : ٣١٤ .

(٥) انظر المدخل : ٢٠٥ .

(٦) سورة الجمعة : الآية ١١ .

(٧) انظر المدخل : ٢٩٤ .

(٨) سورة الحج : الآية ١٣ .

(٩) سورة الأنبياء : الآية ٨٣ .

يقول ابن هشام (ويقولون : النُّفْعُ والضُّرُّ بضم الضاد ، والصواب النَّفْعُ والضَّرُّ بفتحها ، ثم ذكر الآية الأولى ، وقال : فإن لم تذكر النَّفْع ضممت الضاد ، وذكر الآية الثانية ، وقال معلقاً عليها : فضمٌ لما لم يقترن مع النَّفْع)[1] .

ومثل ذلك ما ذكره من أن الناس يضمون الراء من كلمة (الرِّيح) ، والصواب فتحها[2] ، واستشهد على صحة فتح الراء بقوله تعالى : ﴿ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيح ﴾[3] ، يقول (ويقولون : الرُّمَادُ بضم الراء ، والصواب : الرَّمادُ بفتحها)[4] .

* ضم ما حقه الإسكان :

ذكر ابن هشام اللخمى أن إسكان اللام من كلمة (دَلْو) لا فتحها ، هو الصواب ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَه ﴾[5] ، يقول (ويقولون : الدُّلُوْ بضم اللام وإسكان الواو ، والصواب الدَّلْوُ بإسكان اللام وإعراب الواو)[6] .

ويبدو أن السبب فى هذه الظاهرة أنهم اتبعوا حركة اللام لصوت الواو التى بعدها ، فصارت حركة اللام الضم .

* إسكان ما حقه الفتح :

ذكر ابن هشام[7] أن (الأُتْرُجَّة) فيها ثلاث لغات : أُتْرُجَّة وهى الفصيحة والجمع أُتْرُجٌ ، ويقال تُرُنْجَةٌ كما تنطق بها العامة وهى أضعف والجمع تُرُنْجُ ، ويقال أيضًا أُتْرَنْجٌ وهى اللغة الثالثة .

(1) المدخل : ٢٩٤ .
(2) انظر المدخل : ٢٠٢ .
(3) سورة إبراهيم : الآية ١٨ .
(4) المدخل : ٢٠٢ .
(5) سورة يوسف : الآية ١٩ .
(6) المدخل : ٣٤٣ .
(7) المدخل : ١٠٢ ، وانظر لحن العامة للكسائى : ١١٦ ، وتثقيف اللسان لابن مكى : ٢٣٣ .

ثم ذكر أنه يقال لها أيضاً المُتْكُ ، واحتج بقراءة من قرأ بإسكان التاء[1] فى قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكًا ﴾[2] .

وقد احتج ابن هشام اللخمى بهذه القراءة دون أن ينسبها إلى قارئها ، ولكنها لأبى جعفر ، فقد قرأ بحذف الهمزة ، فيصير النطق «مُتَّكاً» بكاف منصوبة منونة بعد التاء[3] .

* ما يجوز فيه الضم والكسر والفتح :

ذكر ابن هشام اللخمى أن (مِلْكُ اليَمين) ، فيه ثلاث لغات : مَلْكٌ بفتح الميم ، ومِلْكُ بكسرها ، ومُلْكَ بضمها[4] .

ثم ذكر قراءة ضم الميم ، وقال : وقد قرأت القُرّاء ﴿ ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَك بِمَلْكِنَا ﴾[5] ، بضم الميم وكسرها وفتحها .

وقد أكد الفراء كون قراءة الضم للقُرّاء ، فقال (ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَك بِمُلْكِنَا[6] ، برفع الميم ، هذه قراءة القراء ، ولو قُرِئت (بِمِلْكنا) ، و (مَلْكنا) كان صواباً ، ومعنى (مُلْكنا) فى التفسير : أنّا لم نملك الصواب إنما اخطأنا)[7] .

وقد خَرَّج الفراء قراءة كسر الميم وفتحها ، مشيراً إلى أن الضم لبعض بنى أسد ، يقول (.. ومن قرأ بِمِلكنا بكسر الميم فهو الملك يملكه الرجل ، تقول لكل شىء ملكته : هذا ملك يمينى للملوك وغيره مما مُلِكَ .

والمَلْكُ : مصدر مَلَكته مَلْكاً ومَلَكة ، مثل غلبته غَلْباً وغَلَبَةً .

---

(1) انظر المدخل : ١٠٢ .
(2) سورة يوسف : الآية ٣١ ، وفى المصحف (مُتَّكَأً) .
(3) انظر مهذب القراءات العشر : ١/ ٣٣٦ .
(4) انظر المدخل : ١٣٩ .
(5) سورة طه : الآية ٨٧ ، وفى المصحف بفتح الميم (بِمَلْكِنَا) .
(6) انظر المدخل : ١٣٩ .
(7) معانى القرآن : ٢/ ١٨٩ .

والمُلك : السُّلطان ، وبعض بنى أسَدٍ يقول : مَا لى مُلك)[1] .

وقد ذكر العلماء أن الفتح قراءة نافع ، وعاصم ، وأبى جعفر ، وقرأ حمزة والكسائى وخلف العاشر بضمها ، وقرأ الباقون بكسرها ، وكلها لغات فى مصدر ملك يملك ، وهى بمعنى قدرتنا أو أمرنا[2] .

وذكر ابن الأنبارى أن من كسر الميم جعله مصدر (مَالك) ، يقال : مالك بيِّنُ المِلك ، ومن ضمه جعله مصدر (مَلِك) ، يقال : مَلِك بيِّنُ المُلْكِ ، ومن فتحه جعله اسماً ، والمصدر فى هذا الموضع مضاف إلى الفاعل[3] .

وقد فسر الدَّامغانى (المِلْك) فى الآية بمعنى العهد والعلم ، يعنى ، بِعَهْدِنَا وَعِلْمنَا[4] .

وقد نقل صاحب اللسان عن الجوهرى أن فتح الميم فى (ملك) أفصح ، يقول (. . . وهذا مِلكُ يَمِينِى ، ومَلْكُهَا ، ومُلْكُها ، اى ما أَمْلِكَهُ ، قال الجوهرى ، والفتح أَفْصح)[5] .

* ما يجوز فيه الفتح والضم :

استشهد ابن هشام[6] بقراءة بعض القُرّاء ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾[7] على أن ضم الراء فصيح ، وفتحها كما فى قراءة «سُرَر» جائز .

---

(١) معانى القرآن : ٢/ ١٨٩ .

(٢) انظر المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر للدكتور / محمد سالم محسن : ٢/ ٢٥ ، وانظر اتحاف فضلاء البشر : ٣٠٦ .

(٣) البيان فى غريب إعراب القرآن : ٢/ ١٥٢ .

(٤) الوجوه والنظائر : ٢/ ٢٠٧ .

(٥) اللسان (ملك) .

(٦) انظر المدخل : ٧٥ .

(٧) سورة الواقعة : الآية ١٥ ، والقراءة المثبتة فى المصحف «سُرُر» بضم الراء ، وانظر معانى القرآن : ٣/ ١٢٢ ، البيان لابن الأنبارى : ٢/ ٤١٥ .

وقد ذكر ابن هشام اللخمى هذه القراءة فى معرض رده على ابن مكى الصقلى[1] ، فيما ذكره فى كتابه تثقيف اللسان ، يقول ابن هشام (وقوله - أى ابن مكى - فى هذا الباب : ويقولون ثِيَابٌ جُدَدٌ بفتح الدال ، والصواب : جُدُدٌ كما تقول العامة)[2] .

وقد رد ابن هشام اللخمى على ابن مكى بأن المبرد قد أجاز الضم والفتح، يقول ابن هشام (. . . وقد أجاز المبرد وغيره فى كل ما جمع من المضاعف على (فُعَل) الضم والفتح ، لثقل التضعيف ، فأجاز أن يقال : جُدَدٌ وجُدُدٌ ، وسُرَرٌ ، وسُرُرٌ)[3] .

ويفهم من هذا النص أن الضم جائز وأن الفتح جائز أيضاً ، ويبدو أن قول الناس (سُرُر) بالضم فيه نوع من إتباع الحركة بمعنى أنهم يتبعون الضمة الضمة. ومن قال (سُرَر) بالفتح فذلك لأن الفتح أخف الحركات ، وقد جاء فى اللسان (. . . وبعضهم يستثقل اجتماع الضمتين مع التضعيف ، فَيَرُدُّ الأول منهما إلى الفتح لخفته ، فيقول سُرَر)[4] .

جـ - الزيادة :

استشهد ابن هشام اللخمى بآيات قرآنية على أن الناس قد يزيدون فى الكلمة ما ليس حقه أن يزاد فيها ، وقد استدل على ذلك بشواهد من القرآن، ويتضح ذلك فيما يلى :

(١) المدخل : ٧٥ ، وانظر تثقيف اللسان لابن مكى : ٢٤٦ .

(٢) المدخل : ٧٥ ، وانظر تثقيف اللسان : ٢٤٦ .

(٣) المدخل : ٧٥ .

(٤) اللسان (سرر) .

* **زيادة التاء فى كلمة (عصاتى) :**

ذكر ابن هشام اللخمى أن الناس يقولون : عَصَاتِى ، وعَصَاتُكَ ، وأن الصواب : عَصَاىَ وعَصَاكَ[1] .

واستشهد على ذلك بقوله تعالى - إخباراً عن موسى عليه السلام ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾[2] .

ويبدو أن السبب فى هذه الظاهرة أن الناس ظنوا أن الكلمة مؤنثة بالتاء (عصاة) ، ومن ثم ذكروا التاء مع الألف المقصور فقالوا (عصاتى) ، لأن الكلمة مؤنثة بالألف المقصورة، ثم زداوا عليها التاء أيضاً ، فقالوا : عصاتى .

ومما يؤكد هذا ما ذكره صاحب اللسان نقلاً عن الأزهرى ، (... قال الأزهرى ويقال لِلْعَصَا : عَصاةٌ بالهاء ، يقال : أخذت عَصاتَهُ ، قال : ومنهم من كَرِه هذه اللغة)[3] .

ومذهب الأصمعى أنه لا يجوز مَدّ العصا ، ولا إدخال التاء معها[4] . وقال الفراء : أول لحن سمع بالعراق : هذه عصاتى ، بالتاء[5]

* **زيادة الألف واللام فى كلمة (الكافة) :**

ذكر ابن هشام اللخمى أن الناس يقولون (الكافة) ، وذهب إلى أنّ هذا

---

(1) انظر المدخل : ١٩٤ ، وراجع تثقيف اللسان لابن مكى ص ١٠١ ، وفيه (... وقيل : أول لحن سُمع بالبصرة قولهم : عصاتى) .

وأورد أبو الطيب اللغوى فى مراتب النحويين ص ٢٦ نصاً جاء فيه (... لم يزل أبو الأسود ضفيناً بما أخذه عن علىّ عليه الصلام ، حتى قال له زياد : قد فسدت ألسنةُ الناس ، وذلك أنهما سَمِعا رجلاً يقول (سقطت عصاتى) فدافعه أبو الأسود) .

(2) سورة طه : الآية رقم ١٨ .

(3) اللسان (عصا) .

(4) انظر السابق .

(5) نفسه .

غير صحيح ، اعتمـاداً على قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّة ﴾[1] بدون الألف واللام ، يقول (وكذلك إدخال الألف واللام على الكافة لايجوز ، وقد غلطوا فى قولهم (يَرْوِيه الكَافَّةُ عن الكافَّةِ)، والصواب: رَوَاهُ النّاسُ كافَّةً)[2] .

د - الحذف

ويتمثل فى حـذف تاء التأنيث من كلمة (زوج) مـع المؤنث ، وقد عده ابن هشام اللخمى أفصح من ذكرها اعتمـاداً علـى قولـه تعالـى : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[3] ، يقول (وزَوْجُ الرّجل ، وفيها لغتان زَوْجٌ، وهى أفصح ، وزَوْجَةٌ وهى أضعف)[4] .

هـ - الجمع :

أورد ابن هـشام اللخـمى آيات قـرآنية للاستشهـاد بها عـلى تصويـب ما يستخدمه عامة أهل الأندلس - فى القرن السادس الهجرى - من صيغ الجمع ، وبيان ذلك ما يلى :

* جمع مَفْعِلة :

نقل ابن هشام اللخمى عن ابن مكـى الصقلى أن الناس (يقولون فى جمع مَنَارة مَنَايُر ، والصواب مناور)[5] ، وهذا معناه أنهم يهمزون جمع مَفْعِلة تشبيهاً بجمع فعيلة .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٠٨ .

(٢) المدخل : ٣٢٥ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٣٥ ، وسورة الاعراف : الآية ١٩ .

(٤) المدخل : ١٣٠ .

(٥) المدخل ٩١ ، وانظر تثقيف اللسان : ٩٧ ، وفيه (ويقـولون فى جمع منارة : منايِر والصواب مناور) ، وانظر الخصائص : ٣٢٨/١ ، ٣٢٩ ، وفـيه (... فمن ذلك استنكارهم همز مصائب ، وقالوا : مَنارة ومنـائر ، ومزادة ومزائد ، فـهمزوا ذلك فى الشـعر وغيره ، .... وإنما الـصواب : مزاوِد ومصاوِب ومناوِر ...) ، وانظر أيضاً الخصائص : ١٤٤/٣ ، ١٤٥ (... وقالوا : منارة ومنائر وإنما صوابها : مناور لأن الألف عين وليست بزائدة ...) .

وقد ذهب ابن هشام إلى أن ما ذكره ابن مكى هو القياس[1] ؛ لأنك إذا جمعت مَفْعِلة أو ما كان على بنائها لم تهمز ، نحو : مَعِيشَة ومعايش ، ومصيبة ومصايب ، وذكر أن أكثر القراء قرأ ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِش ﴾[2] .

وقد ذكر الفراء أن «معايش» لا تهمز ، يقول (. . . لأنها مِفْعلة - يعنى الواحدة - ، الياء من الفعل ، فلذلك لم تهمز ، إنما يهمز من هذا ما كانت الياء فيه زائدة ، مثل مدينة ومدائن ، وقبيلة وقبائل ، لَمّا كانت الياء لا يعرف لها أصل ثم قارفتها الف مجهولة أيضاً همزت ، ومثل معايش من الواو مما لا يهمز لو جمعت «معونة» ، قلت : معاون ، أو منارة قلت : مناور ، وذلك أن الواو ترجع إلى أصلها لسكون الألف قبلها . . .)[3] .

ومعنى هذا أن الهمز غير فصيح ، وأن الناس ظنوها فَعِيلة توهماً ، ثم قاسوها فى الجمع عن طريق القياس الخاطىء على جمع فعيلة ، ومن ثم همزوها ، مثل كتيبة وكتائب وسفينة وسفائن ، ومما يؤكد هذا ما ذكره الفراء بقوله (. . . وربما همزت العرب هذا وشبهه ، يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها فى اللفظ وعدة الحروف . . . وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة ، شبهت بفعيلة لكثرتها فى الكلام)[4] .

ويقول ابن الأنبارى (معايش جمع معيشة ، وأصل معيشة : مَعْيِشَة على وزن مَفْعِلة ، إلاّ أنه نقلت كسرة الياء إلى العين ، والميم فيها زائدة ، لأنها مَفْعِلة من العيش ، ولا يجوز همزها ، لأن فيها الياء أصلية ، وأصلها فى الواحد أن تكون متحركة ، ولو كانت زائدة أصلها فى الواحد السكون ، نحو كتيبة على فَعِيلة لهمزت فى الجمع ، نحو : كتائب . . .)[5] . وقد

(1) انظر المدخل : ٩١ .
(2) سورة الأعراف : الآية ١٠ .
(3) معانى القرآن : ١/ ٣٧٣ .
(4) نفسه : ١/ ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
(5) البيان فى غريب إعراب القرآن : ١/ ٣٥٥ .

ذكر ابن الأنباري أنه قُرِئ «معائش» بالهمز، وعدها قراءة ضعيفة في القياس[1].

ومعنى هذا أن عامة أهل الأندلس توهموا أنها فعيلة ، ومن ثم قاسوها في الجمع على جمع فعيلة ، وهذا قياس خاطئ ، ومن ثم همزوها .

ويرى ابن هشام اللخمي أنه لا يجب أن تلحّن العامة لنطق العرب منائر ، يقول (. . . فإذا قالت العرب «منائر» بالهمز ، لم يجب أن تلحَّن بها العامةُ لنطق العرب بها ، وإن كان القياس ترك الهمز)[2] .

وهذا الذي قاله العلماء هو ما أخذ به ابن هشام اللخمي ورد به على ابن مكي الصقلي ، يقول ابن هشام (وقوله - أي ابن مكي - ويقولون : في جمع منارة منائر ، والصواب : مناور ، قال الراد - أي ابن هشام اللخمي - هذا الذي ذكر هو القياس ؛ لأنك إذا جمعت مَفْعِلَة أو ما كان على بنائها لم تهمز، نحو معيشة ومعايش ، ومصيبة ومصايب . فإن جمعت فَعِيلة وفَعُولة وفعَالة وفَاعِلة همزت ، نحو : سَفِينة وسَفَائن ورَكُوبَة ورَكَائب ، وعَجُوزة وعَجَائز ، ورسالة ورسائل ودائرة ودوائر. وإنما لم يجز في مَفَاعِل الهمز ، ولَزِم فَعَائِل ؛ لأن فَعَائِل لا أصل للحركة في يائه ، وهذا مذهب الخليل ؛ لأنك إذا قلت سفينة فهذه الياء لا تتحرك بحال ، فلذلك لم يجز تحريكها في الجمع ، فأبدلوا منها همزة . . . .)[3] .

(1) البيان ١/ ٣٥٥ ، وفي اللسان (عيش) (. . . وأكثر القُرَّاء على ترك الهمز في «معايش» إلا ما روى عن نافع فإنه همزها ، وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ) .

(2) المدخل : ٩١ .

(3) المدخل : ٩١ .

* **جمع قَرْيَة :**

ذكر ابن هشام اللخمى أن الناس يقولون : القَرِيَّةُ بالتشديد ، ويجمعونها على (قَرَايا)[1] .

ثم ذكر أن الصواب (قَرْيَةٌ) بالتخفيف ، والجمع (قُرىً) ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **قُرًى مُحَصَّنَةٍ** ﴾[2] .

وكان الزبيدى قد ذكر فى لحن العامة أن الناس يقولون (لجمع القَرْية : قَرايا ، وكأنهم تابعوا فى الجمع من شَدّد القرية ، وذلك خطأ)[3] ، ثم ذكر أن الصواب (قُرىً وقَرَيات)[4] .

* **جمع عشار :**

أورد ابن هشام اللخمى[5] قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَت** ﴾[6] ، فى معرض رده على ابن مكى الصقلى[7] ، يقول ابن هشام (وقوله - أى ابن مكى- ويقولون : امرأة نَافِسَة والصواب نُفَسَاءَ . يقال : نُفِسَتْ بضم النون إذا وَلَدَتْ ، ونَفِسَتْ بفتحها إذا حَاضَتْ .

قال الراد : يقال : نَفَسَتْ بفتح النون ونُفِسَتْ بضمها إذا وَلَدَتْ وإذا حَاضَتْ ، ويقال أيضاً : نُفَسَاءُ ونَفَسَاءُ بضم النون وفتحها . وقالوا : نَفْسَاءُ بفتح النون وإسكان الفاء ، والجمع نُفَسَاواتٌ ونُفَّاسٌ ونُفَّسٌ ونِفَاس ، كعُشَرَاءَ وعِشَار)[8] .

---

(1) انظر المدخل : ٣٣٤ .
(2) سورة الحشر : الآية ١٤ .
(3) لحن العامة : ١٤٥ .
(4) نفسه .
(5) انظر المدخل : ٨٧ .
(6) سورة التكوير : الآية ٤ .
(7) انظر التثقيف : ١٧٢ ، ٣٢٦ .
(8) المدخل : ٨٧ ، وانظر اللسان (عشر) .

* **جمع أَهْلٌ :**

استشهد ابن هشام بقوله تعالى ﴿ **شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا** ﴾[1] على أن جمع أَهْل : أَهْلُونَ ، يقول (والأَهْلُ وفيه لغتان : أَهْلٌ وأَهْلَةٌ . فجمع أهل أَهْلُونَ، وجمع أَهْلَةٍ أَهَلاتٌ)[2] .

و - بناء : فَعّال ومفعُول :

ويتضح ذلك كما يلى :

* **فَعّال :**

ذهب ابن هشام اللخمى إلى أن «رَشَّاد» بتشديد الشين من (أَرْشَدَ)[3] ، واحتج على ذلك بقراءة من قرأ ﴿ **وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَّادِ** ﴾[4] ، بتشديد الشين ، يريد الله عز وجل[5] .

وهذه القراءة أوردها اللخمى غير منسوبة ، ولكنها لمعاذ بن جبل[6] ، وقد ذكر ابن جنى أنه قرأها على المنبر[7] .

وإذا كان ابن هشام اللخمى يرى أن «رَشَّاد» هنا من الرباعى (أرشد) فإن ابن جنى يذهب إلى أنها من الثلاثى (رَشَد) ، وذهب إلى أن (فعّالاً) لم يأت إلاّ فى أحرف محفوظة ، وليس منها «رَشَّاد» ، فعلى ذلك خرّج «الرَّشَّاد» أى: رَشَدَ بمعنى أرشد تقديراً لا استعمالاً ، ثم ذهب إلى أن المعنى راجع فيما بعد

(١) سورة الفتح : الآية ١١ .

(٢) المدخل : ١٤٨ ، وانظر اللسان (أهل) .

(٣) انظر المدخل : ٣٦٣ .

(٤) سورة غافر : الآية ٢٩ .

(٥) انظر المدخل : ٣٦٤ .

(٦) انظر شواذ القرآن لابن خالوية : ١٣٢ ، والمحتسب لابن جنى : ٢/٢٤١ .

(٧) انظر المحتسب : ٢/٢٤١ ، وفيه (ولا ينبغى أن يحمل على أنه من أَرْشَدَ «يرشد» لأن فعّال لم يأت إلا فى أحرف محفوظة ، وهى : أَجْبَرَ فهو جبّار ، وأسْأَرَ فهو سَأّر ، واقْصَرَ فهو قَصَّار ، وأَدْرَكَ فهو دَرّاكٌ) .

إلى أنه (مُرْشِد) ، وذلك لأنه إذا رَشِد أَرْشَد ؛ لأن الإرشاد من الرشد ، فكأنه من باب الاكتفاء بذكر السبب من المسبب[1] .

وكان ابن هشام قد تناول هذه المسألة فى معرض كلامه عن «نشاء» التى تقال لصانع السفن ، يقول (ويقولن لصانع السفن نَشّاء ، والأحسن سَفَّان ، فأما نَشَّاءٌ فقد اختلف فيه أهل العلم ، فمنهم من منعه ، ومنهم من أجازه ، فمن منعه احتج بأنه لا يستعمل منه فعل ثلاثى ، وإنما استعمل فعله رباعياً ، وبنية فعّال إنما تستعمل من الثلاثى إذا أرادوا المبالغة ، كقولهم : ضَرّاب من ضرب ، وقَتّال من قتل وما أشبه ذلك ، والصواب أن يقال : مُنْشِيء لأنه من أنشأ . ومن أجازه احتج بأن المراد بهذا الإخبار أن ذلك صناعة له يعرف بها ويعالجها ، ولفظة ، مُنْشِيء لا تفيد هذا المعنى ، ولفظة نَشَّاء هى المفيدة له ، فالأَوْلى أن يحمل على أمثاله وإن قلّ . فكما قالوا : دَرَّاك من أدرك ، وجَبّار من أَجْبَرَ ، وسَأار من أَسْأَرَ ، وقَصّار من أَقْصَرَ . على أنهم قد قالوا قَصَرْتَ عن الشىء ، وجَبَرْتَه على كذا ، والأول أفصح . ورَشّاد من ارشد)[2] ، ثم ذكر الآية موضع الدراسة .

ويفهم من هذا النص أن بنية «فَعّال» تُستعمل من الثلاثى إذا أرادوا المبالغة، كقولهم : ضَرّاب من ضرب ، وقَتّال من قَتَل[3] .

وهذا معناه أن الناس ظنوا أن هذه الأفعال ثلاثية ، ومن ثَمّ بطريق القياس الخاطىء استخدموا منها «فَعّال» .

---

(١) انظر المحتسب : ٢/ ٢٤٢ .

(٢) المدخل : ٣٦٣ وما بعدها .

(٣) وقد عَدّ سيبويه صيغة (فَعّال) من صيغ المبالغة ، انظر الكتاب : ١/ ١١٠ ، ٣/ ٦٤١ ، وقد قال سيبويه (وسمعنا مَنْ يقول : أما العسل فأنا شَرّابٌ) الكتاب : ١/ ١١١ ، وانظر المقتضب للمبرد : ٢/ ١١٢، وفيه (فإن أردت أن تُكثر الفعل كان للتكثير ابنية ، فمن ذلك «فَعَّال» ، تقول : رجل قَتَّال ، إذا كان يُكثر القتل . . . وعلى هذا تقول : رجل ضَرَّابٌ وشتَّام . . . .) .

* **مفعول :**

ذكر ابن هشام[1] أن العامة يقولون (الموسوع) ، والصواب الموسع ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُه ﴾[2] ، يقول (ويقولون : رَجُلٌ مَوْسُوعٌ عليه ، والصواب مُوَسَّعٌ عليه ، بتشديد السين ، وقد أَوْسَعَ الرجل إذا استغنى)[3] .

والسبب فى هذه الظاهرة أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى كانوا يخلطون فى اسم المفعول بين ما كان من الثلاثى وما كان من الرباعى ، فيقولون (موسوع) ، والصواب موسع .

وقد جاءت بعض المصادر على مفعول ، مثل كلمة (المفتون) ، وقد عَدّ ابن هشام اللخمى[4] من ذلك قوله تعالى : ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُون ﴾[5] ، يقول (ويقولون : ما لى فيه مَنْفُوعٌ ، فيغلطون فيه ، لأن المَنْفُوع مَنْ أوصَلَ إليه النَّفْعُ ، والصواب أن يقال : ما لى نَفْعٌ أو مَنْفَعَةٌ ، فإن توهم متوهم أنه مما جاء على المصدر فقد وَهِمَ فيه ؛ لأنه لَمْ يَجِىء من المصادر على مَفْعُول إلاّ أسماء قليلة ، وهى : المَعْسُورُ ، والمَيْسُورُ ، والمَعْقُول ، والمَجْلُودُ ، والمَخْلُوفُ. بمعنى العُسْر ، واليُسْر ، والعَقْل ، والجَلِيد ، والخُلْفِ . وقد ألحق بها قوم المَفْتُونَ)[6] .

٣ - التركيب :

اقتصرت الشواهد القرآنية التى استشهد بها ابن هشام اللخمى فى كتابه المدخل إلى تقويم اللسان ، على قضايا الاستخدام النحوى التى تؤكد أن عامة

---

(١) انظر المدخل : ١٧٩ ، وانظر لحن العامة للزبيدى : ١٥٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٣٦ . (٣) المدخل : ١٧٩ .

(٤) المدخل : ٣٣٣ . (٥) سورة القلم : الآية ٦ . (٦) المدخل : ٣٣٣ .

أهل الأندلس كانوا يستخدمون بعض الظواهر النحوية بنظام يغاير ما ورد فى القرآن الكريم ، وقد اقتصرت هذه الظواهر على ثلاث قضايا .

تتصل القضية الأولى : بالجمع بين تاء المضارعة ونون النسوة ، وأما القضية الثانية فتدور حول إضمار الفعل بعد «لو» ، وثمة قضية ثالثة تتعلق بتعدى الفعل بنفسه أو بحرف الجر ، وفيما يلى بيان ذلك .

أ - الجمع بين تاء المضارعة ونون النسوة :

ذكر ابن هشام[1] أن عامة أهل الأندلس يقولون الهِنْداتُ تَخْرُجْنَ ، بالجمع بين تاء المضارعة ونون النسوة ، ثم ذهب إلى أن الصواب : الهندات يَخْرُجْنَ ، بالياء ؛ لأنه لا يجمع فى هذا القبيل بين تاء المضارعة والنون ، ووجه الكلام أن يلفظ فيه بياء المضارعة ، واستشهد على ذلك بقوله ﴿ تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْه ﴾[2] .

وقد عَدَّ ابن خالويه[3] هذه القراءة شاذة ، ونسبها لابن مسعود وأما ابن الجزرى[4] فقد ذكر أنها قراءة نافع والكسائى ، هكذا بالياء على التذكير ، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث ، وذهب إلى أنه جاز تذكير الفعل وتأنيثه لأن الفاعل مؤنث غير حقيقى .

ب - إضمار الفعل بعد «لو» :

ذكر ابن هشام اللخمى[5] قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾[6] ، شاهداً على أن الفعل مضمر بعد «لو» وارتفع الاسم الذى بعدها به ، فأنتم ، فاعل بفعل مضمر دل عليه تملكون[7] .

(١) المدخل : ٢٥٣ .
(٢) سورة مريم : الآية رقم ٩٠ ، وفى المصحف (تَكَادُ) .
(٣) انظر شواذ القراءات : ٨٥ .
(٤) انظر المهذب فى القراءات العشر : ١/ ١٢
(٥) انظر المدخل : ٣٦ .
(٦) سورة الإسراء : الآية ١٠٠ .
(٧) المدخل : ٣٦ .

وكان ابن هشام قد استشهد بهذه الآية فى معرض رده على الزبيدى لما قاله فى بيت عثمان بن عفان[1] :

فَلَوْ لِي قلوبُ العالَمِينَ بأسْرِها   لَمَا مَلأَتْ لِى منه مَعْتَبَةٌ قَلْبَا

ويذكر ابن هشام قول الزبيدى قال «فَلَوْلِى قُلُوبُ» ، وأنا استريبُ به لأن «لَوْ» لا يليها إلاّ الفعل ظاهراً أو مضمراً)[2] .

وقد ردّ ابن هشام على الزبيدى قائلاً (. . . : وكذلك «لَوْ» فى البيت وَلِيها الفعل مضمراً وإرتفاع الاسم الذى بعدها به)[3] .

ثم ذكر الآية وأمثلة أخرى[4] ، وقال (. . . فهذه كلها محمولة على الفعل المضمر عند البصريين ، فإذا كان هذا فَممَّ استَرَابَ ؟ ، لكنه لم يَدر كيف يُقدِّره إذا لم يقع بعد القلوب فِعل يفسره ، فاستراب لذلك . وتقدير الفعل : لَوْ كانتْ لِى ، أو خُلِقَتْ لى أو استقرَّتْ لى أو ما شاكل هذا مما يدل عليه السياق)[5] .

و «لَوْ» تختص بوقوع الفعل بعدها ، يقول سيبويه (و «لَوْ» بمنزلة لولا ، ولا تبتدأ بعدها الأسماء[6] ، يقول المبرد (و «لو» لا تقع إلاّ على فعل)[7] .

ومن هنا فقد أجمع النحاة على وجوب وقوع الفعل بعد «لو» ، ومن ثَمَّ قدروا فعلاً محذوفاً لارتفاع الاسم بعدها .

---

(١) انظر لحن العامة للزبيدى : ٨٩ ، ٩٠ ، وهو ثانى أربعة أبيات غير منسوبة .

(٢) المدخل : ٣٦ ، وانظر لحن العامة للزبيدى : ٩٠ .

(٣) المدخل : ٣٦ .

(٤) انظر المدخل : ٣٦ ، ٣٧ .

(٥) المدخل : ٣٧ .

(٦) الكتاب : ٣/١٣٩ .

(٧) المقتضب : ٣/٧٧ ، وانظر مغنى اللبيب : ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٨٢٧ .

جـ - المتعدى بنفسه والمتعدى بحرف الجر :

ذكر ابن هشام اللخمى أن عامة أهل الأندلس ، يقولون (بَعَثْتُ إليه بِغُلام، وأَرْسَلْتُ إليه بِعَبْدٍ)[1] ، هكذا بتعدى الفعلين (بعثَ ، وأرسل) بحرف الجر .

ثم ذكر أن الصواب تعديهمـا بدون حرف الجر ، فقال (والصواب : بَعَثْتُ إليه غلامـاً ، وأرْسَلْتُ إليه عبداً ؛ لأن العرب تـقول فيما يتصرف بـنفسه بَعَثْتُهُ وأرْسَلْتُهُ ، وفيما يَحْمَل بَعَثْتُ به ، وأَرْسَلْتُ به)[2] .

وقد استشهد ابن هشام على ذلك بقوله تـعالى - إخباراً عـن بلقـيس - ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾[3] ، وقال فيما يتصرف بنفسه ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾[4] .

ويفهم من هذا أن تعدى الفعل بحـرف الجر أو بدونه مرتبط بدلالته ، فإن كان مما يحمل فهو متعد بحرف الجر ، مثل (مرسلة . . . بهدية) ، وإن كان مما يتصرف بنفسه فهو متعد بدون حرف الجر ، مثل (أرسلنا رسلنا) .

والظاهر أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى كانوا لا يفرقون فى المعنى بين ما يتصرف بنفسه أو مـا يحمل ، ومن ثم طردوا الباب على وتيرة واحدة واستخدموا الفعل متعدياً بحرف الجر أياً ما كانت دلالته ، سواء أكان مما يتصرف بنفسه أم مما يحمل .

٤ - الدلالة :

ترتبط الشواهد القرآنية المتصلة بالـدلالة عند ابن هشام اللخمى فى كتابه بما يصور دلالة كلمة من الكلمات ، أو ما يوضح أن عامة أهل الأندلس قد عمموا مجال الاستخدام أو ضيقوه ، وفيما يلى بيان ذلك .

---

(١) انظر المدخل : ٣٠٩ .
(٢) نفسه .
(٣) سورة النمل : الآية رقم ٣٥ .
(٤) سورة المؤمنون : الآية رقم ٤٤ .

١ - دلالة بعض الكلمات :

* دلالة (ارسى) :

ذكر ابن هشام[١] ان دلالة كلمة أرسى ، أى ثبتها ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾[٢] ، اى اثبتها فى مرساها .

يقول ابن هشام (ويقولون : أَرْسَت السفينة ، وهى لغة قليلة ، حكاها ابو عبيدة ، والأكثر : رَسَتْ رَسْواً ورَسُواً ، إذا انتهى اسفلها إلى قرار الماء ، . وأَرْسَيْتَها انت إذا فعلت بها ذلك . . . ولم تقل العرب مُرْس من أَرْسَى ، اكتفت بِرَاس . فقول العامة : قاربٌ مُرْس وسفينة مُرْسِيَة خطأ ، والصواب: قارب راسٍ وسفينة راسّية)[٣] .

* دلالة (جُمّل) :

ذكر ابن هشام أن عامة اهل الأندلس يقولون لحبل السفينة طَونَس[٤] ، ثم ذكر أن العرب تقول له : جُمَّل[٥] ، بضم الجيم وتشديد الميم ، واستشهد على ذلك بقراءة ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[٦] .

* دلالة (عِنْدَ) :

ذكر ابن هشام[٧] أن (عِنْدَ) فى قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾[٨] بمعنى : من فضلك وإحسانك .

---

(١) انظر المدخل : ١٧٦ .
(٢) سورة النازعات : الآية رقم ٣٢ .
(٣) المدخل : ١٣١ .
(٤) انظر المدخل : ٢٥٧ .
(٥) نفسه .
(٦) سورة الأعراف : الآية رقم ٤٠ ، وفى المصحف (الجَمَل) بفتح الجيم وتخفيف الميم .
(٧) انظر المدخل : ٢١٧ .
(٨) سورة القصص : الآية رقم ٢٧ .

هكذا كان ابن هشام اللخمى يستشهد بآيات قرآنية على دلالة كلمة من الكلمات ، وربما أوضح دلالة بعض الحروف اعتماداً على ما ورد فى القرآن ، ومن ذلك دلالة باء الجر .

* **دلالة (باء الجر) :**

أوضح ابن هشام اللخمى[1] ان الباء جاءت بمعنى (عَنْ) فى قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ ﴾[2] .

ثم ذكر أنها جاءت بمعنى (على)[3] فى قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ ﴾[4] .

يتضح مما سبق أن ابن هشام اللخمى كان يذكر دلالة بعض الكلمات والحروف ، ثم يستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم .

ب - تعميم الدلالة :

تؤكد الشواهد القرآنية التى استشهد بها ابن هشام اللخمى على دلالة بعض الكلمات أنها تعرضت للتطور الدلالى ، وذلك بتعميم دلالتها بعد أن كانت مقيدة بدلالة بعينها .

ومعنى هذا أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى كانوا يستخدمون بعض الألفاظ بدلالة أعمّ مما وضعت لها ، ويتضح ذلك فيما يلى :

---

(١) انظر المدخل : ٢٠٤ .
(٢) سورة المعارج : الآية رقم ١ .
(٣) انظر المدخل : ٢٠٤ .
(٤) سورة هود : الآية رقم ٤١ .

* **تعميم دلالة (أرملة) :**

ذهب ابن هشام إلى أن كلمة (أرملة) خاصة بالنساء[1] اعتماداً على قوله تعالى : ﴿ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[2] ، يقول ابن هشام اللخمى (وإنما ذلك واقع بالنساء إذ كان الرجال هم المنفقون عليهن)[3] .

والظاهر أن عامة أهل الأندلس منذ القرن الرابع الهجرى ، كانوا يستخدمون كلمة (أرملة) للزوجة التى مات زوجها أو المحتاجة ولم يمت زوجها، فقد سجل لنا الزبيدى ت ٣٧٩ هـ هذه الظاهرة فى كتابه لحن العامة[4] .

وهذا معناه أن تعميم دلالة كلمة أرملة عرفه الزبيدى فى القرن الرابع الهجرى ، وظل موجوداً حتى عصر ابن هشام اللخمى ت ٥٧٧ هـ أى فى القرن السادس الهجرى .

ومن هنا فقد رَدّ ابن هشام اللخمى على الزبيدى تعميم دلالة (ارملة)[5] ، احتجاجاً بالشاهد القرآنى الذى أورده ، ونقل عن الزبيدى أن عامة أهل الأندلس (يقولون : امراة أَرْمَلَةٌ ونِسْوَة أَرَامِل للنساء التى هلك عنهن أزواجهن والأرملة المحتاجة)[6] .

ومذهب ابن هشام أنه كان ينبغى على الزبيدى أنْ لا يُدْخِلَ مثل هذا فى لحن العامة لأنه قد قال به كثير من اللغويين ، وما حكاه بعض أهل اللغة لا تُلَحَّن به العامة، ونقل عن ابن الأعرابى، أن الأرملة التى مات عنها زوجها .

---

(١) انظر المدخل : ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) سورة النساء : الآية ٣٤ .
(٣) المدخل : ٣٣ .
(٤) انظر لحن العامة للزبيدى : ١٨٢ ، ١٨٣ .
(٥) انظر المدخل : ٣٢ ، ٣٣ ، وانظر الزبيدى : ١٨٢ ، ١٨٣ ، وتثقيف اللسان : ٢١٢ .
(٦) المدخل : ٣٢ ، ٣٣ ، وانظر لحن العامة للزبيدى : ١٨٢ ، ١٨٣ ، وتثقيف اللسان : ٢١٢ .

ثم قال : وهذا الذى قالـه ابن الأعرابى هو المعروف الذى يستـعمله الناس قديماً وحديثاً . واشتقاق الأرْمَلَة مـن الإرْمال ، وهو ذهاب الزاد ونفاده ، يقال أَرْمَلَ القومُ فهم مُرْمِلُون إذا فَنِى زادهم ، فَسُمِّيَتْ المرأة التـى مات عنها زوجها أَرْمَلَةً لما ينالها فى الأغلب من الحاجة وشدة الحال عـند فقد زوجها المنفق عليها والقائـم بأمرها ، وقـد يُسَمَّى الرجل المحتـاج أَرْمَلاً على وجه الـتشبيـه بالمرأة الأَرْمَلة فى الفقر وضعف الحال . . . . .)[1] .

* تعميم دلالة (بُور) :

ذكر ابن هشام الـلخمى[2] أن كلـمة (بُور) هكذا بـضم البـاء تكون بمعـنى الهلاك ، ثم نقـل عن أهل الأندلس أنهم يقولون لـلأرض التى لم تزرع بُور ، بضم الباء .

ومعنى هـذا أن عامة أهل الأندلس كانوا يـستخدمون كلمـة (بُور) لكل ما تعرض لـلهلاك ، وقد أطلـقوا الكلمـة على الأرض غير المـزروعة باعتبـار أنها تكون هالكة ، وهذا معناه أنهم كانوا يعممون دلالة كلمة (بُور) .

يقول ابن هشام (وأما قول الناس للأرض التى لم تزرع (بُورٌ) بضم الباء ، فغير صحيح ، والصواب (بَوْر) بفتحها)[3] .

* تعميم دلالة (فرث) :

ذكر ابن هشام الـلخمى[4] أن (الفَرْثَ) ، يـكون فـى الكَرِش[5] ، اعتماداً على قوله تعالى : ﴿ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾[6] .

(١) المدخل : ٢٢ ، وما بعدها .

(٢) المدخل : ٢٥١ ، وانظر تثقيف اللسان لابن مكى : ١٩٢ .

(٣) المخل : ٢٥١ ، وانظر اللسان (ب و ر) .

(٤) انظر المدخل : ٣٠٢ .

(٥) انظر لسان العرب (ف ر ث) .

(٦) سورة النحل : الآية رقم ٦٦ .

ثم نقل عن عامة أهل الأندلس أنهم كانوا يقولون أيضاً لما يخرج من الكَرِش : الفَرْثُ .

وهذا معناه أن عامة أهل الأندلس كانوا يعممون دلالة هذه الكلمة فيطلقونها لما فى الكَرِش ، وما يخرج منه ، يقول اللخمى (ويقولون لما يخرج من الكَرِش : الفَرْثُ ، وهو لا يسمى فَرْثاً إلا مادام فى الكرش ، ... فإذا لفظ منها سمى السِّرْجِين)[1] .

ومعنى هذا أن الكلمة تعرضت للتطور الدلالى ، وذلك بتعميم دلالتها عند عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى .

جـ - تخصيص الدلالة :

أوضحت الشواهد القرآنية التى أوردها ابن هشام اللخمى فى كتابه أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى كانوا يخصصون دلالة بعض الكلمات، ويتضح ذلك فيما يلى :

* تخصيص دلالة (مثقال) :

ذكر اللخمى أن المثقال : زنة الشيء الذى يثقل به[2] اعتماداً على قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾[3] .

وقد نقل ابن هشام اللخمى عن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى أنهم يستخدمون الكلمة للدلالة على الدينار ، يقول (ويقولون للدينار من الذهب مِثْقَال ، وإنما المِثْقَال زِنَة الشيء الذى يثقل به ... ، وثِقْلُ الشيء وزنه)[4] .

---

(1) المدخل : ٣٠٢ .
(2) انظر المدخل : ٣٣٩ ، وراجع لحن العامة للزبيدى : ١٧٤ .
(3) سورة الزلزلة : الآية رقم ٧ .
(4) المدخل : ٣٣٩ .

وهذا معناه أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى كانت تستخدم هذه الكلمة وقد خصصت دلالتها بالدينار من الذهب ، بعد أن كانت دلالتها عامة لزنة الشىء الذى يثقل به .

* تخصيص دلالة (الحِلْمُ) :

ذكر ابن هشام أن عامة أهل الأندلس لا يعرفون للحِلْم إلاّ الصفح والتغاضى[1] .

ثم ذكر أن الحَلِيم يكون الصَّفُوحَ ، ويكون العَاقِل ، وإن كان منتصفاً لنَفْسه غير صَفُوح ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا ﴾[2] .

وهذا معناه أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى خصصوا دلالة الحِلْم بالصفح والتَّغاضِى ، مع أن دلالة الكلِمة أعمّ من ذلك .

* تخصيص دلالة (الأيِّمُ) :

نقل ابن هشام اللخمى عن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى أنهم يقولون : الأيّم لمن مات عنها زوجها أو طلقها[3] .

وهذا معناه أن عامة أهل الأندلس خصصوا دلالة هذه الكلمة بمن مات زوجها أو طلقها .

ثم ذكر ابن هشام أن الأمر ليس كذلك (إنما الأيِّمُ التى لا زوج لها كانت بكراً أو ثيّباً)[4] ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ منكُمْ ﴾[5] .

---

(١) انظر المدخل : ٢٣٩ ، وراجع تثقيف اللسان لابن مكى : ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) سورة الطور : الآية رقم ٣٢ .

(٣) انظر المدخل : ٢٢٦ ، وراجع الزبيدى : ٢٠٧ ، وتثقيف اللسان : ٢٦٩ .

(٤) المدخل : ٢٢٦ .　　　(٥) سورة النور : الآية رقم ٣٢ .

ثم ذكر أنه يقال للرجل أيضاً (أَيِّمٌ) إذا لم تكن له زوجه[1] .

ومعنى هذا أن دلالة الكلمة أَعَمّ مما كان يستخدمه أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى ، فهى تستخدم للمرأة التى لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً ، وتستخدم للرجل إذا لم تكن له زوجة . ولكن عامة أهل الأندلس خصوها فى القرن السادس الهجرى بالمرأة التى مات زوجها أو طلقها .

* **تخصيص دلالة (قوارير) :**

ذكر ابن هشام اللخمى أن عامة أهل الأندلس (يقولون لظرف صغير من زجاج يُجْعَلُ فيه الطِّيب : قارورة ، ويقال فيه أيضاً : قَارُورٌ بغير تاء التأنيث)[2] .

ثم ذكر أن كَلّ ما قَرَّ فيه الشرابُ وغيره فهو قَارُورٌ ، سواء كان من زجاج أو غيره ، وقيل لا يكون إلا من زجاج خاصة[3] .

ثم نقل عن بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ ﴾[4] ، أنها أوان يقرّ فيها الشراب ، وقيل إنها أوان من فضة فى صفاء القوارير[5] ، ثم نقل عن ابن دريد قوله : (وهذا أعجب التفسيرين إلىّ)[6] .

ويفهم من هذا أن عامة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى قد خصصوا دلالة كلمة قوارير بالظرف الصغير من الزجاج فقط، وإن كانت دلالة الكلمة أعَمّ من ذلك ، فهى تشمل كل ما قَرّ فيه الشراب سواء كان من زجاج أو غيره .

---

(1) انظر المدخل : ٢٢٦ .
(2) المدخل : ٢٨٩ .
(3) نفسه .
(4) سورة الإنسان : الآية رقم ١٦ .
(5) انظر المدخل : ٢٨٩ .
(6) نفسه .

ثالثاً: اهمية الشاهد القرآنى عند ابن هشام اللخمى:

تكمن اهمية الشاهد القرآنى عند ابن هشام اللخمى فى كونه معياراً للفصاحة ، فقد كان ابن هشام يذكر استخدامات أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى ، ثم يصوّب هذا الاستخدام أو ذاك اعتماداً على ما ورد فى القرآن الكريم ، ومن هنا فإن معيار الصاحة عند ابن هشام اللخمى يرتبط بالشاهد القرآنى إرتباطاً وثيقاً .

ونستطيع من خلال الشاهد القرآنى ، الذى اتخذ منه ابن هشام اللخمى معياراً للفصاحة ، أن نعرف شيئاً عن خصائص العربية عند أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى ، وقد أوضحنا ذلك بالتفصيل فى المبحث الثانى المتصل بدراسة القضايا اللغوية ، ويمكن أن نشير هنا إلى بعض الأمثلة ، ومن ذلك مثلاً :

* قولهم : مَيْدة بدلاً من مائدة[1] ، كما فى قوله تعالى : ﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾[2]

* قولهم : المُجَدَّى بإدغام الدال فى التاء ، وأصلها المُجْتَدَى ، مثل قوله تعالى: ﴿ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي ﴾[3] بإدغام التآء فى الدال .

* قولهم : تَرَكَة بالكاف ، والصواب بالقاف تَرْقُوة[4] ، كما فى قوله تعالى : ﴿ كلا إذا بلغت التراقى ﴾[5] .

* قولهم : باعوضة ، بالألف ، والصواب بدونها[6] ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[7] .

(1) انظر المدخل : ١٠٢ .
(2) سورة المائدة : الآية رقم ١١٤ .
(3) سورة يونس : الآية رقم ٣٥ .
(4) انظر المدخل : ٢٥٥ .
(5) سورة القيامة : الآية رقم ٢٦ .
(6) انظر المدخل : ١٩٦ .
(7) سورة البقرة : الآية رقم ٢٦ .

* قولهم : نكّسَ ، بالتشديد ، بدلاً من نكَسَ بالتخفيف[1] ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ ﴾[2] .

* قولهم : النِّوى ، بكسر النون ، بدلاً من فتحها[3] ، كما فى قوله تعالى ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ﴾[4] .

* قولهم : مَعْزَل ، بفتح الزاى ، بدلاً من كسرها[5] ، كما فى قوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾[6] .

* قولهم : سُنْبَلة ، بفتح الباء ، بدلاً من ضمها[7] ، كما فى قوله تعالى ﴿ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾[8] .

* قولهم : عَرْجُون ، بفتح العين ، بدلاً من ضمها[9] ، كما فى قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾[10] .

* قولهم : عَصاتِى ، بدلاً من (عَصَاىَ)[11] ، كما فى قوله تعالى ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾[12] .

وغير ذلك كثير مما أوردناه فى ثنايا البحث ، ويكفى هذه الأمثلة على سبيل الاستشهاد والتمثيل لا الحصر .

ويميل ابن هشام اللخمى إلى الاستشهاد بالقراءات القرآنية ، وقد كان ينسب بعض القراءات إلى أصحابها ، ومن ذلك مثلاً استشهاده بقراءة

---

(١) انظر المدخل : ٢١٢ .

(٢) سورة السجدة : الآية رقم ١٢ .

(٣) انظر المدخل : ٢٨٨ .

(٤) سورة الأنعام : الآية رقم ٩٥ .

(٥) انظر المدخل : ٢٠٢ .

(٦) سورة هود : الآية رقم ٤٢ .

(٧) انظر المدخل : ٣٠٨ .

(٨) سورة البقرة : الآية رقم ٢٦١ .

(٩) انظر المدخل : ٢٩٥ .

(١٠) سورة يس : الآية رقم ٣٩ .

(١١) انظر المدخل : ١٩٤ ، وراجع تثقيف اللسان : ١٠١ .

(١٢) سورة طه : الآية رقم ١٨ .

ورش[1] ﴿ لا يُواخِذُكُمُ اللَّهُ ﴾[2] ، على أن ما ذكره ابن مكى فى تثقيف اللسان من قول العامة واسيتك ، هو القياس وغير ممتنع أن يأتى بالواو كما حكاه الأخفش[3] .

ومن ذلك أيضاً القراءة التى نسبها للحسن[4] ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلاَّ خَطَاء ﴾[5] ، بالمد .

ولكن بعض القراءات وردت غير منسوبة إلى أصحابها[6] ، ومن ذلك قراءة ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا ﴾[7] ، وقد أمكن نسبة هذه القراءة إلى أبى جعفر[8] .

وقراءة ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إلاَّ سَبِيلَ الرَّشَّادِ ﴾ بتشديد الشين[9] ، فقد أوردها اللخمى دون نسبة[10] ، ولكنها لمعاذ بن جبل[11] ، وقد قرأها على المنبر[12] .

وقد ينسب ابن هشام بعض القراءات بعبارة (وقد قرأت القُرّاء)[13] ومن ذلك ما ذكره من أن ميم كلمة (مُلْك) يجوز فيها فتح الميم ، وكسرها ، وضمها[14] . وقد استشهد على ذلك بقراءة القُرّاء ﴿ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾[15] بضم الميم وكسرها وفتحها . وقد أثبت البحث أن الفتح قراءة نافع وعاصم وأبى جعفر ، وقرأ حمزة والكسائى وخلف العاشر بضمها ، وقرأ الباقون بكسرها[16] .

---

(1) انظر المدخل : ٨٥ .

(2) سورة البقرة : الآية رقم ٢٢٥ .

(3) انظر المدخل : ٨٥ .

(4) انظر المدخل : ٣٠٩ .

(5) سورة النساء : الآية رقم ٩٢ .

(6) انظر المدخل : ١٠٢ .

(7) سورة يوسف : الآية رقم ٣١ .

(8) انظر مهذب القراءات العشر : ٩/٣٣٦ .

(9) سورة غافر : الآية رقم ٢٩ .

(10) انظر المدخل : ٣٦٣ .

(11) انظر شواذ ابن خالويه : ١٣٢ .

(12) انظر المحتسب : ٢/٢٤١ .

(13) انظر المدخل : ١٣٩ .

(14) نفسه .

(15) سورة طه : الآية رقم ٨٧ .

(16) انظر المهذب فى القراءات العشر : ٢/٢٥ .

وثمة قراءات أوردها ابن هشام اللخمي منسوبة لبعض القُرّاء ، ومن ذلك قوله : وقد قرأ بعض القراء[1] ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴾[2] ، فقد استشهد بهذه القراءة على جواز ضم الراء وفتحها من كلمة (سُرُر) .

ويحتج ابن هشام اللخمي بالقراءات الشاذة ، ومن ذلك مثلاً ما ذكره من أن الناس يقولون (بَحْرٌ غَمِيقٌ ، ووادٌ غَمِيقٌ والصواب عميق بالعين)[3] ، ثم ذكر أنه قد قرئ في الشاذ ﴿ مِن كُلِّ فَجٍّ غَمِيقٍ ﴾[4] .

ومثل ذلك قراءة ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾[5] ، فقد عدها ابن خالويه شاذة[6] ، وكان ابن هشام اللخمي قد ذكر أن أهل الأندلس يقولون : الهندات تخرجن ، بالجمع بين تاء المضارعة ونون النسوة ، ثم ذكر أن الصواب يخرُجْن ، بالياء لأنه لا يجمع بين تاء المضارعة والنون[7] ، واحتج على ذلك بالقراءة المذكورة .

ويتخذ ابن هشام اللخمي من قراءة بعض القُرّاء مدخلاً لتأييد ما يستخدمه عامة أهل الأندلس في القرن السادس الهجري .

ومن ذلك مثلاً ما ذكره حين ردّ على ابن مكي الصقلي ما حكاه من أن الناس يقولون في التاريخ : وذلك في ربيع الأوَّلِ بحذف التنوين من ربيع ، يجعلونه على الإضافة ، والصواب : في ربيعٍ الأوّلِ ، على النعت[8] .

---

(1) انظر المدخل : ٧٥ .
(2) سورة الواقعة : الآية رقم ١٥ .
(3) انظر المدخل : ١٨٨ .
(4) سورة الحج : الآية رقم ٢٧ ، وانظر المدخل : ١٨٨ ، وتثقيف اللسان : ٧٠ .
(5) سورة مريم : الآية رقم ٩٠ .
(6) انظر شواذ القراءات : ٨٥ .
(7) انظر المدخل : ٢٥٣ .
(8) انظر المدخل : ٩٥ ، وراجع تثقيف اللسان : ٢٧٠ .

وقد رأى ابن هشام أن حذف التنوين ليس بخطأ لكونه مسموعاً فاشياً فى كثير من الكلام(1) ، واستشهد على ذلك بقراءة بعض القُرّاء ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾(2) بحذف التنوين من (أحد) لالتقاء الساكنين .

لقد كان ابن هشام اللخمى يكتفى بذكر موضع الشاهد من الآية ، دون أن يذكر نص الآية كاملة ، وفى بعض الأحيان كان يتخذ من الشاهد القرآنى مدخلاً للرد على كل من الزبيدى ت ٣٧٩ هـ ، فى كتابة لحن العلامة وابن مكى الصقى ت ٥٠١ هـ ، فى كتابه تثقيف اللسان وتلقيح الجنان .

وبعد . . . فإن للشاهد القرآنى عند ابن هشام اللخمى ت ٥٧٧ هـ أهمية كبرى فى كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان) ، فقد كان معياراً لتحديد فصاحة الكلمة ، ومن ثم عرفنا شيئاً عن لغة أهل الأندلس فى القرن السادس الهجرى فى ضوء استشهاد ابن هشام اللخمى بالقرآن الكريم ، ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة التى اتخذت من الشاهد القرآنى عند ابن هشام اللخمى موضوعاً لها .

---

(1) انظر المدخل : ٩٥ .

(2) سورة الإخلاص : الآية ١ ، ٢ .

رابعاً: المصادر والمراجع

١ - إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية - النهضة العربية ١٩٦١ م .

- فى اللهجات العربية - الأنجلو ٦٥ .

٢ - أحمد علم الدين الجندى - اللهجات العربية فى التراث ، القاهرة ١٩٦٥م .

٣ - أحمد مختار عمر - دراسة الصوت اللغوى - القاهرة ١٩٧٦ م .

- علم الدلالة - الكويت ١٩٨٢ م .

٤ - برجشتراسر - التطور النحوى للغة العربية ، تعليق رمضان عبد التواب ، الخانجى ، ١٩٨٢ م .

٥ - أبو البركات بن الأنبارى - الإنصاف فى مسائل الخلاف - تحقيق محيى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٨٢ م .

- البيان فى غريب إعراب القرآن - تحقيق طه عبد الحميد - القاهرة ١٩٦٩ م .

٦ - أبو بكر الزبيدى - طبقات النحويين واللغويين - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف ١٩٧٣ م .

- لحن العامة - تحقيق عبد العزيز مطر - دار المعارف ١٩٦٧ .

٧ - تمام حسان - اللغة العربية معناها ومبناها ، القاهرة ١٩٧٩ م .

٨ - ثعلب - الفصيح - تحقيق عاطف مدكور - دار المعارف - ١٩٨٣ م .

- مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف

٩ - ابن الجزرى - النشر فى القراءات العشر ، القاهرة ، د.ت.

١٠- جلال الدين السيوطى - المزهر فى علوم اللغة - مطبعة السعادة ، ١٣٢٥هـ .

- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الحلبى ١٩٦٤ م .

١١- ابن جنى - الخصائص - تحقيق محمد على النجار - بيروت ، د.ت.

- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها- تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، الشؤون الإسلامية ١٩٦٩ م .

- المذكر والمؤنث ، تحقيق طارق نجم عبد الله ، جدة ، ١٩٨٥ م .

١٢- ابن خالويه - مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع - نشره برجشتراسر - القاهرة د. ت. .

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن - القاهرة د. ت.

١٣- ابن الدهان - الهجاء والخط ، تحقيق فايز فارس - بيروت ٨٧ .

١٤- الزجاجى - الجمل فى النحو - تحقيق على توفيق أحمد ، بيروت ١٩٨٥م .

١٥- ابن السراج - الاشتقاق - تحقيق محمد صالح التكريتى - بغداد ١٩٧٣م.

- الأصول - تحقيق عبد الحسين الفتلى - بيروت ١٩٨٥م.

- الخط - تحقيق عبد الحسين الفتلى - مجلة المورد - المجلد الخامس - العدد الثالث سنة ١٩٧٦م ، ص ص ١٠٣ : ١٣٤ .

١٦- ابن السكيت - الإبدال - تحقيق محمد شرف - مجمع اللغة العربية .

١٧- سيبويه - الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٧٧ م .

١٨- ابن السيد البطليوسى - الاقتضاب شرح أدب الكتاب ، تحقيق - مصطفى السقا وآخرين - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١ م .

١٩- شوقى ضيف - المدارس النحوية ، دار المعارف ١٩٦٨ م .

٢٠- أبو الطيب اللغوى - مراتب النحويين - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٧٤ م .

٢١- عبد العزيز الأهوانى - ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة - مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث سنة ١٩٥٧م ، ص ١٢٧ : ١٥٧ ، ص ٢٨٥ : ٣٢١ .

٢٢- عبد العزيز مطر - لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة - القاهرة ١٩٦٧ م .

٢٣ - أبو على الفارسى - الحجة فى علل القراءات السبع - تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٣ م .

٢٤- الفراء - معانى القرآن - تحقيق أحمد يوسف وآخرين - الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م .

- المقصور والممدود - تحقيق عبد العزيز الميمنى - دار المعارف ١٩٦٧ م .

٢٥- عبد الكريم العوفى - ابن هشام اللخمى وآثاره مع العناية بكتابه شرح الفصيح - مجلة اللسان العربى العدد ٣٨ سنة ١٩٩٤ م ، ص ١٠٢ : ١١٤ .

٢٦- الكسائى - ما تلحن فيه العوام - تحقيق رمضان عبد التواب - الخانجى ٨٢ .

٢٧- كمال بشر - علم اللغة العام (الأصوات العربية) القاهرة ١٩٧٨ م .

٢٨- المبرد - المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق نصيحة ، الشئون الإسلامية ١٩٦٣ م .

- الكامل فى اللغة والأدب - بيروت د. ت. .

٢٩- محمد سالم محسن - مهذب القراءات العشر وتوجيهها من طريق النشر - السعودية ٨٦ .

٣٠- محمد فؤاد عبد الباقى - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ١٩٨٦ م .

٣١- محمود حجازى - علم اللغة العربية - القاهرة د.ت. .

- مدخل إلى علم اللغة - القاهرة ، ١٩٨٢ .

٣٢- محمود السعران - علم اللغة مقدمة للقارىء العربى ، القاهرة ١٩٦٢ .

٣٣- ابن مكى الصقلى - تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، تحقيق عبد العزيز مطر - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٧ .

٣٤- ابن هشام الأنصارى - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق مازن المبارك وآخرين - بيروت ١٩٧٩م .

٣٥- ابن هشام اللخمى - المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان - تحقيق خوسيه پيريث لاثارو - مدريد ١٩٩٢ م .

٣٦- ابن يعيش - شرح المفصل - القاهرة ، د.ت. .

ألفاظ المآكل والمشرب فى العربية الأندلسية
دراسة فى نفح الطيب للمقرى (*)

بقلم الدكتور
رجب عبد الجواد

مقدمــة

موضوع هـذا البحث : ألفاظ المآكل والمشرب فى العربية الأندلسية ، دراسة فى نفح الطيب للمقَّرى . ويهدف هذا البحث إلى : كشف النقاب عن حضارة العرب فى الأندلس من خلال أهم جانب من جوانب هـذه الحضارة وهو المآكل والمشرب، والكشف عن استعمالات اللغة عند الأندلسيين لمعرفة إلى أى مدى كان للأندلسيين لغتهم الخاصة بهم. فلقد حمَّل الأندلسيون الألفاظ العربية دلالات خاصة لم تكن معروفة عند المشارقة ، كما يهدف البحث إلى :

الاهتمام بجانب هام من الجوانب التى لا تزال بكراً فى الدراسات الأندلسية ؛ وهو الجانب اللغوى عند الأندلسيين من خلال أهم كتاب يؤرخ لهم ؛ وهو كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب؛ لأحمد بن محمد المقَّرى التلمسانى، المتوفى فى ١٠٤١هـ. ويهدف هذا البحث إلى أن يكون لبنة فى بناء صرح شامخ يسعى صاحبه إلى تحقيقه؛ وهو صنع معجم لغوى تاريخى للحضارة الأندلسية فى شتى مناحيها.

(*) بحث أعد بمناسبة المؤتمر الرابع للحضارة الأندلسية لتكريم العلامة الأسبانى «اميليو جارثيا جوميث» فى الفترة من ٣ - ٦ مارس ١٩٩٨ م. كلية الآداب - جامعة القاهرة .

أما عن مادة البحث فهى منحصرة فى كتاب نفح الطيب للمقرى ، وقد قامت على هذا الكتاب ثلاثة تحقيقات : تحقيق قام به الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ؛ وقد أعرضنا عنه ؛ لأن الرجل لم تكن له اهتمامات بالأندلس ؛ ولم يسلك مسالكها من قبل ، ولذا جاء تحقيقه غير دقيق فى ضبط المدن والبلدان والأعلام الأندلسية . وتحقيق قام به الدكتور إحسان عباس ، وهو تحقيق جيد ضبط فيه المدن والبلدان والأعلام الأندلسية ضبطاً دقيقاً ، وقد عُرف عنه أنه له باع فى الدراسات الأندلسية من قبل . وتحقيق قام به اثنان من الأساتذة بالجامعة اللبنانية أحدهما تخصص فى اللغة الأسبانية وثانيهما تخصص فى الدراسات الأندلسية ؛ وهما د. مريم قاسم طويل ود. يوسف على طويل، وهو التحقيق الذى عولنا عليه مع مقارنته بتحقيق د. إحسان عباس ، ويرجع السبب فى تعويلنا على هذا التحقيق الأخير إلى أنه استفاد من التحقيقين السابقين ، ولذا كان التعويل عليه يعنى التعويل أيضاً على التحقيقين السابقين .

وهذا البحث يتناول العربية الأندلسية فى مستوى لغة التأليف ، كما يتضح من خلال المصادر التى اعتمد عليها ، وهو بهذا يحاول أن يكون لبنة تكمل الجهود اللغوية المتميزة التى ارتبطت بعالم اللغة الأسبانى كوريتته فى دراساته المتميزة عن العربية الأندلسية فى مستوى اللهجات(*) .

أما عن منهج البحث فهو المنهج الوصفى بهدف بناء لبنة فى تاريخ مفردات اللغة العربية على أساس النصوص اللغوية الموثقة . ومن خلال هذا المنهج سوف أقوم بجمع الألفاظ المتعلقة بالمآكل والمشرب الواردة فى كتاب نفح الطيب، وتوزيعها فى مجالاتها الدلالية ، ثم إجراء دراسة دلالية تحليلية لهذه الألفاظ للوصول إلى المعنى الدقيق لكل لفظ من خلال السياق الذى وردت

(*) انظر : Corriente. F. : Grammatical sketch of the Spanish Arabic dialect bundle with a Prologue by : E. Garcia Gomez, Madrid 1977.

فيه؛ لأن السياق هو الذى يحدد معنى اللفظة تحديداً دقيقاً ، فاللفظة خارج السياق لها معنى عام متعدد ، ولكنها فى سياقها لها معنى واحد محدد .

وقد وزعت هذا البحث على قسمين : تناولت فى القسم الأول ألفاظ المآكل ؛ وقد فرعته إلى ستة مباحث : المبحث الأول : ألفاظ الفاكهة ، والمبحث الثانى : ألفاظ الحلوى ، والمبحث الثالث : ألفاظ الطبيخ ، والمبحث الرابع : ألفاظ اللحوم والأسماك والبيض ، والمبحث الخامس : ألفاظ البقول والتوابل ، والمبحث السادس : ألفاظ الخبز والإدام .

أما القسم الثانى فيختص بألفاظ المشرب ؛ وقد فرعته إلى مبحثين : تناولت فى المبحث الأول : ألفاظ الخمر وما يتعلق بها . وتناولت فى المبحث الثانى : ألفاظ المشروبات الأخرى .

أما عن الجهود السابقة فى هذا المجال ؛ فهناك كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين لمؤلف مجهول ، وقد نشره وحققه أمبروزيو أويثى ميراندا ضمن صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلدان التاسع والعاشر ، فى سنتى ١٩٦١ - ١٩٦٢ م ، وهناك كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلى ، وقد نشره وترجمه إلى الأسبانية خوسيه أنتوينو بانكيرى فى طبعة قشيبة جمعت بين النص العربى والأسبانى فى مجلدين كبيرين ، فى سنة ١٨٠٢ م . وهناك كتاب الفلاحة أيضاً لابن بصّال، وقد نشره وترجمه إلى الأسبانية اثنان أحدهما أستاذ بجامعة برشلونة وهو خوسى ماريه بييكروسا ، والثانى كان سكرتيراً عاماً لوزارة التربية والثقافة بالمغرب وهو محمد عزيمان ، وطبع هذا الكتاب بمعهد مولاى الحسن بتطوان سنة ١٩٥٥م ، وهناك كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر لبابة

الأندلسى ، وقد قام بنشره وتحقيقه العلامة الأندلسى د. محمود على مكى فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد الرابع ، سنة ١٩٥٦ م - وليس هناك أحد تناول ألفاظ المأكل والمشرب بدراسة لغوية قبل هذا البحث .

القسم الأول : ألفاظ المأكل

تتضمن ألفاظ المأكل ستة مباحث : المبحث الأول ألفاظ الفاكهة ، والمبحث الثانى ألفاظ الحلوى ، والمبحث الثالث ألفاظ الطبيخ ، والمبحث الرابع ألفاظ اللحوم والأسماك والتوابل ، والمبحث الخامس ألفاظ البقول والتوابل ، والمبحث السادس ألفاظ الخبز والإدام .

أولاً : ألفاظ الفاكهة

مجموع الألفاظ الخاصة بالفاكهة سبعة وثلاثون لفظاً ؛ هى : الأترج ، الإجاص ، الأرزة ، الباكورة ، البطيخ ، البندق ، التفاح ، التمر ، التوت ، التين ، الجوز ، حب الملوك ، الخوخ ، الخيار ، الرطب ، الرمان ، الزبيب ، الزنبوع ، السفرجل ، السفرى ، شاه بلوط ، الشمام ، العصير ، العُنَّاب ، العنب ، عيون البقر ، الفرصاد ، الفستق ، القراصيا ، القسطل ، الكروم ، اللبخ ، اللوز ، الليم ، المرسى ، الموز ، النارنج .

الأترج : مُعرَّب تُرنج بالفارسية ، وهو شجر مرتفع معمر ناعم الأغصان والورق والثمر ، ثمره كالليمون الكبار ، ذهبى اللون ، ذكى الرائحة ، حامض الماء ، يتخذ منه رُبّ ، وله بزر شبيه ببزر الكمثرى ، واحدته أُتْرُجَّة[1] .

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، للزَّبيدى ، دار صادر ، بيروت ، د. ت. (مصورة عن المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ) ، ٢/ ١٢ ، المعجم الكبير ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠ ، ١/ ٧٣ .

ويعرف الأترج عند الأندلسيين بالتفاح اليمانى ، ومنه حلو ومنه حامض والفرق بين الأترج الحلو والأترج الحامض أن عين الأترج الحامض أخضر مشوب بسواد ، والأترج الحلو يضرب عينه إلى الصفورة[1] .

والأترج عند الأندلسيين أنواع : منه كبير محدد يعرف بالقرطبى ، ومدحرج كبير أملس يعرف بالقسطى ، ومدحرج فى قدر الباذنجان حامض وشحمه كذلك يعرف بالأترج الصينى ، ومنه النارنج المستدير الأحمر وهو معلوم عندهم ، ومنه نوع آخر ذهبى فى قدر الأترج مدحرج محدد فيه شبه حبات ، ومنه اللامون (الليمون) ؛ وهو مدحرج فى قدر الحنظل وأكبر وهو يجدر ولونه أصفر ، ومنه نوع آخر أملس القشر فى قدر بيض الدجاج ولونه أصفر ، ونوع آخر من البستنوا أكبر من اللامون محدد الطرف يشوبه حمرة أحط من حمرة النارنج[2] . ولقد كان الأترج من الفواكه المفضلة عند الأندلسيين ، وقد قال فيه شعراؤهم كثيراً من الشعر ، وقد أورد المقرى أبياتاً لابن الأحمر فى وصفه ؛ ومنها :

وبها من الأُتْرُجِّ شمس أطلعتْ من كل شطر للعيون هلالا
ويحفُّها ورق يروق كأنه وَرِق النُّضار وقد أجاد نبالا[3]

ويذكر المقرى أن أبا عبد الله محمد بن رشيق القلعى الغرناطى دعا بعض أصحابه إلى أنس بقوله :

---

(١) كتاب الفلاحة لابن بصال ، نشر وترجمة وتعليق خوسى بيكروسا ومحمد عزيمان ، معهد مولاى الحسن ، تطوان ، ١٩٥٥ م ، ص ٨١ .

(٢) كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلى ، نشر وترجمة خوسيه أنتوينو بانكيرى ، مدريد ، ١٨٠٢ م ، ٣١٤/١ - ٣١٥ .

(٣) نفح الطيب للمقرى ، تحقيق مريم قاسم طويل ويوسف على طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ، ١٩٩٥ م ، ٧٨/١٠ .

سيـدى عنـدى أترجـــــ ـــــج ونـارنـج وراح[1]

الإجاص : جنس أشجار مثمرة من فصيلة الورديات تسمى البرقوق فى مصر والخوخ فى الشام ، ويطلقها عامة أهل الشام على الكمثرى ، ويعرف فى المغرب بعيون البقر ، وشجره يطول إلى ثلاثة أذرع وربما زاد ، ناعم الورق سَبْط العود ، قليل الاحتمال للعنف ، قشر عوده إلى المرارة كورقه الذى يشبه ورق التفاح ، وثمره يكون أبيض واسود واحمر ، كبيراً وصغيراً[2] .

وأهل الأندلس يسمون الإجَّاص عيون البقر ، وهو صنفان : أسود وأبيض؛ فالأسود هو إجاص على الحقيقة ، والأبيض هو المعروف بالشاهلوج، أى سلطان الإجَّاص[3] .

والنوع الأسود يُعرف عند الأندلسيين بالطرى ؛ ومن أسمائه : القرمسى والسيحى[4] .

وقد يخطئ بعض العامة في الأندلس ويطلق الإجاص على الكمثرى ، وإنما الإجَّاص عين البقر ، والثمرة التى يطلقون عليها الإنجاص إنما اسمها الكمثرى[5]. ويقول أبو بكر الزبيدى : أما الإجَّاص فهو ضرب من المشمش[6] . وأشهر المدن الأندلسية المعروفة بالإجاص سرقسطة ، ويحدِّثنا المقرى أن

(١) نفح الطيب ٥/ ٧٧ .

(٢) تذكرة أولى الألباب ، داود الأنطاكى ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، د. ت ، ١/ ٣٨ ، المعجم الكبير ١/ ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ابن البيطار ، مطبعة بولاق ، القاهرة ١٢٩١ هـ ، ١/ ١٣ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلى ١/ ٣٤٢ .

(٥) الجمانة فى إزالة الرطانة ، مؤلف مجهول ، تحقيق د. حسن حسنى عبد الوهاب ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٣ م ، ص ٣٦ .

(٦) لحن العامة ، الزُّبيدى ، تحقيق د. عبد العزيز مطر ، دار المعارف ، ١٩٨١ م ، ص ١٨٠ .

الإجَّاصة الواحدة فـى سرقسطة قد تيـبس وتظل أربعة أعوام دون أن تـتغير أو تفسد ؛ وليس فى بـلاد الأندلس أكثر فاكهة من سرقسطـة ولا أطيب طعماً ولا أكبر جرماً ، والبساتين محدقة بها من كل ناحية ثمانية أميال[1] .

ولفظة الإجَّاص معربة عن الفارسيـة ، واللغويون العرب يقررون أن الجيم والصاد لا تجتمعان فى كلمة عربية .

الأزرة : لا يعـرف المشرقـيون هذه الـلفظـة بالمـعنى المـتعارف عـليه عـند الأندلسـيين ، فهى تعـنى عندهم : ضربـاً من الكمثـرى فى قدر حبة الـعنب، يجمع مـع حلاوة الطعم ذكاء الـرائحة ، إذا دخل داراً عُرف بريحـه ، وأشهر المدن الأندلسية المـعروفة به هى مدينة بلنسـية بشرق الأندلس[2] . والعامـة فى الأندلس يسـمون الكمثرى إجَّاصاً ، وهى عـندهم نوعان : جبلى وبـستانى ؛ ومنها السكرى والـذكرى والقرعى والسراجى وغير ذلك، ومن الـكمثرى حلو ومنه مرّ ، ومنه قليل الماء وكثير الماء ، ومنه كبير ومتوسط وصغير[3] .

الباكورة : فى الـتاج : البـاكور : المعجـل المجئ والإدراك من كـل شئ وبهاء الأنثى ؛ أى البـاكورة ، وباكورة الثمرة منه ، ومن المجـاز : بكّر الفاكهة : أكل باكـورتها ؛ وهى أول ما يـدرك منها ، وكذا ابـتكر الرجل أكـل باكورة الفاكهة ، ومن المجاز : الباكورة النخل التى تدرك أولاً[4] .

وفى المعجم الكـبير : الباكور من كل شئ : المبـكِّر ، السريع الإدراك قبل موعده ؛ يـقال : مطر بـاكور ، ونخل بـاكور . والباكـورة : أول كل شئ ،

---

(١) نفح الطيب ١/ ١٩١ .

(٢) نفح الطيب ١/ ١٧٥ .

(٣) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٢٦٠ .

(٤) تاج العروس ٣/ ٥٧ .

والباكورة من النخل والفاكهة : ما عجَّل الإثمار ، وأول ما يدرك منها ، يقال : أكل باكورة الفاكهة والجمع بواكير[1] .

وهذه اللفظة تعنى عند الأندلسيين أول ما يطيب من الثمار والبقول ؛ ويتضح هذا المعنى من خلال قول المقرى : «كان ابن شهيد يوماً مع جماعة من الأدباء عند القاضى ابن ذكوان ، فجئ بباكورة باقلا . . .»[2] . فالباكورة هنا تعنى ما نضج من الفول الأخضر ؛ وفى موضع آخر يقول : «وأهدى أبو الوليد ابن زيدون باكورة تفاح إلى المعتضد والد المعتمد[3] » فالباكورة هنا تعنى أول ما نضج من التفاح . وفى موضع ثالث جاءت لفظة الباكور مفردة دون إضافة فى شعر للسان الدين بن الخطيب ؛ وقد أهداه أحد أصدقائه باكوراً :

أهديتنى الباكور؛ وهى بشارة ببواكر الفتح الذى يُستقبلُ[4]

والباكور هنا تعنى عند الأندلسيين ما بكر من التين ؛ وقد أخذ ابن هشام اللخمى عليهم ذلك فى قوله : ويقولون باكور لما بكَّر من التين ، والباكور عند العرب كل ما بكر من الثمر كله[5] .

البَطّيخ : نبات حولى مدَّاد ، ينبت فى مصر والبلاد الحارة المعتدلة ، وهو من الفصيلة القرعية ، أوراقه متبادلة غير خشنة ، وأزهاره أحادية الجنس، وثماره لبية كروية بين الصغيرة والكبيرة ، والقشرة تختلط بين اللونين : الأخضر والأخضر المخطط ، وهذه الثمار إما حمراء أو صفراء فى الداخل ، حلوة المذاق كثيرة البذور التى تختلف لوناً وحجماً[6] .

---

(1) المعجم الكبير ٢/ ٤٨١ .
(2) نفح الطيب ٤/ ٢١٤ .
(3) نفح الطيب ٥/ ٢٣٩ .
(4) نفح الطيب ١٠/ ٧٩ .
(5) ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة ، د. عبد العزيز الأهوانى ، فصلة من مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الثالث ، ١٩٥٧ م ، مطبعة مصر ، ص ١٩ .
(6) المعجم الكبير ٢/ ٣٨٠ .

وقد كان هذا النبات معروفاً عند الأندلسيين ، ويحدثنا المقرى أن جماعة من الناس دخلوا جامع حصن قولية من عمل مدينة بسطة، واخذوا يأكلون البطيخ ويرمون قشره فى صحن الجامع، فانكر عليهم ذلك رجل من العامة[1].

البُندق : ثمرة شجرة من الفصيلة البتولية ، وللثمرة غلاف خارجي بُنى عند النضج ، والغلاف خشبى ، لونه أحمر بنى ، والبذرة لبها أبيض غنى بالدهن ، لذيذ الطعم[2] .

والبندق عند الأندلسيين هو الجلود بالعربية ، وقيل إنه النارجيل ، وقيل إنه الفوفل ، والبندق أربعة ضروب : الأمليسى والترجين والبعرار والمصدى[3]. ويحدثنا المقرى ان البندق يكون أكثر وأمكن فى الأقاليم الباردة ؛ وهو عند الأندلسيين كثير ، وتتمتع البلاد المتصلة من البحر المحيط بالأندلس إلى خليج القسطنطينية بالبندق والجوز والفستق والشاه بلوط . . .»[4] .

التفاح : ثمر فاكهة يتبع الفصيلة الوردية ، وهو من أهم محاصيل الفاكهة فى المنطقة المعتدلة ، وللتفاح سبعة آلاف وخمسمائة صنف ، وتُصنع منه انواع من الخمر، ويعتصر من بعض أصنافه شراب يسمى: سيدر Cider ، واحدته تفاحة ، وجمعها تفافيح[5] .

والتفاح فى الأندلس أنواع كثيرة ؛ منها حلو وحامض وتفه ، ومن أسمائها : العليبى والشعيبى والرخامى والشبرقان والأحمر وغير ذلك ، والشعيبى منها لانوار ولابرز لحبه[6] .

(١) نفح الطيب ٥/ ٢١٣ .

(٢) المعجم الكبير ٢/ ٥٨٢ .

(٣) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٤٩ .

(٤) نفح الطيب ١/ ١٣٨ .

(٥) المعجم الكبير ٣/ ٨٨ .

(٦) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٣٠ - ٣٣١ .

ومن أشهر أنواع التفاح التى حدَّثنا عنها المقرى فى الأندلس : التفاح الجليانى المنسوب إلى حصن جليانة من أعمال وادى آش ؛ ويصفه المقرى بقوله: والتفاح الجليانى يجمع عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء[1] .

وكذلك تفاح شنترة المعروف بكبر حجمه ؛ ويحدثنا المقرى أن التفاح فى شنترة دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر ؛ ويحكى أن رجلاً من أهل شنترة أهدى المعتمد بن عباد أربعاً من التفاح ما يُقلُّ الحامل على راسه غيرها ؛ دور كل واحدة خمسة أشبار[2] .

ويحكى ابن اليسع وغيره عن تفاح شنترة أنه لا تحمل الدابة منه إلا ثلاث حبات .

وكان التفاح من أعظم الهدايا التى يتهاداها الأندلسيون ، ولم يكن أحب لملك من ملوك الأندلس من أن يُهدى إليه تفاحة . ومما حكاه المقرى أن ابن زيدون أهدى باكورة تفاح إلى المعتضد وكتب له معها :

يامن تزينت الريا ... سة حين ألبس ثوبها
جاءت جامدة المدا ... م فخذ عليها ذوبها[3]

التمر : حَمْل النخل ، واحده تمرة ، وجمعها تمرات محركة وتُمور وتُمران بالضم فيهما ، والتمَّار : بائعه ، وقيل : التمر هو اليابس من ثمر النخل فى مقابل الرطب ، وقيل : التمر اسم جنس يتناول ثمار النخل من حين الانعقاد إلى حين الإدراك[4] .

---

(١) نفح الطيب ١٤٩/١ . (٢) نفح الطيب ١٦٢/١ .

(٣) نفح الطيب ٢٣٩/٥ وانظر اللفظة فى المواضع الآتية : ١٦٢/١ ، ١٩١ - ١٠٦/٥ ، ١٣٩ ، ١٦١ ، ٢١٢ - ٤٤/٦ ، ٧٨ - ٢٤٦/٧ - ٧٨/١٠ ، ٧٩ .

(٤) تاج العروس ٦٨/٣ ، محيط المحيط ٧٣ ، المعجم الكبير ١٢٣/٣ .

ولم يكن التمر كثيراً ببلاد الأندلس كغيره من أنواع الفاكهة ؛ لأنه مرتبط بالمناطق الحارة غالباً ؛ وكانوا يطلقون لفظة التمر على اليابس من ثمر النخل فى مقابل الرطب ؛ وقد ورد ذكره عند المقرى فى قوله على لسان أحد الشعراء :

لله تمر طيب وافى على البشرى انطوى
ياحسنه مجتمعاً يحلو لنا بلا نوى[1]

وقول لسان الدين بن الخطيب فى إحدى موشحاته :

عارَضَتْ قول بايع التمر بمقالٍ شجى[2]

التوت : هو جنس شجر من فصيلة القُرَّاصية والقبيلة التوتية يزرع لثمره الذى يأكله الإنسان، ولورقه الذى يطعمه دود القز ، وثمره أبيض حلو ، وأنواعه كثيرة ، ومنه ما يثمر ثمراً أحمر حامضاً ، ثم يسود فيحلو ، ويقال له: التوت الشامى ، واحدته توتة[3] .

ويُعرف التوت فى الأندلس بالتوت العربى أو توت الحرير أو الفرصاد ؛ ومنه نوع أبيض الثمر متوسط فى الكبر والصغر ، ومنه أسود وأصفر وأزرق وأغبر ، وتختلف طعومه لأنه منه الحلو والمر والتفه[4] . وأشهر المدن الأندلسية المعروفة بالتوت الكثير : حصن شَنَش على مرحلة من المرية ؛ وفى هذا الحصن الحرير والقرمز ، ويعرف واديها بوادى طبرنش[5] .

التين : من الفصيلة التوتية ، أشجاره متوسطة ، أوراقها عريضة أو كبيرة الحجم ، وثماره كروية أو كمثرية الشكل ، تؤكل طازجة أو مجففة ، واحدته

(١) نفح الطيب ٩/ ٢٩٨ .

(٢) نفح الطيب ٩/ ٢٩٣ .

(٣) المعجم الكبير ٣/ ١٥١ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٢٨٩ .

(٥) نفح الطيب ١/ ١٦٢ .

تينة ، إذا قطعت خرج منها سائل أبيض كاللبن ، ورد ذكره فى القرآن الكريم : «والتين والزيتون . . .»[1] .

ومن أشهر المدن الأندلسية إنتاجاً للتين مدينة مالقة ؛ التى بها نوعان منهما؛ أحدهما : التين الريّى لأن مالقة كان اسمها فى القديم ريّة ، وثانيهما : تين بليش ، نسبة إلى حصن بليش وهو من حصون مالقة ، وتين بليش هذا هو الذى قيل فيه لبربرى : كيف رأيته ؟ قال : لا تسألنى عنه ، وصب فى حلقى بالقفة[2] .

ويحدثنا المقرى عن مالقة وشهرة تينها بقوله : «وبمالقة التين الذى يضرب المثل بحسنه، ويجلب حتى للهند والصين، وقيل : إنه ليس فى الدنيا مثله[3] . ومن كثرة أشجار التين بمالقة كان الطفل الصغير يجتنى جميع ثمر شجرة التين من لزوقها بالأرض ، وقد حوت من الثمار ما يتعب الجماعة كثرة[4] .

وتأتى بعد مالقة مدينة إشبيلية التى اشتهر بها نوعان من التين أيضاً ؛ النوع الأول ؛ وهو التين القوطى ؛ والنوع الثانى ؛ وهو التين الشعرى ؛ وقيل التين السفرى ؛ والمرجح أنه الشعرى ؛ لأن الذى يسمى بالسفرى هو الرمان ؛ وورد عند المقرى مرة : التين السفرى ؛ ومرة أخرى : التين الشعرى ؛ ويبدو أن لفظة الشعرى صُحِّفت فصارت السفرى ؛ بدليل ورود اسمه صحيحاً عند الخشنى فى كتابه : قضاة قرطبة .

وفى هذين النوعين من التين يقول ابن سعيد : وهذان صنفان لم تر عينى ولم أذق مثلهما منذ خرجت من الأندلس وما يفضلهما . . .»[5] . ويقول

(١) المعجم الكبير ٣/١٨٦ .
(٢) نفح الطيب ٤/١٩٣ .
(٣) نفح الطيب ١/١٥١ .
(٤) نفح الطيب ٤/١٩٣ .
(٥) نفح الطيب ١/١٩٣ ، ١٩٤ .

عنهما المقرى : وهذان الصنفان أجمع المتجولون فى أقطار الأرض أن ليس فى غير إشبيلية مثل لهما[1] .

وكان الأندلسيون يجففون هذا التين ؛ ويأكلونه مجففاً ، وقد يتخذون من حمل التين خبزاً يؤكل فى المجاعة عن طريق التقاطه أول اصفراره وهو قوى ثم يطبخ بالماء العذب بعد أن ينقع فيه عدة مرات ثم يجفف ويطحن ويخبز[2] .

الجوز : ثمر يؤكل ، وشجره كثير بأرض العرب من بلاد اليمن ، ورائحة ورقه طيبة ، يحمل ويربّى ، وخشبه موصوف بالصلابة والقوة ، ويسمى الخسف أو الخشف بلغة أهل الشحر ، ويعرف فى مصر بالشوبكى ، ويطلق اسم الجوز على النارجيل والبوا ، والمراد عند الإطلاق الجوز الشامى ، وتعتصر ثمرة الجوز وتطبخ عصارته مع العسل كدواء[3] . وهو من الفواكه المعروفة فى الأندلس ، وهو بها أنواع منها : الأمليسى الكبير الحب الرقيق القشر ، والترجين وهو الرقيق الحب الصلب القشر[4] .

وقد وصفه كثير من الشعراء الأندلسيين ؛ منهم لسان الدين بن الخطيب فى قوله :

انظر إلى ينعى وحسن بسوقى   يهفو النسيم بقدى المشوق
يجلو اللواحظ منظرى حسناً كما   يجلو ثغور الغانيات عروقى[5]

ويحدثنا المقرى عن الفواكه فى الأندلس ومنها الجوز بقوله : وعندهم شاه

---

(١) نفح الطيب ٤/١٨٨ .

(٢) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٠١ .

(٣) المخصص لابن سيده ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، د.ت ، ١١/ ١٣٩ ، المعتمد فى الأدوية المفردة ٧٦ ، تذكرة داود ١/ ١١١ ، معجم النبات والزراعة ١/ ٣٧٤ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٥) نفح الطيب ٩/ ٢٠٣ .

بلوط والبندق والجوز والفستق وغير ذلك مما يكون أكثر وأمكن فى الأقاليم الباردة(١) .

ومن الأمثال المشهورة عند الأندلسيين وذكرها المقرى المثل القائل : يعطى الجوز مَنْ لا عنده أسنان(٢) ، وهو يقابل فى العامية المصرية : يُعطى الحلقُ لمن بلا آذان . ولقرطبة سبعة أبواب ، ذكرها المقرى ؛ ومنها باب الجوز ؛ ويُعرف بباب بطليوس(٣) . وكل هذا يؤكد كثرة الجوز فى بلاد الأندلس .

حَبّ الملوك : أهل المغرب والأندلس يوقعون هذا الاسم على القراصيا البعلبكى ، ويوقعونه على حب الصنوبر الكبار .

وشجر القراصيا أو حب الملوك كالإجّاص ، تحمل ثمراً كالعناب كثير المائية شديد الحمرة ، إذا نضج اسودّ ، وفيه مزازة بين حموضة وحلاوة ، ويعرف فى مصر بخوخ الدب(٤) .

وأشهر المدن الأندلسية المعروفة بحب الملوك سرقسطة ، التى يقول عنها المقرى : لايتسوس فيها شئ من الطعام ولا يعفن ، ويوجد فيها القمح من مائة سنة ، والعنب المعلق من ستة أعوام ، والتين والخوخ وحب الملوك والتفاح والإجاص اليابسة من أربعة أعوام ، والفول والحمص من عشرين سنة(٥) . وقد كان مُلوك الأندلس يتهادون هذا النوع من الفاكهة ، ومما أورده المقرى فى ذلك قول أحدهم :

ياخير من مَلَكَ الملوك　　　أهديتنى حَبَّ الملوك

---

(١) نفح الطيب ١/١٣٨ .

(٢) نفح الطيب ٢/ ١٠ .

(٣) نفح الطيب ٢/١١ .

(٤) المعتمد فى الأدوية المفردة ٨١ ، ٨٢ ، ٤٦٨ ، تذكرة داود ١/ ١١٥ ، ٢٥٥ .

(٥) نفح الطيب ١/١٩١ .

فكأنمـــــا ياقوتهـــا نظمت لنا نظم الملوك[1]

ويبالغ لسان الدين بـن الخطيب فى حديثه عن مدينة تلمسان بقوله : إنها بسبب حب الملوك مطمعة للملوك[2] .

الخوخ : ثمر معروف ، يسمى أيضاً الـفرسك ، وهو ضربان : ضرب منه أزغب يسمى الشَّعراء ، وضرب آخر فيه حمرة يسميه قوم اللُّقاح ، وأهل الشام يسمون الخوخ الدُّراقن ، والواحدة من الخوخ خوخة[3] .

والخوخ معروف عند الأندلسيين ، ويسمـى عندهم التفاح الفارسى ، وهو عندهم نـوعان : أملس دون زغب ، فيـه حمرة يسمى الأقـرع وهو المصرى ، ويقال له الشتوى أيضاً ، ويسميه بعضهم اللُّقاح ، ومنه نوع يميل إلى الحموضة قليلاً ، وهو الأزغب ويـسمى الشَّعرى ، ومن هذا النوع الأخيـر أنواع منها : المفلق والـنبوش . وأفضلها كلـها الأملس العطر الرائـحة اللذيذ الطعم الـقليل الرطوبة المعروف بالزَّهْرى[4] .

ومن أشهر المدن الأنـدلسية المعروفة بالخـوخ مدينة سرقسطة الـتى يمكن أن تظل ثـمرة الخوخ بهـا أربعة أعوام دون أن تـفسد[5] . ولقـد كان الأندلسـيون يتهادون الخوخ فيمـا بينهم ؛ وإن كان التفاح يفضلـه فى ذلك ، ولما سأل أحد الملوك كاتبه عن سبب تهادى أهل الحُبِّ التفاح دون الخوخ مع أن كليهما حسن المنظر طيب المخبر شديد شبه بأخيـه ، فقال الكاتب لاشتمال التفاح على الحَبِّ الذى يـذكِّر بالحُبِّ والهـوى ، والخوخ علـى النوى الـذى يذكِّر اسمه صـفرة الجوى [6] .

(١) نفح الطيب ١٠/ ٧٧ .　　(٢) نفح الطيب ٩/ ٣٥٥ .

(٣) المخصص ١١/ ١٣٨ ، المعتمد فى الأدوية المفردة ١٤١ - ١٤٢ ، تذكرة داود ١/ ٣٨ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٥) نفح الطيب ١/ ١٩١ .　　(٦) نفح الطيب ٧/ ٢٤٦ .

الخيار : هناك نوعان من الخيار : نوع يطلق عليه القثد وهو القِثَّاء ؛ أو نوع منه ؛ أو هو شبه القِثَّاء ، ونوع يطلق عليه خيار شنبر ، وهو ضرب من الخرُّوب ، شجره مثل كبار شجر الخوخ(١) ، والذى يعنينا هو النوع الأول الذى يشبه القثاء ، فهناك من اعتبره نوعاً من الخضر(٢) ، وهناك من اعتبره نوعاً من الفاكهة ؛ ففى محيط المحيط : الخيار فاكهة تشبه القثاء ، قيل : وليس بعربى ؛ والخيارة واحدة الخيار(٣) .

ولقد كان الخيار يُقدَّم عند الأندلسيين مع الفواكه الأخرى ؛ وكانوا لا يأكلونه إلا بعد قشره ؛ وإن كان الأطباء يؤكدون على أن أكله بقشره أفضل ؛ ففى تذكرة داود : وغلط من قال إنه لا يؤكل إلا مقشراً ، فإن أكله بقشره يخرجه عن المعدة سريعاً قبل تعفينه(٤) .

ويحدثنا المقرى أن ابن الصابونى كان فى مجلس أحد الفضلاء بإشبيلية ؛ فقدِّم فيما قُدِّم خيار ، فجعل أحد الأدباء يقشرها بسكين(٥) .

الرُّطَب : هو البُسْرة إذا انهضمت فلانت وحلت ؛ أى نضيج البُسْر قبل أن يتمر ، واحدته رُطَبة ، وجمعها : رُطَب ورُطَبات ، وجمع الرُّطَب : رِطاب وأرْطَاب ، ويقال : أرطبت النخلة ، ورَطَب البُسْر اى حان أوان رُطَبه ، وتمر رطيب مُرْطِب(٦) .

وقد كان الرطب من الفواكه المفضلة عند الأندلسيين ؛ وكانوا يقبلون على أكله من منطلق دينى ؛ لأن النبى ﷺ كان يأكله ، وإن كانت زراعة النخل

(١) المخصص ١٢/٦ ، المعتمد ١٤٢ ، تذكرة داود ١/١٤٨ .

(٢) المعجم الوسيط ١/٢٧٣ ط الثالثة .

(٣) محيط المحيط ٢٦٢ .

(٤) تذكرة داود ١/١٤٨ .

(٥) نفح الطيب ٥/٦٤ .

(٦) المخصص ١١/١٢٢ ، معجم النبات والزراعة ١/٧٣ .

في الأندلس قليلة؛ وقد ورد ذكر الرطب كثيراً على ألسنة الشعراء الأندلسيين كقول أحدهم :

رُطَب من الطلع النضيد كأنها ... قد نظِّمت من حسنها أسلاكـــا
منِ كل ما كان النبى يحبـــها ... واحبها الأنصار من او لا كا[1]

وقول آخر :

أيام تبـدى ثمـــرات بـــدا ... فى جنباتهـــــن الأرطـــــاب
كأنه فى العـــين ياقـــوت أو ... كأنه فى الفـــم جُـــلاّب[2]

الرُمّان : شجر مثمر من الفصيلة الرمانية ، يؤكل حبه، واحدته رمانة[3].

والرمان فـى الأندلس أنواع : منـه الشعرى والأمـليسى والسـحى ، وهو الدوارى ، ويـقال له الـدلوى أيضـاً ، ومنه الـقسطـيسى والـعدسى والمـرسى والخزاينى والترجـين ، وهذه الأنواع كلها حلوة الطعم ، ومـنه أيضاً المرونى ؛ وجرمه كبـير ولحمه غليـظ وحبه أحمر قانــى ، ومنه الحامض ، ومنـه الرمان الذكر ؛ وهو الجلنار ؛ وهذا الأخير منه بسـتانى ومنه جبلى ، وهو أكمل ورقاً وابنى زهراً واغلظ نواراً من الرمان ، وزهره أحمر ، ومورد ، وأبيض ، وقيل إنه يُذكَّر به الرمان ، وليس له حب[4] .

ولقد كـان الرمان بأنـواعه الكثـيرة من أشهـر الفواكه بـالأندلس ، وأورد المقرى كثيراً من الشعر فى وصف الرمان وتفضيله على بقية الفواكه ، ومن بينه قول أحدهم :

---

(١) نفح الطيب ١٠/٧٧ . / اى : من اولئك .

(٢) نفح الطيب ٦/ ٣٠٤ .

(٣) المعجم الوسيط ١/ ٣٨٨ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ .

صلنى لك الخير برمانـــة   لم تنتقل عن كَرَم العهد
لا عنباً امتـص عنقـوده   ثدياً كانى بعد فى المهد[1]

وقول آخر فى الرمان :

وساكنة فى ظلال الغصون   بروض يروقك أفنانـه
تَضاحَكُ أترابها فيـــه إذ   غدا الجو تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقـــد   تضرَّج بالدم أسنانه[2]

الزَّبِيبُ : هو ذاوى العنب خاصة ؛ أى يابسه وجفيفه ، ثم قيل لما جُفِّف من سائـر الثمر قد زبِّب ؛ إلا التمر فإنــه يقال : تمر الرطب ولا يقال زبيب ؛ ويقال : أزبَّ العنب وزبَّب التين : أى ترك حتى يتكمَّش ، والواحدة زبيبة[3] .

والزبيب أنواع منها : تهامى ، وخراسانى ، ودمشقى ، وطائفى ، وعُبَيْدى[4] .

ومن أشهر أنواع الزبيب المعروفة فى الأندلس : الزبيب المُنكَّبى وهو المنسوب إلى المنكَّب ؛ وهى مدينة صغيرة فى مقاطعة غرناطة على البحر المتوسط ؛ وقيل : بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال البيرة ، بينه وبين غرناطة أربعون ميلاً ، ويسمى الآن المنيكر[5] .

ونوع ثانٍ يسمى الزبيب العسلى؛ وهو المنسوب إلى العسل لأنه يشبه العسل فى الطعم والشكل .

---

(١) نفح الطيب ٤/٢٨٦ .
(٢) نفح الطيب ٥/١٤٢ .
(٣) المخصص ١١/٦٩ ، معجم النبات والزراعة ١/٧٥ .
(٤) تكملة المعاجم العربية ، دوزى ، ٥/ ٢٧٧ - ٢٧٨ (الترجمة العربية) .
(٥) نفح الطيب ١/ ١٩٤ ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢/ ١٥٢ .

ونوع ثالث يعرف بزبيب إشبيلية ؛ الذى طبقت شهرته الآفاق ؛ حتى إنه قيل لأحد الخلعاء وقد أشرف على الموت : اسأل ربك المغفرة ، فرفع يديه ؛ وقال: يارب ، أسألك من جميع ما فى الجنة : خمر مالقة وزبيبى إشبيلية(١) .

ويعدُّ المقرى أنواع الثمار وأصناف الفواكه فى الأندلس ؛ وهى : التين المالقى والزبيب المُنكَّبى والزبيب العسلى والرمان السفرى والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره(٢) .

الزَّنبوع : لفظة بربرية ، تعنى الأترج ، أو الكبَّاد ، وهو صنف من الليمون ، والواحدة زُنبُوعة(٣) .

وهو المعروف فى الأندلس بالبستنبون ، وهو شبيه بالنارنج إلا أن ثمره مفرطح محبَّب أصفر اللون يؤكل خارجه وداخله ؛ وهو شديد الحموضة(٤) .

ومن أشهر المدن الأندلسية المعروفة بالزنبوع مدينة إشبيلية ، فيحدثنا المقرى أن أشجارها متكاثفة ، ومن هذه الأشجار المتكاثفة : النارنج والليم والليمون والزنبوع وغير ذلك(٥) .

السفرجل : من الفواكه ، وأجوده الكبار اليانع ، وهو أصناف : حلو وحامض ومزّ وتفه ، وثمره كثير الفائدة ، ورُوِى عن النبى ﷺ أنه كسر سفرجلة ، وناول منها جعفر بن أبى طالب ، وقال : كُلْ ، فإنه يصفِّى اللون، ويحسِّن الولد(٦) .

---

(١) نفح الطيب ٤/ ١٩٣ .

(٢) نفح الطيب ١/ ١٩٤ .

(٣) تكملة المعاجم العربية ٥/ ٣٦٤ (الترجمة العربية) .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٢٣ .

(٥) نفح الطيب ٤/١٨٨ .

(٦) المعتمد فى الأدوية المفردة ٢٢٦-٢٢٧ .

وثمره يكون في حجم الرمان فأصغر ، عليه خمل كالغبار يلزمه غالباً ، وشجره في قدر شجر التفاح إلا أنه اعرض ورقاً واغلظ واعقد عوداً[1] .

ويسمى عند الأندلسيين بلوز الهند ، منه مدحرج كبير وصغير ، ومنه ماهو إلى الطول ، ويسمى المنهّد ، وقد يتخذ الأندلسيون منه خبزاً يؤكل في الغلاء والمجاعة[2] .

وقد وصفه الشعراء الأندلسيون كثيراً في شعرهم ؛ ومنه قول أحدهم في وصف سفرجلة :

ومصفرةٍ تختالُ في ثوب نرجس وتعبق عن مسك ذكر التنفس
لها ريح محبوب وقسوة قلبه ولون محبٌ حُلَّةَ السُّقْمُ مُكْتَسى
وكان لها ثوب من الزغب اغبرُ على جسم مصفر من التبر أملسِ[3]

السفري : ضرب من الرمان المعروف في الأندلس ، مربع الحب ، وموصوف بالفضيلة ، ومقدم على أجناس الرمان بعذوبة الطعم ، ورقة العَجْم، وغزارة الماء ، وحسن الصورة ، وقد فاض هذا الرمان على أرجاء الأندلس ، وصاروا لا يفضلون عليه سواه[4] .

وقد وصفه كثير من الشعراء الأندلسيين ؛ منهم أبو عمرو أحمد بن فرج الجياني :

ولابسة صدفاً احمرا أتتك وقد ملئت جوهرا
كانك فاتح حُقٍّ لطيفٍ تضمَّن مرجانه الأحمرا

(١) تذكرة داود ١/١٨٩ .
(٢) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/٣٢٨ - ٣٢٩ .
(٣) نفح الطيب ٢/١٢٨ .
(٤) نفح الطيب ٢/١٣ .

حبوباً كمثل لثات الحبيب رضاباً إذا شئت أو منظرا
وللسفر تُعزى وماسافرت فتشكو النوى أو تقاسى السُّرى[1]

وفى سبب تسمية هذا الرمان بالسفرى رأيان : الرأى الأول يقول إنه منسوب إلى رجل شامى يدعى سَفْر بن عبيد الكلاعى من جند الأردن الذين عاشوا فى الأندلس فى زمن الخليفة عبد الرحمن الداخل ، فهو أول من زرعه بالأندلس ، ثم انتشرت زراعته ، واستوسع الناس فى غراسه ، ولزمه النسب إليه ، فصار يُعرف بالرمان السفرى[2] . والرأى الثانى يقول إنه منسوب إلى السفر والترحال ؛ لأن أختاً لعبد الرحمن الداخل أهدته إليه فى جملة هدية ، بعثته إليه من المدينة المنورة تيمناً به ؛ لأن النبى ﷺ غرسه بيده؛ وقد ذكر هذا الرأى ابن العوام الإشبيلى إلى جانب الرأى الأول ولم يرجح احدهما[3] .

شاه بلوط : تعنى بالفارسية ملك الأرض ؛ وهو شجر له حمل يؤكل ويغتذى ثمره ، ويرتفع فوق قامتين ، كثير الفروع مشرف الورق ، فيه شوك ، وحمله إلى تفرطح كأنما قسم نصفين ، وقشرته طبقتان داخل الأولى كالصوف؛ ولذلك يسمى أبو فروة ، وتحت هذا قشر رقيق ينقشر عن حبة إسفنجية تقسم نصفين ، وهو لدن حلو ويعرف فى مصر بالقسطل .

ويعمد أهل الأندلس إلى قشور شجره فيظاهرون بعضه على بعض ويدسرونه بمسامير الخشب ويركبون البحر فيه ، وإنما يفعلون ذلك به لخفته وأنه

---

(١) نفح الطيب ٢/ ١٤ .

(٢) نفح الطيب ٢/ ١٣ - ١٤ ويرى هذا الرأى أيضاً الخشنى وذكره فى كتابه : قضاة قرطبة ص ٥٣ ، ورجحه المستشرق الهولندى دوزى فى تكملة المعاجم العربية ٥/ ٢١٨ - ٢١٩ (الترجمة العربية) ، وأشار إليه العلامة الأندلسى د. محمود على مكى ؛ انظر مقاله بمجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الرابع والستون : مدخل إلى الألفاظ الأسبانية المأخوذة من العربية .

(٣) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٢٧٣ - ٢٧٤ .

لا يغرق ، فإن دخله الماء أمالوه حتى يخرج الماء منه ، شبه الزورق(١) .

وينقل المقرى عن بعض العلماء قوله : إن النصارى حرموا جنة الآخرة فأعطاهم الله جنة الدنيا بستاناً متصلاً من البحر المحيط بالأندلس إلى خليج القسطنطينية ، وعندهم عموم شاه بلوط والبندق والجوز والفستق وغير ذلك مما يكون أكثر وأمكن فى الأقاليم الباردة(٢) .

ويُعرف الشاه بلوط فى الأندلس بالقسطل والقسطون أيضاً ، وهو عندهم أصناف : منه المفرطح المعروف بالأمليسى ، ومنه الصغير المعروف بالبرجى(٣) .

الشمام : اسم لنوع من البطيخ صغير ، حنظلى الشكل والمقدار ، مخطط بحمرة وخضرة وصفرة ، رائحته طيبة ، يسميه أهل الشام اللُّفَّاح. واحدته شمامة(٤) .

وهو من الفواكه المعروفة عند الأندلسيين ، وقد ذكره الشعراء الأندلسيون كثيراً فى شعرهم ؛ ومن ذلك قول ابن القَبْطُرنة :

دعاك خليلك واليوم طل ... وعارض وجه الثرى قد بَقَلْ
لقِدْرين فاحا وشمَّامة ... وإبريق راح ونعم المحلْ
ولو شاء زاد ولكنه ... يلام الصديق إذا ما احتفل(٥)

العصير : هو فعيل بمعنى مفعول ؛ أى عصير بمعنى معصور ، وهو كل ما تحلَّب من الشئ عند عصره ، وكل ما عصر من العنب وما أشبهه من الثمرات فهو عصير .

---

(١) المعتمد فى الأدوية المفردة ٣٤ ، ٢٥٦ ، تذكرة داود ١/ ٢٠٧ ، معجم النبات والزراعة ١/ ٤٦٨ .

(٢) نفح الطيب ١/ ١٣٨ .

(٣) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٢٥٤ .

(٤) المعتمد فى الأدوية المفردة ٢٧٢ .

(٥) نفح الطيب ٥/ ١٣٥ .

ولكن هذه اللفظة استعملت عند الأندلسيين فى غير هذا المعنى ؛ فهى تعنى عندهم : التين الرطب ؛ ويتضح ذلك من خلال حديث لسان الدين بن الخطيب عن مدينة سبتة بقوله : الأمينة على الاختزان ، القويمة المكيال والميزان ، محشر أنواع الحيتان ، ومحط قوافل العصير والحرير والكتان[1] . فالعصير فى هذا النص يعنى التين الرطب لشهرة مدينة سبتة به ، وقد عده كل من الزبيدى وابن هشام اللخمى مأخذاً على الأندلسيين ؛ وذلك فى قولهما : ويقولون للتين الرطب عصير ؛ والعصير ما عُصر من العنب وما أشبهه من الثمرات[2] .

ويختلف العصير هنا عن زمن العصير ؛ وهو الوقت الذى يجمع فيه العنب، وفيه يخرج الأندلسيون إلى الحقول والأودية حيث يبيتون عدة ليالٍ هنالك ، يخرج فيه الرجال والنساء ومعهم الآلات الموسيقية ، يغنون ويرقصون ويعبثون ويستحمون فى النهر ، ويرتدى كل واحد أجمل ما عنده ، ويكون فى فصل الخريف[3] . وإن كان الدكتور الأهوانى يرجح أن لفظة العصير استعملت عند الأندلسيين كثيراً فى العنب ؛ وقال : أما إطلاق اللفظ على التين الرطب فلم أجده فى غير ابن هشام والزبيدى ، ولم يشر إليه دوزى[4] .

العنّاب : شجر مثمر يقارب الزيتون فى الارتفاع والتشعب ، لكنه شائك جداً ، وورقه مزغب من أحد وجهيه سبط ، ويثمر العناب المعروف ، وأجوده الناضج اللحيم الأحمر الحلو ، على شكل شجرة النبق ، وإن كان أجله قبل

(١) نفح الطيب ٨/ ٣٤٤ .

(٢) لحن العامة ص ١٩٢ ، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى ص ٤٤ .

(٣) الزجل فى الأندلس ، د. عبد العزيز الأهوانى ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٧ م ، ص ٩٩ .

(٤) الزجل فى الأندلس ، ص ٤٤-٤٥ .

الطعام فهو أجود ، ولـه فوائد عديدة ؛ منها أنه يقوى البـدن ويصفى اللون ، والواحدة منه عُنَّابة[١] .

والعنـاب من الفواكه المعروفة عند الأنـدلسيين ، وكثـيراً ما شبه الـشعراء الأندلسيـون وجه المرأة الجميلـة وأناملها بالعـناب ، كقول أبى الحسـن على بن حريق :

إنَّ ماءً كان فى وجنتهـا   وردته السنُّ حتى نشفا
وذوى العناب من أنملها   فأعادته الليالى حشفا[٢]

والعُنَّاب يسـمى فى الأندلـس الزُّفَيزف ، ومنـها أخذت اللـفظة الأسبـانية azufaifa[٣] ، والعامة تـقول الرفرف - كما ورد عنـد ابن العوام[٤] ، وهو فى الأندلس أنواع : منها ما له ثمر كبير شـديد الحمرة ، ومنها نوع آخر له ثمر فى قدر حب الأهل ، ومنها نوع آخر له ثمر أصفر من ذلك[٥] .

ومن المآخذ التى أخذها ابن هشام اللخمى على الأندلسيين تسميتهم العناب رفيزفاً ؛ وذلك فى قولـه : ويقولون الزفيزف ؛ وبعضهم يفـتح الزاى الثانية ، والصواب العناب[٦] .

العنب : ثمر الـكَرْم ، ويقال له العِنَبَاء أيضـاً ، والواحدة عنبة ، ويـجمع على أعناب ، والعنب أنواع كثيرة كالتمـر ، وأجوده الكبار الرقيق القشر القليل

---

(١) المعتمد فـى الأدوية المفردة ٣٤٠-٣٤١ ، تذكرة داود ١/ ٢٤١ ، المعجـم الوسيط ٢/ ٦٥٣ ، معجم النبات والزراعة ١/ ٩٥ .

(٢) نفح الطيب ٤/ ٣٦٧ .

(٣) تكملة المعاجم العربية ٥/ ٣٣٧ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٢٦١ .

(٥) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢/ ١٦٥ ، كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٢٦١ .

(٦) ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى ص ٣٥ .

البزر الحلو[١] .

ومن أشهر المدن الأندلسية المعروفة بالعنب مدينة مالقة التى يقول عنها المقرى : إحدى قواعد الأندلس ، وبلادها الحسان ، جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه ، رأيت العنب يُباع فى أسواقها بحساب ثمانية أرطال بذرهم صغير[٢] . وكذلك مدينة سرقسطة التى يقول عنها أيضاً : ولا يتسوس فيها شئ من الطعام ولا يعفن ، ويوجد فيها القمح من مائة سنة ، والعنب المُعلَّق من ستة أعوام[٣] .

وكذلك مدينة إشبيلية ، ففى غربيها - كما يقول المقرى - رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخاً ، يشتمل على آلاف من الضياع ، كلها تين وعنب وزيتون ، وهو المُسمَّى بشرف إشبيلية[٤] .

وكذلك بلدة أبدة التابعة لمدينة جيَّان ؛ والتى يقول عنها المقرى : «ومافى أبدة من الكروم التى كاد العنب لا يُباع فيها ولا يشترى كثرة ...»[٥] .

وأما عن أنواع العنب المشهورة فى الأندلس فهناك العنب الرازقى ؛ وهو عنب أبيض صغير ذو عجم صغير أيضاً[٦] ، وقيل ضرب من العنب أبيض طويل الحب ، وهو منسوب إلى الضعف والرقة ، فالرازقى فى اللغة تعنى الضعيف الرقيق[٧] . وهناك العنب الأسود الذى اشتهرت به مدينة جيَّان ، ويقول فيه أحد الشعراء الأندلسيين :

---

(١) المخصص ١١/٧١ ، تذكرة داود ١/ ٢٤٠ ، معجم النبات والزراعة ١/ ٩٥ .

(٢) نفح الطيب ١/ ١٥٢ .

(٣) نفح الطيب ١/ ١٩١ .

(٤) نفح الطيب ٦/ ١٤٤ .

(٥) نفح الطيب ٤/ ١٩١ .

(٦) تكملة المعاجم العربية ٥/ ١٢٩ .

(٧) تاج العروس ٦/ ٣٥٥ .

عنب تطلّع من حشا ورقٍ لنا   صُبغت غلائل جلده بالإثمـــــد
فكأنه من بينهن كواكـــــب   كُسِفت فلاحتْ فى سماء زبرجد[1]

عيون البقر : أهل الأندلس يسمـون الإجّاص عيون البقر[2] . وهو عنب أسود غيـر حالك ، مدوَّر كبار مـدحرج ، ليس بصـادق الحلاوة يُزبِّب ، وهو صنفان : أسود وابيض ، والأسود هو الإجاص عـلى الحقيقة ، والأبيض هو المعروف بالشاهلوج[3] .

ويقول ابن هـشام اللخمى عن أهـل الأندلس : ويقولون لـلإجاص عيون البقر ، وعيـون البقر عند العرب إنمـا هو عنب أسود ليس بالحـالك ، ويقولون لنوع مسنه النيش ، وإنمـا تقول له العـرب المشمش ، واسـمه المشهور بـالمغرب البرقوق[4] .

ويحكى لنا المقرى طرفة عن هذا النوع مـن الفاكهة بقوله : حضر القاضى أبو الوليد الوقشـى قاضى طليطلة يوماً مجلس ابـن ذى النون ، فقدِّم نوع من الحلوى يُعـرف بآذان القاضى ، فـتهافت جمـاعة من خواصـه عليها يـقصدون التندير فيه ، وجعـلوا يكثرون من اكلها ، وكان فيما قدم من الـفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر ، فقال له المأمون : ياقاضى، أرى هؤلاء يأكلون أذنيك، فقال : وأنا أيضاً آكل عيونهم ، وكشف عن الطبق ، وجعل يأكل منه[5] .

الفِرْصَاد : هو التـوت الحلو ، ويقال له فـى الأندلس : التوت الـعربى ، وهو توت الحرير ، ويجرى مجرى الـتين فى الإنضاج إلا أنه أردأ غذاء ، وهو

---

(١) نفح الطيب ٤/ ٢٣٢ .
(٢) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١/ ١٣ .
(٣) المخصص ١١/ ٧١ ، المعتمد فى الأدوية المفردة ٥ ، ٣٤٧ ، كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٤٢ .
(٤) ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى ص ٤٥ .
(٥) نفح الطيب ٥/ ٢٧٨ - ٢٧٩ .

أنواع : أبيض ، وأحمر ، وأصفر ، وأسود ، وأزرق ، وأغبر ، وقد تطبخ عصارته بُربّ العنب أو السكر[1] .

ويحكى المقرى أن الدهرية سألوا الشافعى عن دليل الصانع ، فقال : ورقة الفرصاد تأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم ، والنحل فيكون منها العسل ، والظباء فينعقد فى نوافجها المسك ، والشاء فيكون منها البعر ، فآمنوا كلهم ، وكانوا سبعة عشر[2] .

الفستق : من الأثمار المعروفة ، وهو نوعان : شامى وخراسانى ، وأجوده الشامى الكبار ، وثمرته طيبة ، فيها شئ كأنه إلى المرارة ، عطرى، وله لب مائل إلى الخضرة لذيذ الطعم يُتنقَّل به ، وهو من الفصيلة البُطْمِيَّة من ذوات الفلقتين[3] .

ولقد كان الفستق من الفواكه المعروفة عند الأندلسيين ؛ وفى ذلك يقول المقرى : وعندهم عموم شاه بلوط والبندق والجوز والفستق[4] .

القراصيا : يقال لها القراسيا بالسين والجراصيا بالجيم والصاد ، وهى ثمرة شبيهة بالتوت والعُلّيق ، وتسمى بحب الملوك فى المغرب والأندلس ، وهى القراصيا البعلبكى فى الشام ، ومنها حامض وعفص ، وحب الملوك نوعان أسود وأحمر ، ومنه بستانى وجبلى ، وقيل إن حب الملوك هو حب الصنوبر الكبار[5] .

وشجر القراصيا كالإجاص ، تحمل ثمراً كالعناب كثير المائية شديد الحمرة

---

(1) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/٢٨٩ ، المعتمد فى الأدوية المفردة ٥٣ .

(2) نفح الطيب ٧/٢٦٩ - ٢٧٠ .

(3) المعتمد فى الأدوية المفردة ٣٦٣ ، المعجم الوسيط ٢/٧١٣ .

(4) نفح الطيب ١/١٣٨ .

(5) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/٢٦٩ ، المعتمد فى الأدوية المفردة ٣٨١ - ٣٨٢ .

إذا نضج أسودّ ، وفيه مزازة بين حموضة وحلاوة ، ويعرف في مصر بخوخ الدب[1] .

ولقد كانت القراصيا معروفة عند الأندلسيين بنوعيها الأحمر والأسود ؛ ووردت في شعرهم كثيراً ؛ يقول المقرى : وقال بعضهم في القراسيا ، ويقال له بالمغرب حب الملوك :

ودوح تهدَّل أشطانه ... رعى الدهرُ من حسنه ما اشتهى
فما احمرّ منه فصوص العقيق ... وماسودّ منه عيون المها[2]

القسطل : شجر مثمر من الفصيلة البلوطية ، له ثمر كثير النشاء يؤكل مشوياً ، ويعرف في مصر بـ (أبي فروة)[3] . ويُعرف في الأندلس بالشاه بلوط والقسطون ، وهو أصناف : منه المفرطح المعروف بالأمليسي ، ومنه الصغير المعروف بالبرجي ، وهو جبلي لا ينبت في المروج ولا على شواطئ الأنهار الكبار ، وأهل الأندلس يعملون منه الخبز وقت المجاعة عن طريق طبخه بالماء العذب بعد أن ينقع فيه نحو أربع وعشرين ساعة ، وليكن وحده دون ملح ، ثم يبدل له الماء ويطبخ به بنار لينة نحو ست ساعات ، ومنه ما كان أبيض كثيراً شديد الحلاوة[4] .

وكان ترتيب الفواكه على المائدة الأندلسية هو: الجوز ثم اللوز ثم القسطل؛ ولما دخل المعتمد بن عباد الحمام ثملاً ، جعل يقول : الجوز ، اللوز، القسطل ، ومر على هذا ساعة إلى أن تذكر النحلي الشاعر ، فقال له : من أي وقت أنت هنا؟ قال : من أول ما رتب مولانا الفواكه في النصبة ،

---

(١) تذكرة داود ١/ ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) نفح الطيب ٥/ ١٤٢ .

(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٧٦٢ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ .

والنصبة مائدة يصبون فيها هذه الأصناف من الفواكه[1] .

ويحدثنا المقرى عن غرائب الأندلس أن به شجرتين من شجر القسطل ، وهما عظيمتان جداً ، في جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب[2] .

الكروم : الكَرْم أصل العنب ، وإذا غرس قضباناً كان منه الكرم المشهور المثمر للعنب ، وإن غرس حباً كان منه هذا الموسوم بالبرى ، وكثيراً ما يكون من ذرق الطيور إذا أكلت العنب ، وينبت بالجبال وجوانب الماء ، ويحمل حباً صغيراً اسود غالباً يجمع فيكون منه الخمرة السوداء[3] .

وأنواع الكروم فى الأندلس كثيرة ؛ منها الأسود والمدحرج والطويل أيضاً ، ومنها بين ذلك ، ومنها الأحمر فى أصفر ومنها البكير والمؤخر وبين ذلك أيضاً[4] .

وقد يخطئ بعض العامة فى الأندلس ويطلق الكَرْمة على شجرة التين ، وليست الكرمة فى اللغة بشجرة التين ، وإنما الكرمة شجرة العنب[5] .

ولا تكاد تخلو بلدة من بلاد الأندلس من الكروم ، فغرناطة بها البساتين الجليلة ، والجنات والرياضات والقصور ، والكروم محدقة بها من كل جهة[6] ، وإشبيلية ضفتاها مطرزتان بالمناره والبساتين والكروم والأنسام متصل ذلك اتصالاً لا يوجد على غيره ، حتى إن العامة تقول : لو طُلب لبن الطير فى إشبيلية وجُد[7] . وأبدة التابعة لجيَّان فيها من الكروم ما لا يكاد يباع فيها ولا

(١) نفح الطيب ٤/٢٠٦ .

(٢) نفح الطيب ١/١٤٩ .

(٣) تذكرة داود ١/ ٢٧٠ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/٣٥١ - ٣٥٢ .

(٥) الجمانة فى إزالة الرطانة ٣٦ .

(٦) نفح الطيب ١/١٧٢ .

(٧) نفح الطيب ٤/١٨٧ .

يشترى كثرة[1] . وأما مالقة فإنها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التى لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر[2] .

وكثرة الكروم فى الأندلس أدت إلى كثرة الخمور المتخذة منها حتى إن الحكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر همّ بقطع شجر الكروم من الأندلس، فقيل له : فإنها تعصر من سواها ؛ فأمسك عن ذلك[3] .

اللبخ : شجر عظام أمثال الدُّلب، وله ثمر أصفر يشبه التمر، حلو جداً، إلا أنه كريه ، وقال بعضهم : هو مرّ كريه ، وإذا أُكل أعطش ، وإذا شرب عليه الماء أنفخ البطن، وهذا الثمر جيد لوجع المعدة والأسنان[4] .

وقد ورد ذكر اللبخ عند الشعراء الأندلسيين ؛ ومنه قول أحدهم :

فكم نقعت من غُلّة تلكم الأضى ... وكم أبرأت من علة تلكم اللبخ[5]

اللوز : ثمر برى وبستانى ؛ وهو على نوعين : حلو ، ومر ، وشجره يقرب من الرمان ، وينجب فى البلاد الباردة والأرض البيضاء والجبال ، وورقه سبط مستدير يعمل منه الكامخ ، وثمره إما رقيق القشر ينفرك باليد، وإما غليظ يكسر ، وهو فى بلاد العرب كثير ، واحدته لوزة ، ويسمى أيضاً القُمْروص ، ولكل من حلوه ومره فوائد طبية[6] . واللوز ببلاد الأندلس كثير ؛ ومنه نوع جليل وحلو دقيق فى قدر الفستق[7] .

---

(١) نفح الطيب ٤/ ١٩١ .

(٢) نفح الطيب ٤/ ١٩٣ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ١٨٩ .

(٤) المخصص ١١/ ١٤٧ ، المعتمد ٤٤٢ ، معجم النبات والزراعة ١/ ٢١٠ .

(٥) نفح الطيب ٧/ ٣٤٨ .

(٦) المعتمد فى الأدوية المفردة ٤٦١ ، تذكرة داود ١/ ٢٨٤ ، معجم النبات والزراعة ١/ ٣٨٢ .

(٧) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٢٨١ .

وبلغ من كثرة اللوز فى الأندلس أنه كان يصدر إلى بلاد المشرق ؛ ومن أشهر المدن الأندلسية المعروفة باللوز مدينة مالقة ، التى يقول عنها المقرى : وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب[1] .

وكذلك مدينة قرطبة التى تغنى كثير من الشعراء بلوزها ؛ ومنه قول أحدهم :

سطر من اللوز فى البستان قابلنى ... ماراد شئ على شئ ولا نقصا
كأنما كل غصن كُمّ جارية ... إذا النسيم ثنى أعطافه رقصا[2]

اللّيم : يعنى عند الأندلسيين الليمون ؛ وقد نعى ابن هشام اللخمى عليهم تسمية الليمون بالليم فى قوله : ويقولون الليم والصواب الليمون ، والواحدة ليمونة[3] .

والليمون شجر مثمر من الفصيلة السذابية ، يشمل نباتياً أنواع البرتقال والأترج والنارنج والليمون الحلو والليمون الحامض، ويسمى فى مصر بالموالح، وفى الشام بالحوامض[4] ، والليمون معرب : لِيمون بالفارسية[5] .

والليمون أو اللامون أو الليمو أو الليم عند الأندلسيين كثير ، وهو شبيه بالأترج الصغير ، طرفه محدد ، وورقه أصغر من ورق الأترج وأكثر قبضاً ، ويسمى عندهم أيضاً الحسيا، وشجرته تحمل حملاً مدوراً أصفر طيب الرائحة ، وحمله كالنارنج والأترج فى أنه يبتدئ أخضر ثم يصفر ، ومنه نوع يضرب مع صفرته إلى حمرة يسيرة[6] .

---

(١) نفح الطيب ١/ ١٥٢ .

(٢) نفح الطيب ٢/ ١٧ ، ١٢٠ .

(٣) الفاظ مغربية ص ٥٥ .

(٤) المعجم الوسيط ٢/ ٨٨٤ .

(٥) محيط المحيط ٨٢٤

(٦) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٢٣ .

ورغم أن ابن هشام اللخمى يؤكد لنا أن الليم عند الأندلسيين هو الليمون فإننا نجد المقرى يجمع بينهما فى سياق واحد ، مما يشعر معه بأنهما مختلفان وأن الليم خلاف الليمون ؛ وذلك فى قوله عن إشبيلية : وبها الأشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون والزنبوع[1]

وقد ورد ذكر الليمون كثيراً على ألسنة الشعراء الأندلسيين ، ومنه :

وللنارنج تحت المـاء لَمَّا تبدَّى عكسها جمر بليـل
ولليمون فيه دون سبك جلاجل زُخْرُفٍ بصبا تجول[2]

المُرْسِيّ : ضرب من الرمان الجيد المعروف فى الأندلس ، وسُمِّى المُرْسى نسبة إلى مدينة مُرْسية الأندلسية ، وهو فى شكل الياقوت ، ولذا يدعى عندهم بالمرسى الياقوتى ، ويوجد أيضاً فى مالقة إلى جانب وجوده فى مرسية ؛ ويتضح ذلك من خلال حديث المقرى عن مالقة بقوله : ورمانها المرسى الياقوتى لا نظير له فى الدنيا[3] . ويتميز هذا الرمان بطعمه الحلو وجرمه الكبير ولحمه الغليظ وحبه الأحمر القانى .

الموز : شجر مربع سبط يطول فوق ثلاثة أذرع ، يخرج عرجوناً يطول وتعلق به ثماره بعد نثره زهراً فيه حلو كالعسل ، وأجوده الكبار الأصفر البالغ الحلو ، وقنوه يحمل من الثلاثين إلى الخمسمائة موزة ، وله ورق طوال جداً ، وأطرافه مدورة ، طول الورقة منه اثنا عشر شبراً ، وعرضها نحو ثلاثة أشبار ، ولا تزال فراخ شجرة الموز تنبت حولها كل واحد منها أصغر من صاحبه[4] .

---

(١) نفح الطيب ٤/١٨٨ .

(٢) نفح الطيب ٥/٤٥ .

(٣) نفح الطيب ١/١٥٢ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/٣٩٤ ، تذكرة داود ١/٣٢٦ ، المعتمد فى الأدوية الفردة ٥٠٨-٥٠٩ ، معجم النبات والزراعة ١/٣٨٣ .

والموز فى الأندلس كثير وخاصة فى سواحلها ؛ وفى ذلك يقول المقرى : وأما الثمار وأصناف الفواكه ، فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ، ويوجد فى سواحلها قصب السكر والموز المعدومان فى الأقاليم الباردة[1] .

النارنج : شجرة مثمرة من الفصيلة السذابية دائمة الخضرة ، تسمو بضعة أمتار ، أوراقها جلدية خضر لامعة ، لها رائحة عطرية ، وأزهارها بيض عبقة الرائحة تظهر فى الربيع ، والثمرة لُبِّية تعرف كذلك بالنارنج ، عصارتها حمضية مُرَّة ، وتستعمل أزهارها فى صنع ماء الزهر ؛ وفى زيت طيار يستعمل فى العطور ، وقشرة الثمرة تستعمل دواء أو فى عمل المربيات أو المخللات[2] ، واللفظة فارسية معربة ؛ وأصلها فى الفارسية نارنكك ، ومعناها أحمر اللون أو الرمان الأحمر[3] .

ويقول عنه ابن العوام : النارنج نبات هندى ، وشجرته تطول ، ولها ورق أملس لين شديد الخضرة ، ويحمل حملاً مدوراً فى جوفه حماض الأترج ، وكلها متولدة من الأترج لأنها شبيهة به جداً[4] .

واشجار النارنج كثيرة فى الأندلس ؛ وورد ذكرها كثيراً فى شعر الأندلسيين، ومنه قول أحدهم :

يارُبَّ نارنجة يلهو النديم بها ... كأنها كرة من أحمر الذهب
أو جذوة حملتها كف قابسها ... لكنها جذوة معدومة اللهب[5] .

وقول آخر :

---

(١) نفح الطيب ٨/ ١٩٣ .

(٢) المعجم الوسيط ٢/ ٩٤٩ .

(٣) محيط المحيط ٨٨٧ .

(٤) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٢٠ .

(٥) نفح الطيب ٥/ ١٤٠ .

وكأنما النارنج فى أوراقه الـ قنديل ، والأوراق شبه مسحَّرِ[١]

وقول ثالث فى وصف النارنج :

كراتُ عقيق فى غصون زبرجد بكف نسيم الريح منها صوالج
نقبلها طوراً وطوراً نشمها فهن خدود بيننا ونوافج[٢]

والعامة من الأندلسيين يقولون لارنج باللام مكان النون ، والصواب نارنج بالنون مكان اللام ، ولذلك تم الجناس المركب فى قول الأصمّ المروانى الشاعر :

وشادن قلت له صف لنا بستاننا هـذا ونارنجنا
فقال لى بستانكم جنة ومن جنى النارنج ناراً جنى

فما تأتَّى فيه الجناس إلا لأنه بالنون[٣] .

ثانياً : ألفاظ الحلوى

مجموع ألفاظ هذا المبحث عشرة ألفاظ هى : آذان القاضى ، الإسفنج ، البلياط ، بنت الجبن ، الحلواء ، الزلابية ، السكر الطبرزد ، السنبوسك ، المُجبَّنات ، الهريسة .

آذانُ القاضي : ضرب من الحلوى معروف عند الأندلسيين ، يعمل عن طريق عجن دقيق الدرمك بماء وزيت دون خميرة ، ثم يمد منها قريصات رقاق ، مثل قرص الأقرون ، وتكون سعتها سعة الكف أو أكثر ، وتطوى طيتين ، ويخلط الطىّ فى الطىّ ، وتفتح حواشيها وتقلى بعد أن يدخل فيها عيدان رقاق

(١) نفح الطيب ٧/ ٥٢ .

(٢) نفح الطيب ٤/ ٣٧١ وانظر اللفظة أيضاً فى : ٤/١٨٨ ، ٢٢٤ - ٥/ ٤٥ ، ٧٧ ، ١٣٢ ، ١٤١ - ٧/٤٩ ، ٢٣١ .

(٣) الجمانة فى إزالة الرطانة ص ٢٦ ، وانظر البيتين فى نفح الطيب ٥/ ١٣٢ .

لئلا تتغلق الأطراف المفتوحة ، فإذا قليت صنع حشو من الفستق أو من اللوز والسكر ويعجن بماء الورد ويحشى به الآذان ، ومن أراد تقوية الحشو فوّهه (اى وضع له الأفاويه) ، ثم يُصب فى صحفة ويسقى بشراب الجُلاّب المزموم العقد بعد أن يرش بماء الورد ، ويذر عليه السكر والعود والقرنفل والدارصينى المسحوق[1] .

وأطلق على هذا النوع من الحلوى آذان القاضى لأنه يشبه الآذان فى طريقة صنعه ، وأما إضافته للقاضى فاتباعاً لنوع آخر من الحلوى يعرف عند المشرقيين بلقمة القاضى .

ويحدثنا المقرى عن طرفة تتعلق بهذا النوع من الحلوى بقوله : حضر القاضى أبو الوليد الوقشى قاضى طليطلة مجلس ابن ذى النون ، فقدّم نوع من الحلوى يُعرف بآذان القاضى ، فتهافت جماعة من خواصه عليها يقصدون التندير فيه ، وجعلوا يكثرون من أكلها ، وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر ، فقال له المأمون : ياقاضى، ارى هؤلاء يأكلون أذنيك، فقال : وأنا أيضاً آكل عيونهم ، وكشف عن الطبق ، وجعل يأكل منه[2] .

الإسفنج : يطلق هذا اللفظ فى الأندلس على رقاق مخلخل يصنع من الدقيق المقلو فى الزيت ، وهو شبيه بالإسفنج المتولد فى قعر البحار من حيث الرخاوة والشكل .

ويتخذ من دقيق السميذ الأبيض النقى الذى يعجن بالماء الفاتر ، ثم يلقى فيه خمير وبيض ، وتطرح لكل مد خمس بيضات ، ثم يعرك العجين ويترك

---

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، لمجهول المؤلف ، نشر وتحقيق أمبروزيو أويثى ميراندا ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلدان التاسع والعاشر ، ١٩٦١ - ١٩٦٢ م ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) نفح الطيب ٥/ ٢٧٨ - ٢٧٩ .

حتى يختمر ، ثم يؤخذ لوز وجوز وفستق وصنوبر ويدق الجميع فى مهراس ثم يوضع على عسل يغلى ، ويوضع هذا المدقوق من أنواع اللوز والجوز والفستق والصنوبر والعسل المنعقد على العجين ، ثم يقطع العجين لقماً صغيرة ، وتقلى فى الزيت الطيب ، ثم يُعقد لما يخرج من الزيت سكر وماء ورد يلقى عليه[1] .

وقد ورد ذكر هذا النوع من الحلوى كثيراً على ألسنة الشعراء الأندلسيين ؛ ومنهم أبو عبدالله بن الأزرق الشاعر فى قوله :

ولى إلى الإسفنج شو　　ق دائم يطربنى
وللأرز الفضـــلُ إذ　　تطبخه باللبن[2]

البلياط : ضرب من الحلوى معروف عند الأندلسيين ، يشبه القطايف ، ويحشى باللوز والجوز والفستق والزبيب والصنوبر وغيره ، ثم يُقلى فى الزيت الطيب ، وبعد القلى يصب عليه سكر معقود بماء الورد .

وورد ذكره على لسان أبى عبد الله بن الأزرق الشاعر :

وكذلك البلياط بالز　　يت الذى يقنعنــى
تطبخه حتى يُـرى　　يحمرُ فى التلوُّن[3]

بنتُ الجُبن : اسم أطلقه الأندلسيون على المُجبَّنات التى هى نوع من القطايف يضاف إليه الجبن الشريشى فى عجينه ، ثم يقلى بالزيت الطيب .

وقد ورد ذكره على ألسنة الشعراء الأندلسيين ، فى قول أحدهم :

وأين بنت الجبن ؟ لما بَدَتْ　　طارت إليها شوقاً الباب[4]

---

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٢٢٩ .

(٢) نفح الطيب ٤/٢٦٩ .

(٣) نفح الطيب ٤/٢٦٩ .

(٤) نفح الطيب ٦/٣٠٣ .

وقول آخر :

واسكت عن الجبن فإن   بنته تذهلنـــــــى
ظاهرها كالـــــورد أو   باطنها كالسوسن[1]

الحلواء - الحلوى - الحلاوة : كل ما عـولج بحلو الـطعام ، يمد ويـقصر ويؤنـث لاغير، والحلـواء : اسم لما كان مـن الطعام إذا كـان معالجاً بـحلاوة، والحلواء أيضاً : الفـاكهة الحلوة[2] . ولقد كـانت صناعة الحـلوى منتـشرة فى المدن الأندلسية بشكل ملحوظ ، وكانت تـتخذ غالباً من التمر والعسل، أو من السكر المدقوق ، أو من السكر الأبيض والعسل المصفى[3] .

وقد وردت هذه اللـفظة عند المقرى ممـدودة ومقصورة ومؤنثـة فى قوله : «ورتب لهـا من الغنم والدجـاج والسكر والحلوى والـفاكهة فى كل يـوم بكرة وعشية ما عمَّهم وفضل عنهم[4] . وقوله : وهيَّأ كل ما تحتـاج إليه فى سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبقسماط . .[5] » . وقوله فى الزهد: وازهد فيما بأيدى الناس من العوارى ، وسـر فى اجتناب الحلواء ، على سبيل السواء[6] .

الزلابية : ضرب من الحلـوى معروف عند الأندلـسيين ، وصانعهـا يسمى زلبانى ؛ وتصنع من عجين دقيق الدرمك، وتجـعل فى إناء مثقـوب القـعر ، ثـم يجعـل الإصبع علي الثقـب ثم ينصب القـالى يده على المقـلاة ويزيل إصبعــه بروية فـيجرى العجين مـن الثقب فى المـقلاة ، ويصور من الـعجين

(١) نفح الطيب ٤/ ٢٦٩ .
(٢) لسان العرب لابن منظور ٢/ ٩٨٣ ط دار المعارف .
(٣) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٢٢٤-٢٢٦ .
(٤) نفح الطيب ٦/ ١٦٨ .
(٥) نفح الطيب ٦/ ١٦٨ .
(٦) نفح الطيب ٨/ ٣٠٣ .

خواتم وشباك وغير ذلك على ما جرت عادة الأندلسيين في عملها ، فإذا نضجت رفعت برفق ووضعت في عسل منزوع الرغوة مفوهً ، وكان الأندلسيون يلونونها عن طريق إضافة ماء البقم أو اللك الهندى أو ماء الفوه أو الزعفران أو ماء الرازيانج الأخضر الطرى أو ماء عنب الثعلب إلى عجينها[1] .

وقد أورد لنا المقرى بيتين من الشعر للأصمّ المرواني قالهما في زلباني وهما :

لله سَفَّاح بدالى مسحراً فأفاد علم الكيميا بيمينه
ذهَّبت فضة خده بلواحظى وكذاك تفعل ناره بعجينه[2]

السكَّر الطبَرْزَذ : السكر مادة حلوة تستخرج غالباً من عصير القصب أو البنجر ، وقصبه يعرف بقصب السكر ؛ واحدته سكرة ، وهو فارسى معرب عن شكر ، وماء القصب إذا غُلى واشتد غليه وقذف بالزبد صار سكَّرا[3] .

الطبرزذ : السكر الأبيض الصلب ، فارسى معرب ، وأصله تبرزد كأنه نحت من نواحيه بالفأس ، والتبر الفأس بالفارسية ، وقيل فيه أيضاً : طبرزن وطبرزل بالنون واللام إلى جانب الذال والدال : طبرزذ ، طبرزد[4] . وقد وردت هاتان الكلمتان عند المقرى تعنى السكر الأبيض النقى ؛ وذلك فى قوله : «ومع ذلك عشر قناطير سكر طبرزذ لاسُحاق فيه . . .»[5] .

السنبُوسك : كلمة فارسية معربة ، أصلها فى الفارسية : سنبوسه ،

---

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ص ٢١٦ .
(٢) نفح الطيب ٥/ ١٣٢ .
(٣) تاج العروس ٣/ ٢٧٥ ، محيط المحيط ٤١٧ ، المعجم الوسيط ١/ ٤٥٥ .
(٤) تاج العروس ٣/ ٥٦٩ ، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ١١١ .
(٥) نفح الطيب ١/ ٣٤٥ .

وهى تعنى فى الفـارسية : نوع من الحلوى المثلثة تتـخذ من رقاق العجين بالسمن وتحشى بقطع اللحم واللوز[١] .

والسنبوسك معروف عند الأندلسيين ؛ وكان يدخل فى تكوين نوع آخر من الطعـام عندهم وهو التـفايا[٢] ؛ والسـنبـوسك نوعـان : سنبـوسك الملوك ، وسنبوسك العامـة ، أما سنبوسك الملوك فيتخذ من السـكر الأبيض ، فيوضع عليه ماء الورد ثم اللوز المدقوق كالعجين ، ويحرك برفق حتى يلتف ، ثم ينزل عن النار ، فإذا فترت حرارته جعل فيه سنبـل وقرنفل ويسير زنجبيل وشئ يسير من المصطكى ، ويضـرب الجميع ويعرك حتى يتداخل بعضـه ببعض ، ويصنع منـه قرص على قـدر الكعـك ، وقد يكون عـلى شكـل النارنج أو التـفاح أو الإجَّاص[٣] .

أما سنبوسك العامة فيعـمل ثلاثة أنواع : النوع الأول : أن يُحشى الرقاق بالثوم المدقوق والتوابل ويأخذ شكلاً مثلثاً ويقلى فى الزيت . والنوع الثانى : يعمل بالعجين مخلوطاً مضروباً باللحم المدقوق والتوابل والبيض ويقلى ويقدم، والنوع الثالـث يعمل بالعجين المعـجون بالسمن أو الشحم المـذاب ولا يقلى بل يؤكل نيّاً[٤] .

وعرف الأندلـسيون طريـقة أخرى لعمـل السنبـوسك عن طريـق أخذ لحم الحشا أو أى لحم آخر فيدق دقاً جيداً وينقى من عروقه ويجعل معه من الشحم المقطع مثل ثلث اللحم ، ويرمى على الجـميع تابل كثير ويزاد من الفلفل وماء بصل وكزبر أخـضر وسذاب وملح ، ويخلط نـاعماً ويلقى بالزيـت وقليل ماء حتى يتجعـد ، ويؤخذ سميذ ويعجن بالـسمن عجناً جيداً مع قلـيل فلفل ، ثم

---

(١) Persin English Dic. P. 700. وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة ٩٥ .

(٢) نفح الطيب ١١٢/٤ .

(٣ ، ٤) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٢١٣ .

يؤخذ من هذا العجين قطعة وتمد بمقدار نصف شبر ، ثم يؤخذ من الحشو ويجعل فى وسط العجين ، ويدرج أطراف العجين على الحشو ، ثم يقلى فى زيت عذب(١) .

وقد ورد ذكر السنبوسك عند المقرى بالقاف فى قوله عن أهل الأندلس : ومما اخترعوه من الطبيخ اللون المسمّى عندهم بالتفايا ، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكباب(٢) .

المُجَبَّنات : ضرب من الحلوى مشهور فى الأندلس ؛ ولاسيما فى مدينة شريش ، والمجبنات كما يقول المقرى نوع من القطايف يضاف إليها الجبن فى عجينها ثم تقلى بالزيت الطيب(٣) . وتتخذ من دقيق الدرمك أو السميذ يعجن بشئ من الخمير ، ويسقى بالماء أو باللبن الحليب ، ثم يقطع من العجين قطعة ويدفن فى جوفها مثلها من الجبن المعروك ، ويعصر باليد ليخرج منها ماء الجبن ، ثم تقلى فى الزيت الطيب ، ثم يذر عليها سكر كثير وقرفة مسحوقة ، ومن الأندلسيين من يأكلها بالعسل أو بشراب الورد(٤) .

ويحدثنا المقرى عن مدينة شريش المشهورة بالمجبنات قائلاً : ومما اختصت به إحسان الصنعة فى المجبنات ، وطيب جبنها يعين على ذلك ، ويقول أهل الأندلس : من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم(٥) .

---

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ١١٧ .

(٢) نفح الطيب ٤/ ١١٢ .

(٣) نفح الطيب ١/ ١٨٠ .

(٤) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٢٠٠ .

(٥) نفح الطيب ١/ ١٨٠ .

وقد وردت المجبنات كثيراً على ألسنة الشعراء الأندلسيين ؛ ومن ذلك قول أحدهم فيها :

ومصفرة الخدين مطوية الحشا ... على الجُبْن والمصفرّ يؤذن بالخوف
لها بهجة كالشمس عند طلوعها ... ولكنها فى الحين تغرب فى الجوف(١)

الهَرِيسة : معروفة عند المشارقة والمغاربة ؛ ولكنها تختلف فى طريقة صنعها من مكان إلى مكان . والهَرْس فى اللغة : الدق العنيف والكسر ، ومنه الهريس والهريسة ، والهريس . الحب المهروس قبل أن يطبخ ، فإذا طبخ فهو الهريسة ، وسميت الهريسة هريسة لأن البر الذى هى منه يدق ثم يطبخ ، والهرَّاس ككتَّان متخذه وصانعه(٢) .

والهريسة عند الأندلسيين أنواع عديدة : منها نوع من الحلوى يُصنع من الدقيق والسمن والسكر ، ومنها العجين المقلو فى الزيت ، ومنها ما يتخذ من لحم العجل السمين أو من لحم الثنى من الضأن أو من لحم صدور الأوز وأفخاذها ولحم صدور الدجاج وأفخاذها ، ومنها ما يتخذ من الأرز أو من فتات خبز الدرمك عوضاً عن القمح(٣) .

واختلاف أنواعها يرجع إلى تفاوت طبقات المجتمع الأندلسى ، ولكن أشهر أنواع الهرائس عندهم هى التى تؤخذ من لباب القمح مع اللحم الأحمر النقى يجعلان على نار قوية حتى ينحل اللحم ثم يعرك عركاً قوياً حتى يمتزج ويتداخل ، ثم يصب عليهما ما يغمرهما من الشحم الطرى المذاب ، ثم تفرغ فى قصعة ويذر عليها قرفة مسحوقة(٤) .

---

(١) نفح الطيب ٨/٢٣ وانظر ايضاً : ٤/٢٦٩ - ٥/١٢ - ٨/٣٠٣ .

(٢) تاج العروس ٤/٢٧١ .

(٣) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ١٩١-١٩٢ .

(٤) السابق ١٩١-١٩٢ .

ثالثاً : ألفاظ الطبيخ

مجموع ألفاظ هـذا المبحث ثلاثة عشر لفظاً هى : الأرز المـطبوخ باللبن ، لون البـاذنجان ، التفـايا ، التقلـية ، ثريد الراس ، الـزبزن ، طوابق الـكبش الثنى، العصيدة ، الكسكسو ، المثلث ، المثومات ، المُرّى ، المزوار .

الأرز المطبوخ باللبن : من المطبوخات المعروفة عـند الأندلسيين ، تتم عن طريق أخذ الأرز المغسـول بالماء الحار ويجعل فى قدر ، ويصب عـليه من اللبن الحليب الصـريح حين حلبه ، وتجعل هـذه القدر فى برمة نحاس فـيها ماء قدر نصفها أو أكثر قليلاً ، وتجعل البرمة على نار والقدر بالأرز واللبن فيها محجوباً عن النار ، ويتـرك يطبخ دون تحريك ، فإذا جف اللبن زيـد لبن آخر ، وهكذا حتى ينحل الأرز وينضج ، ويضاف إليه زبد طرى يطبخ معه ، فإذا نضج الأرز وانحل أنزلت القدر وعـرك بالمغرفة حتى ينحل حيث يـصب فى قصعة ، ويذر عليه سكر مسحوق وقرفة وزبد[1] .

وقد ورد هذا اللون من الطبيخ فى شعر أبى عبد الله بن الأزرق فى قوله :

ولى إلى الإسفنج شو ... ق دائم يطربنـــــى
وللأرز الفضـــــل إذ ... تطبخه باللـــــبن[2]

وقول آخر :

وأين الألبان لأكوابها ... فى بُرَم الأرزّ تسكاب[3]

لون الباذنجان : الباذنجان ضرب من الخضر ، تؤكل ثماره ، ومنه الأسود

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ١٨٤-١٨٥ .

(٢) نفح الطيب ٤/٢٦٩ .

(٣) نفح الطيب ٦/٣٠٣ .

والأبيض ، وهو الأنب والمغد ، واحدته باذنجانة ؛ وهو معرب عن الفارسية باتِنْكَان[١] .

وكان الباذنجان أكثر ما يؤكل مطبوخاً فى الأندلس ، عن طريق سلقه وطرح قشره الأعلى ، ويجعل فى برمة ، بها مغرفة ونصف زيت ومغرفتان من مُرِّى وفلفل وكراويا وشئ من بصلة مدقوقة وملح ، ويرفع على النار فإذا غلى يحرك حتى ينضج ، فإذا نضج يخمر به محاح البيض مع فتات جوز ، فإذا جعل فى الصحفة ذر عليه فلفل[٢] .

ويبدو أن طبيخ الباذنجان كان من الأطعمة التى يصعب اكتشاف السم بها ، فيحدثنا المقرى عن ابن الصائغ أنه مات مسموماً فى باذنجان[٣] . وكذلك ابن باجة مات مسموماً فى باذنجان على يد ابن معيوب خادم أبى العلاء بن زُهْر بسبب عداوة ابن باجة لابن زهر ، وفى ذلك يقول الوزير أبو الحسن بن الإمام الغرناطى يهجو مراكش المحروسة :

ياحضرة الملك ما أشهاك لى وطناً   لولا ضروب بلاء فيك مصبوب
ماء زعاق وجو كله كدر   وأكلة من باذنجان ابن معيوب[٤]

ورغم ذلك فقد كان الباذنجان مستحسناً عند الأندلسيين؛ وفيه قال بعضهم:

ومستحسن عند الطعام مُدحَرج   غذاه نمير الماء فى كل بستان
تطلَّع فى أقماعه فكأنه   قلوب نعاج فى مخاليب عقبان[٥]

---

(١) المعجم الكبير ٢/١٨ .

(٢) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٩٣ .

(٣) نفح الطيب ٩/ ٢٥٤ .

(٤) نفح الطيب ٥/ ١٦٢ .

(٥) نفح الطيب ٥/ ٢٣٤ .

ومازالت الأسبانية تحتفظ بهذا اللفظ حتى اليوم نقلاً عن العربية ؛ وهو فى الأسبانية : berejena[1] .

التفايا : ضرب من الطبيخ المعروف عند الأندلسيين ، علمهم إياه زرياب الموسيقى المشهور ، واستعملت هذه اللفظة عندهم جمعاً لا مفرد لها . والتفايا لون من الطبيخ معتدل الغذاء موافق للمعدة الضعيفة ؛ ويؤخذ من لحم الضأن الفتى السمين ، ويقطع قطعاً صغاراً ، ويجعل فى قدر نظيفة بملح وفلفل وكزبرة يابسة ويسير من ماء بصلة مدقوقة ، ومغرفة زيت عذب ، وقدر الكفاية من الماء ، ويجعل على نار لينة ، ويتفقد بالتحريك، ويجعل فيه من البنادق وشئ من اللوز المقشور المقسوم ، فإذا نضج اللحم وكمل طبخه أنزلت القدر على الرضف حتى يفتر ، وتخضّر هذه التفايا بماء الكزبرة الرطبة وحده أو مع شئ من ماء النعنع[2] .

وكان الأندلسيون يفضلون التفايا الخضراء ، وتخضيرها يكون بوضع الكزبرة الرطبة عليها ، وفى ذلك يقول ابن عمار :

شنئت المثلَّث للزعفران ومِلْتُ إلى خضرة فى التفايا[3]

ويحدثنا المقرى عن نوع آخر من التفايا مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلًّى بالسنبوسق والكباب[4] ، عن طريق جعل اللحم فى قدر ، ويجعل معه تابل وبصل مقطع وزيت وعود بسباس ويغمر بالماء، ويطبخ حتى يبلغ نصف طبخه، ويدق من الكزبر الأخضر قبضة كبيرة ، ويعصر ماؤها ويرمى فى القدر ،

---

(١) مدخل إلى الألفاظ الأسبانية المأخوذة من العربية ، د. محمود على مكى ، مجلة مجمع اللغة العربية، جـ ٦٤ ، مايو ١٩٨٩ م ، ص ٢٦٧ .

(٢) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٨٥-٨٦ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٤) نفح الطيب ٤/ ١١٢ .

ويحرك دائماً ، فإذا قرب من النضج يرمى فيـها البنادق المعهودة والسنبوسك ، وبعد غرفه ينثر عليه فلفل[1] .

لون التقلية : كلمة لون تعنى عند الأندلسـيين صنفاً واحداً من الطبيخ أو مـن الطعام ، والتقلية ضرب من الطـعام مشهور عندهم ، وأول من استعمله فـى الأندلس زريـاب الموسيقى المشهور تلميذ إسحـاق الموصلى ، وهو عبارة عـــن فول مملـــوح يُقلى ، وأهل الأندلس يـسمونه الزريـاب ، وقد أخذ عليهم ابـن هشام اللخمى قولهـم الزرياب ، والصواب الزريابى بـياء النسب ، وذلك فـى قولـه : ويقولـون للفـول المقـلو المملـوح الزريـاب ، والصـــواب الزريابـى، منسوب إلـى زرياب غلام إسحاق المـوصلى ، وهو أول مـن اتخذه فنسب إليه[2] .

ويحدثنا المقرى عن الأطعمة التـى أدخلها زرياب إلى الأندلس ، أولها لون التفايا ، ويليه عندهم لون التقلية المنسوبة إلى زرياب[3] .

وقد اشتق الأندلسيون من اسم زرياب الفعل زريب ، وصار يعنى عندهم: شوى أو حمَّص أو قلا[4] .

الثريد - ثريدُ الرأس : فى التـاج : ثرد الخبز : فـتَّه ثم بلَّه بمرق ثـم شرفه وسط القصعة ، وهو الثَّريد والثَّريدة والثَّرودة . والثريد : مافُتَّ من الخبز وبُلَّ بالمرق ؛ قال الشاعر :

إذا ما الخبزُ تأدمه بلحمٍ فذاكَ أمانةَ اللهِ الثريدُ[5]

---

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ١١٨ .

(٢) الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى ٣٥ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ١١٢ .

(٤) تكملة المعاجم العربية ٥/ ٣٢٠ (الترجمة العربية) .

(٥) تاج العروس ٢/ ٣١٠ ، المعجم الكبير ٣/ ٢٣٧-٢٣٩ .

وقد كان الثريد من أحب الأطعمة عند عامة الأندلسيين ، ولاسيما إذا اتخذ من لحوم الرأس .

وكان الثريد يتم عمله عندهم عن طريق تقطيع اللحوم قطعاً وتجعل فى قدر بملح وبصلة وفلفل وزعفران وكمـون وثوم وخل وزيت كثير ، ويرفع على نار معتدلة ، فـإذا نضج اللحم جعل فيـه من البقل ، فإذا نضج الجـميع أنزل عن النار وسقى بـه الثريد المفتت من الخبز المختـمر ، ويعاود السقى حتـى يستوفى حقه[1] .

وفى الثريد قال أحد الشعراء الأندلسيين :

هل للثريد عودة إلـىَّ قـد شـوقنـــى
تغوص فيه أنملى غوص الأكول المحسن[2]

ويورد المقرى وصية للسان الدين بن الخطيب فى الزهد ؛ ومنها :

وارفض فـى الشواء دواعى الأهـواء ، وكن على الـهرَّاس وصاحب ثـريد الراس شديد المراس . . .»[3] والهراس : صانع الهريسة وبائعها .

الزَبْزَن : اسم طعام عـند أهل المغرب والأندلـس ، قيل هو الكسـكسو ، وقيل هـو الخبز الفتيـت المخلوط بالزعـفران ، وقيل هو طـعام متبل يتـخذ من البندق المدقوق والخبز الفتيت والعسل ، وقيل هو دقيق من البندق يخلط بدقيق الحنطة والزيت وشئ من التوابل ، ويسمى فـى إفريقية بزين ، وقيل هو خليط من الدقيق والزبيب المطبوخ مع قليل من صباغ الأعشاب المتبلة ، وأحياناً يخلط قلـيل من الزيـت أو شحم الغـنم المذاب ، وهذا غـالباً طعـامهم فى الجـهد ،

(1) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ١٨٠ .
(2) نفح الطيب ٦/ ٢٦٨ .
(3) نفح الطيب ٨/ ٣٠٣ .

وأحياناً يتخذ من الدقيق ، وهو عشاؤهم ووجبة اليوم الرئيسية ، وقيل هو حساء يتخذ من الدقيق والسمن والسكر[1] .

وورد ذكر هذا اللون من الطعام فى شعر أبى عبد الله بن الأزرق ، ويفهم منه أنه ضرب من اللحم المنقَّى من عظمه (الخليع) المخلوط بأنواع كثيرة من التوابل ، ويتضح ذلك من خلال قوله :

والزبزن فى الصحاف حَسْب أهل البطن
فاسمع قضاء ناصح يأتى نصح بيِّن
من اقتنى النقى منه فهو نعم المقتنى[2]

طوابق الكبش الثنى : الطوابق جمع طابق ، وهو الوعاء الكبير يطبخ فيه، والكبش فحل الضأن ، والثنىّ الذى يلقى ثنيته ، ويكون ذلك فى السنة الثالثة ، والثنية الأضراس الأربعة التى فى مقدم فم الكبش ؛ اثنتان من فوق واثنتان من أسفل[3] . والمقصود بالتركيب كله : الطواجن التى تطبخ بلحم الكباش الصغيرة ، ذات الثلاث السنوات .

وقد كان هذا اللون من الطعام يصنع خصيصاً لزرياب الموسيقى المشهور ، عن طريق أخذ لحم كبش فتى سمين ، ويجعل فى قدر بملح وبصلة وكزبرة يابسة وفلفل وكراويا وزيت ومُرِّى ، ويرفع على نار معتدلة ، ويؤخذ من الكرنب عيونه الرخصة وتنقى من ورقه وتقطع مع الرؤوس منها صغاراً ويغسل، فإذا همَّ اللحم أن ينضج جعل عليه الكرنب ، ثم يدق لحم أحمر من بضعه الرخصة ويضرب فى صحفة مع بيض ولباب خبز ولوز وفلفل وكزبرة

---

(١) تكملة المعاجم العربية ٥/ ٢٨٤-٢٨٥ .

(٢) نفح الطيب ٤/ ٢٦٩-٢٧٠ .

(٣) محيط المحيط ٨٦ ، المعجم الوسيط ٢/ ٥٧٠ ، ٨٠٥ .

وكراويا ويحمر به القدر قليلاً قليلاً ، ويترك على الرضف حتى يجف مرقه ويعلو دسمه[1] .

وقد ورد ذكر هذا اللون من الطبيخ عند المقرى على لسان أحد الشعراء الأندلسيين فى قوله :

وتحسن الفكرة بالـ عدوس والسمنسنى
واللحم مع شحم ومع طوابق الكبش الثنى
والبيض فى المقلاة بالز يت اللذيذ الدهن[2]

العَصيدة : هى التى تعصدها بالمسواط فتمرها فتنقلب لا يبقى فى الإناء شئ منها إلا انقلب ، وفى حديث خولة : فقربت له عصيدة ، وهى دقيق يلت بالسمن ، ويطبخ ، ويقال عصدت العصيدة وأعصدتها أى اتخذتها[3] .

ولقد كانت العصيدة من الأكلات الشعبية المعروفة فى الأندلس ، وكانت تتخذ من العسل المصفى المنزوع الرغوة ، ويضاف إليه زيت وسمن طرى ، ويرفع على نار لينة فإذا غُلى جعل فيه من لباب الخبز الصافى المختمر المحكوك ولوز مقشر مدقوق ومحاح بيض ، ويحرك ولا يغفل فى تحريكه حتى يقشع زيته ويلتئم وينعقد ، ثم ينزل ويترك حتى يبرد ، ويذر عليه من السكر المسحوق ومن أنواع الدسم والأدهان[4] .

وهناك لون آخر من العصيدة يعرف عندهم بالعصيدة المجشَّشة ، وتؤخذ من القمح المجشَّش والماء واللبن الحليب ويضاف إليها عسل منزوع الرغوة ،

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ١٦٠ .

(٢) نفح الطيب ٤/٢٦٨ .

(٣) تاج العروس ٢/٤٢٣ .

(٤) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ١٩٤ .

ومن دسم اللحم المطبوخ مع شحمه ، وبعد أن تنزل من على النار يلقى عليها زبد طرى وسكر مدقوق وفانيد أبيض وقرفة مسحوقة[1] .

وقد ورد ذكر العصيدة على ألسنة الشعراء الأندلسيين، وفيها يقول أحدهم:

وثنٍّ بالعصيدة الـ ـتى بهـا تطربنـى
لاسيما إن صنعت على يدى ممركن[2]

والممركن فى الصنعة هو المتمكن القدير .

الكسكسو : طعام يتخذه المغاربة من الدقيق ، ويسمونه الكسكسو ، وبعضهم يسميه الكسكاس ، وله وجه فى العربية أن يكون مشتقاً من الكسِّ وهو الدق الشديد[3] .

وفى تذكرة داود : كسكسو اسم بالمغرب لما يرطب من الدقيق بنحو السمن ويفتل مستديراً ، ثم يعطى فوَّار الماء ويعرق بأمراق اللحم ، وأجوده المأخوذ من خالص دقيق الحنطة المجفف بعد تحويره[4] .

وطعام الكسكسو مغربى الأصل، ثم انتقل إلى الأندلسيين، ومنه نوع يسمى الكسكسو الفتيانى، وهو أن يطبخ اللحم ببقله، فإذا نضج أخرج اللحم والبقل من القدر وجعل فى ناحية، وصُفِّى المرق مما فيه من عظام أو غيرها وزد القدر على النار ، فإذا غلى جعل فيه الكسكسو المطبوخ المحكوك بالدسم ، ويترك قليلاً على نار قليلة أو على الرضف حتى يتشرب ويأخذ حقه من المرق حينئذ يصب فى قصعة ويجعل عليه لحمه المطبوخ وبقله ، ويذر عليه قرفة[5] .

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ١٩٤ .

(٢) نفح الطيب ٤/ ٢٦٩ .

(٣) تاج العروس ٤/ ٢٣٤ .

(٤) تذكرة داود ١/ ٢٧٣ .

(٥) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ١٨١ .

وقد ورد ذكر الكسكسو عند المقرى على لسان أحد الشعراء فى قوله :

وهات ذكر الكسكسو فهو شريف وسنى
لاسيما إن كان مصـ ـنوعاً بفتل حسـن
أرفع منه كوراً بهن تدوى أذنى[1]

وورد عنده بزيادة النون على آخره : الكسكسون ؛ وذلك على لسان أحد شيوخ دمشق أنه قال : نزل بى مغربى فمرض حتى طال علىَّ أمره ، فدعوت الله أن يفرج عنى وعنه بموت أو صحة ، فرأيت النبى ﷺ فى المنام ، فقال : أطعمه الكسكسون ، يقوله هكذا بالنون ، فصنعته له ، فكأنما جعلت له فيه الشفاء[2] .

المثلث : ضرب من الطعام مشهور عند الأندلسيين ؛ وصفته أن يؤخذ من لحم الغنم الفتى السمين ويقطع تقطيعاً صغيراً ، ويجعل فى قدر بملح وقطعة بصل وفلفل وكزبرة يابسة وقرفة وزعفران وزيت ، ويرفع على نار معتدلة فإذا قارب النضج أخذ من رؤوس الخس وعالجه دون ورق وتقشر وتقطع ، وتضاف إلى اللحم فى القدر ، فإذا نضج الخس جعل فيه من الخل الطيب ، فإذا كمل طبخه خمر ببيض مضروب وزعفران وسنبل[3] .

ويحكى لنا المقرى طرفة فى معرض ذكره للمثلث ؛ أن ابن عمار الشاعر ساير فى بعض أسفاره غلامين من بنى جهور أحدهما أشقر العذار والآخر أخضره ، فجعل يميل بحديثه لمخضرّ العذار ، ثم قال ارتجالاً :

شنئت المثلّث للزعفران وملتُ إلى خضرة فى التفايا

(١) نفح الطيب ٤/٢٦٩ .

(٢) نفح الطيب ٧/٢٤٣ .

(٣) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٢٢٢ .

ومعناه أنه أبغض المثلّث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الأشقر منهما ، وأحب خضرة التفايا ، وهو لون طعام يعمل بالكزبرة ، لشبهها بعذار الأخضر منهما[1] .

المثومات : ضرب من الطعام المعروف فى الأندلس ، وصفته أن تؤخذ دجاجة سمينة ، ويخرج ما فى جوفها وينظف ويترك ، ثم يؤخذ أربع أواقٍ من الثوم المقشور ويدق ويخلط مع ما أخرج من جوف الدجاجة ويقلى فيما يغمره من الزيت حتى تذهب رائحة الثوم ، ويجمع ذلك مع الدجاجة فى قدر نظيفة بملح وفلفل وقرفة وسنبل وزنجبيل وقرنفل وزعفران ومن اللوز المقشر مدقوق وغير مدقوق ، وشئ يسير من المرى النقيع ، وتطبق القدر بالعجين ، وتدخل الفرن وتترك حتى ينضج مابها ، ثم يخرج ، وتفتح القدر وتصب فى صحفة نظيفة ، فتنم منه رائحة طيبة تعم الموضع[2] .

وقد ورد ذكر المثومات عند المقرى على لسان أحد الشعراء الأندلسيين فى قوله :

فابدأ من المثوما ت بالجبنٍ الممكّنِ
من فوقها الفروج قد أنهى فى التسمُّنِ[3]

المُرِّيّ : اسم طعام معروف عند المشارقة والمغاربة ، وإن كانت طريقة عمله تختلف من مكان إلى مكان .

وفى التاج : المُرِّيّ كدُرِّيّ إدام كالكامخ يؤتدم به، كانه منسوب إلى المرارة، والعامة تخففه ، وأنشد أبو الغوث :

---

(١) نفح الطيب ٤/٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٤٦ .

(٣) نفح الطيب ٤/٢٦٩ .

وأم مثواى لباخية وعندها المرى والكامخ[1]

وقيل المُرِىّ اسم نبطى ، وقيل بل عربى اشتق من معنى المرارة ، وقيل بل أصله الممرى ، لكن غلب استعماله بميم واحدة ، والمرى النبطى هو المعمول من الشعير[2] .

وذكره ابن البيطار فى مفرداته وقال إنه يعمل من السمك المالح أو اللحوم المالحة ، ولم يبين كيفية إحضاره ، وذكر للجاحظ رسالة فى المرى قال فيها : هو جوهر الطعام ، وروح البارد المستطرف والحار المستضعف ، يصلح بالليل والنهار ، ويطيب البارد والحار ، ويدبغ المعدة ، ويشهى الطعام ، ويغسل أوضار الجوف الفاسدة ، وينشف البلغم ، ويذهب بخلوف الفم[3] .

وقيل المرى : شئ يعمل بالخبز والملح والماء ، يخلط جميعاً ، ويوضع فى الشمس الصيفية إلى أن يُدرك ، ثم يُصفَّى ، فيكون ماؤه مُرِّياً ، ويسمى ثُفْله نبا[4] .

وقيل المُرِّى مستحضر يستعمل فى صنع الأطعمة ، وقيل هو مركب يصنع من الدقيق والملح والعسل والتمر .

وقد كان المرى معروفاً فى الأندلس ؛ وكان منه نوعان : نوع يتخذه الأغنياء والخاصة ويصنعونه من النقيع أو من عصير العنب المخلوط بالأفاويه دون خبز محروق ، ونوع يتخذه العامة والفقراء ويصنعونه من العسل المحروق

---

(١) تاج العروس ٣/٥٣٨ .

(٢) كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن البغدادى ، تصحيح ونشر د. داود الجلبى ، مطبعة أم الربيعين ، الموصل ، ١٩٣٤ م ، ص ١٣ (هامش) .

(٣) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٤/١٤٩ ، المعتمد ٤٩١-٤٩٢ .

(٤) كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية للقمرى ، تحقيق وفاء تقى الدين ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، د. ت ، ص ٥٣-٥٤ .

والخبز المحروق أيضاً ، ولم يكن له طعم أو فائدة ، مثل المرى الذى كان يصنع فى بيوت الأغنياء والحكام[1] .

وكان المرى يدخل فى كثير من الأطعمة الأندلسية الأخرى ، كاللحوم والتوابل وغيرها ؛ وقد أورد لنا صاحب كتاب الطبيخ عدداً كثيراً من المطبوخات التى يكون المرى جزءاً هاماً منها ؛ كالمرى الممزوج باللحم[2] .

وقد ورد ذكر المرى عند المقرى فى ثلاثة مواضع ؛ الموضع الأول فى قوله : وأنها أخرجت فى بعض الأيام مائة كوز مختومة على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة ، وموّهت ذلك كله بالمرى والشهد وغيره من الأصباغ المتخذة بقصر الخلافة . .»[3] . والموضع الثانى فى قوله : «سمعت ابن حكم يقول : بعث بعض أدباء فاس إلى صاحب له :

أبعث إلى بشئ ... مدار فاس عليه
وليس عندك شئ ... مما أشير إليه

فبعث إليه ببطة من مُرّى[4] . والموضع الثالث فى قوله : وحُدِّثتُ أن قاضيها أبا محمد عبد الله بن الملجوم حضر وليمة ، وكان كثير البلغم ، فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الأشقر غضاراً من اللون المطبوخ بالمرى لمناسبته لمزاجه . .»[5] .

المزوار : طبيخ يتخذ من ألوان الحبوب والبقول ، بغير لحم ؛ وهو عند الأطباء : كل غذاء دُبِّر للمريض بدون لحم ، وهو ينفع من الحمى الحادة،

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٨٢ .

(٢) السابق ١٢٠ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ٨٠ .

(٤) نفح الطيب ٧/ ٢١٨ .

(٥) نفح الطيب ٧/ ٢١٩ .

والمُزَوَّرات هى الأطعمة التى لا يكون فيها شئ من اللحوم[1] .

وقد كان هذا اللون من الطبيخ معروفاً عند الأندلسيين ؛ ولكن لم يكن يقبل عليه إلا الزُّهَّاد والطبقات الفقيرة فى المجتمع ، وكذلك مرضى الحمى ؛ لأنه لا يدخله أى نوع من اللحوم .

وقد ورد ذكره عند المقرى على لسان أحد الزُّهَّاد فى قوله : «فلعمرى لقد حصلت النسبة ، ورضيت هذه المعيشة الحسبة ، ومن يكن المزوار ذواقه ، كيف لا يشق البدر أطواقه ، وينشر القبول عليه رواقه . .»[2] .

رابعاً : ألفاظ اللحوم والأسماك والبيض

مجموع ألفاظ هذا المبحث أحد عشر لفظاً هى : البيض ، الحجل ، الحيتان ، الدجاج ، السمك ، الشواء ، الفتل ، الفرُّوج ، القنلية ، الكباب ، اللحم .

البَيْض : ما تضعه إناث الطير وغيرها ؛ واحده بيضة ، وهو من الأطعمة المعروفة عند الأندلسيين، وكانوا يفضلون البيض المقلو فى الزيت الطيب.

وقد أورد المقرى على لسان أحد الشعراء قوله :

وتحسن الفكرة بالـ   عدوس والسمنسنى
واللحم مع شحم ومع   طوابق الكبش الثنى
والبيض فى المقلاة بالز   يت اللذيذ الدهن[3]

---

(١) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١/ ٣٥ ، كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية ٥٣ ، تكملة المعاجم العربية ٥/ ٣٨٣-٣٨٤ .

(٢) نفح الطيب ٨/ ٣٤٣ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ٢٦٨ .

الحَجَل : ضرب من الطيور فى حجم الحمام ، من رتبة الدجاجيات ، ومنه أنواع عدة ، أحمر المنقار والرجلين ، طيب اللحم[1] .

وكان الأندلسيون يقبلون على أكل لحوم الحجل لطيبها ، وكانوا يفضلونها مشوية ؛ وصفة شيها : أن تنظف الحجلة وتدخل فى سفود ، ويخرج حشاها ويضرب ببيضتين وفلفل وقرفة ودار صينى وسنبل ومغرفتى زيت ومغرفة مرى، وتشوى الحجلة على نار معتدلة ، ويدهن داخلها وخارجها بذلك الحشو حتى تشربه ، وتحمر ، وتوضع فى صحفة ويذر عليها فلفل وقرفة[2] .

وقد ورد ذكر الحجل عند المقرى فى معرض حديثه عن اللحوم المقدمة للصبيان الصقالبة ، فى بناء مدينة الزهراء : وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر الف رطل ، تقسم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك ، سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان[3] .

الحيتَانُ : الحيتان جمع حوت ، وهذه اللفظة حملت دلالة واسعة عند الأندلسيين تشمل كل أنواع السمك ؛ فهم يقولون الحوت ويعنون به السمك بكل أنواعه ، ويتضح ذلك من خلال حديث المقرى عن الأندلس فى قوله : وحيثما سار المسافر من الأقطار يجد الحوانيت فى الفلوات والصحارى والأودية ورؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة . . .»[4] . وقوله : وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمائة وخمسين فتى ، ودخالتهم من اللحم كل يوم . . . حاشا أنواع

---

(١) المعجم الوسيط ١/١٦٤-١٦٥ .

(٢) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٧٠ .

(٣) نفح الطيب ٢/١٠٤ .

(٤) نفح الطيب ١/٢١٦ .

الطير والحوت ثلاثة عشر ألف رطل. . .»[1] . فالحوت فى هذين النصين تعنى السمك بكل أنواعه .

الدجاج : الدجاج طائر معروف ، وهو اسم جنس واحده دجاجة . وسميت بذلك لإقبالها وإدبارها ، والجمع دَجاج ودِجاج ودجائج[2] .

ولقد كان الدجاج من الأطعمة المعروفة عند الأندلسيين ؛ ولهم فى طبخه طرق متعددة ، فكان عندهم الدجاج المشوى بالتوابل المختلفة على السفود ، والدجاج المشوى فى القدر فى الفرن ، والدجاج المطبوخ بخلطة الثوم[3] .

وكانوا يفصلون صدور الدجاج ويأكلونه وحده مشوياً بالتوابل . ومخليًّا - كما نفعل اليوم - ، ويحدثنا المقرى عن الوزير أبى جعفر ابن سعيد لما سُجن فى مالقة ، ودخل عليه ابن عمه فبكى لما رآه مكبولاً ، فقال أبو جعفر : أعلىَّ تبكى بعدما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها ، فأكلت صدور الدجاج ، وشربت فى الزجاج ، ولبست الديباج. . .»[4] .

ومن حكايات أهل الأندلس فى العفو أن المعتصم بن صُمادح كان قد أحسن إلى النخلى البطليوسى الشاعر ، ثم إن النخلى سار إلى إشبيلية ، فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه :

أباد ابن عباد البربرا   وأفنى ابن معن دجاج القِرَى

ونسى ما قاله ، حتى حلّ بالمرية ، فأحضره ابن صمادح لمنادمته ، وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير الدجاج ، فقال النخلى : يامولاى ، ما عندكم فى

---

(1) نفح الطيب ١٠٣/٢ .

(2) اللسان ١٣٢٨/٢ ، التاج ٣٨/٢ .

(3) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٢٩ ، ٤٦ .

(4) نفح الطيب ٣٣٩/٥ .

المرية لحم غير الدجاج ؟ فقال : إنما أردنا أن نكذبك فى قولك : وأفنى ابن معن دجاج القِرَى[1] .

السمك : حيوان مائى ، وهو أنواع كثيرة ، لكل نوع اسم خاص يميزه ، والجمع سماك وسموك وأسماك ، والواحدة سمكة[2] .

ومن أشهر الأماكن الأندلسية المعروفة بالسمك المملَّح جزيرة شلطيش ، وهى - كما يقول المقرى - آهلة ، وفيها مدينة ، وبحرها كثير السمك ، ومنها يحمل مُملَّحاً إلى إشبيلية[3] .

وكذلك مدينة إشبيلية رغم أنها كانت تستجلب السمك المملوح من جزيرة شلطيش فإنها كانت غامرة بأنواع السمك الأخرى ، بسبب نهرها الذى يضاهى دجلة والفرات والنيل ، وفيه من أنواع السمك مالايحصى[4] .

الشواء : كل لحم يعلَّق فى التنور ونحوه فيُشوى ، والقطعة من الشواء : شواءة ، وشوَّاهم وأشواهم : أطعمهم الشِّواء ، ومايُقطع من اللحم شُواية، وما يقطعه الجازر من أطراف الشاه شُواية بالضم[5] .

وقد عرف المجتمع الأندلسى طرقاً متعددة لشى اللحوم : الدجاج ، والكباش الفتية السمينة ، الحمام ، الحجل ، اليمام ، العصافير ، وغيرها ، وكان الشواء من بسائط الأطعمة عندهم ، وكان يؤخذ اللحم الفتى السمين ويشرح بسكين قاطعة تشريحاً رقيقاً ، ويكون اللحم مخالطاً الشحم دون عظم من المواضع الرخصة ، ويجعل فى غضار ، ويصب عليه قدر الحاجة من المرى

---

(١) نفح الطيب ٥/١٥٨-١٥٩ .

(٢) المعجم الوسيط ١/٤٦٧ .

(٣) نفح الطيب ١/١٦٥ .

(٤) نفح الطيب ١/٢٠١ .

(٥) اللسان ٤/٢٣٦٧ ، التاج ١٠/٢٠٤ ، كتاب التنوير ٥٠ .

النقيع والخل والزعتر والفلفل والثوم المدقوق ويسير من الزيت ، ويضرب الجميع وتمرغ فيه الشرائح ، ثم تنظم فى سفود نظماً لا تكون متداخلة لكى تمكنها النار ، ويدار السفود بها على نار فحم إدارة دائمة حتى تنضج وتحمر ، وكذلك يصنع فى أنواع اللحوم الأخرى(١) .

وكان الأندلسيون يفضلون أكل الشواء مع الرقاق ؛ وفى ذلك يقول أحد شعرائهم :

وللأرز الفضل إذ تطبخه باللبن
وللشواء والرقاق من هيام أنثنى(٢)

الفتل : مصدر لفعل فَتَل ، وهى تعنى عند الأندلسيين اللحم المفروم الذى يُفْتَل ويدخل فى صناعة طعام الكسكسو ؛ وشاهد ذلك قول أحد شعرائهم :

وهات ذكر الكسكسو فهو شريف وسَنِىّ
ولاسيما إن كان مصنوعاً بفَتْل حسن
أرفع منه كوراً بهنّ تدوى أذنى(٣)

الفرّوج : فرخ الدجاج ، وهو الفَتِىّ منه ، والجمع فراريج ، ويقال دجاجة مُفْرِج أى ذات فراريج(٤) .

وقد كان الأندلسيون يفضلون أكل الفراريج مشوية ، وكانت الفروجة الفتية السمينة تؤخذ وتنظف وتسلق فى قدر بماء وملح وأبزار ، ثم تخرج من القدر ، وتصب مرقتها مع دسمها فى صحفة ، ويضاف إلى الصحفة أنواع

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٢٨ .

(٢) نفح الطيب ٢٦٩/٤ .

(٣) نفح الطيب ٢٦٩/٤ .

(٤) اللسان ٥/ ٣٣٧١ ، التاج ٢/ ٨٤ .

التوابل ثم تمرغ فيه الدجاجة المسلوقة ، ثم تحكم فى سفود وتدار على نار فحم معتدلة بحركة دائمة ، وتدهن دائماً حتى تنضج وتحمر[1] .

وقد ورد ذكر الفروج عند المقرى على لسان أحد الشعراء فى قوله :

وجلدة الفرّوج مشـ ـوِيًّا كثير السمـن
مَنْ منقذى أفديه مِنْ ذا الجوع والتمسكن
وعلة قد استوى فيها الفقير والغنى[2]

وقوله :

وإن ذكرت غير ذا أطعمةً فى الوطن
فابدأ من المثوَّمـا ت بالجبنّ الممكن
من فوقها الفرّوج قد أُنهِى فى التسمُّن[3]

القنلية : حيوان أدق من الأرنب ، وأطيب فى الطعم ، وأحسن وبراً ، وكثيراً ما تُلبس فراؤها، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى، ولا توجد فى بر البربر إلا ما جلب منها إلى سبتة فنشأ فى جوانبها[4] .

وهى تؤكل عند الأندلسيين مشوية ومطبوخة .

الكَباب : الكباب بالفتح الطباهجة ، وهو اللحم المشرَّح المشوى ، قيل : فارسى معرب ، ومن المجاز : كببوا اللحم ، والتكبيب عمله من الكباب، وهو اللحم يكب عليه الجمر أى يلقى عليه[5] . وقيل الكباب من اللحم ، ما يلقى على الجمر فينضج[6] .

---

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٢٩ .

(٢) نفح الطيب ٤/٢٦٨ .

(٣) نفح الطيب ٤/٢٦٩ .

(٤) نفح الطيب ١/ ١٩٢ .

(٥) المخصص ١٤/١٢٧ ، شفاء الغليل ١٧٤ ، تاج العروس ١/ ٤٤٣ .

(٦) كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية ٥٠ .

وقد كان الكباب معروفاً عند الأندلسيين ، وكان يدخل فى تحضير نوع من الطبيخ يُعرف عندهم بالتفايا ؛ وفى ذلك يقول المقرى : ومما اخترعوه من الطبيخ اللون المسمَّى عندهم بالتفايا ، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلَّى بالسنبوسق والكباب[١] .

اللحم : اللحم من جسم الحيوان والطير : الجزء العضلى الرخو بين الجلد والعظم ، والجمع ألحُمُ ولُحُوم ولِحام ولُحمان . واللحمة القطعة منه ، وفى الحديث : سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم[٢] .

وقد كان اللحم عند الأندلسيين هو سيد الأطعمة ، ولا تخلو الموائد منه ، وقد كانت لهم فى صنعه طرق عديدة ، وكان متوافراً عندهم بشكل ملحوظ ، فالمقرى يحدثنا أنه حيث سار المرء متنقلاً بين الأقطار الأندلسية يجد الحوانيت فى الفلوات والصحارى والأودية ورؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة[٣] .

وقال بعض من أرَّخ للأندلس : كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمائة وخمسين فتى ، ودُخالتهم من اللحم كل يوم - حاشا أنواع الطير والحوت - ثلاثة عشر ألف رطل ، تقسم من عشرة أرطال للشخص إلى ما دون ذلك ، سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان[٤] .

إذا كان هذا بالنسبة للخدم فما بالك بأبناء الأندلس من الملوك والأثرياء وغيرهم ، ويحدثنا الذهبى أن المعتمد بن عباد خُلع عن ثمانمائة سُرِّية ، ومائة وثلاثة وسبعين ولداً ، وكان راتبه فى اليوم الواحد ثمانمائة رطل لحم[٥] .

---

(١) نفح الطيب ٤/ ١١٢ .

(٢) تاج العروس ٩/ ٥٦ ، المعجم الوسيط ٢/ ٨٥٢ .

(٣) نفح الطيب ١/ ٢١٦ .

(٤) نفح الطيب ٢/ ١٠٣-١٠٤ .

(٥) سير اعلام النبلاء ٣/ ٣٢٢ .

وصاحب كتاب الطبيخ يذكر لنا أنواعاً كثيرة من طبخ وشىّ اللحوم ؛ الأمر الذى يؤكد أن الأندلسيين كانوا يتفننون فيه .

وقد أورد المقرى لأحد الشعراء الأندلسيين أبياتاً يفضل فيها اللحم المطبوخ فى القدر وعليها أنواع من التوابل ، ومنها البسباس ، منها قوله :

واللحم بالبسباس قد ٱلْفَتْ   لطبخه فى القدر الأحطاب[1]

خامساً : ألفاظ البقول والتوابل

مجموع ألفاظ هذا المبحث ثمانية ألفاظ ؛ للبقول خمسة ألفاظ هى : الباقلاء ، الحمص ، العدوس ، الفول ، الهليون .

وللتوابل ثلاثة هى : التابل ، الكزبرة ، الملح الأندرانى . والبقول تسمى عند الأندلسيين القطانى واحدها قَطْنِية ، وسميت ذلك لأنها تقطن البيوت وتدوم فيها مدة ، وألفاظ البقول هى :

الباقِلاء : تطلق عند الأندلسيين على الفول الأخضر واليابس ، وهو نبات حولى معروف ، أوراقه مركَّبة ريشية ، وأزهاره بيض فراشية ، ثمرته قرن، وثماره وبذوره غذاء للإنسان والحيوان ، واحدته باقلاءة ، وقيل الواحد والجميع سواء[2] .

والأندلسيون ينطقونها ممدودة : باقِلاَّء ، ومقصورة : باقِلاً ؛ ويحكى المقرى أن ابن شهيد كان يوماً مع جماعة من الأدباء عند القاضى ابن ذكوان ، فجئ بباكورة باقلا ، فقال ابن ذكوان : لا ينفرد بها إلا من وصفها ، فقال ابن شهيد : أنا لها ، وارتجل قائلاً :

---

(1) نفح الطيب ٦/٣٠٣ .

(2) المعجم الكبير ٢/٤٦٧ .

إن لآليك أحدثت صلفـــا فاتخذت من زُمُردٍ صدفـــا
أكلٌ ظريف وطُعم ذى أدب والفول يهواه كل من ظرفا(١)

وفى نَوْرَ الفول يقول أبو جعفر أحمد الشريشى :

على حسن نَوْر الباقلاء أدِرْهما على الصبِّ كأسَىْ خمرةٍ وجفونِ
يذكِّرنى بُلْق الحمـام وتــارةً يؤكد للأشجان شُهْل عيـــون(٢)

الحِمَّص : حب يؤكل ، من القطانى ، وهو نـافع ملين مدرّ جيد الغذاء ، وأكثـر العـامة يـقولـون حُمُّص بضم الحـاء والميـم المشـددة ، والحِمَّصة حـبة الحِمَّص، وهو أبـيض وأحـمر وأسـود وكرسنـىّ ، ويكـون بريًا وبـستـانيًا ، والأسود أقوى وأبـلغ فى أفعاله ، ولـلحمص فوائد طـبية كثيرة ، وهــو نبات زراعى عشبى حولى حبى ، ويسمى حبه الأخضر فى مصر : ملانة(٣) .

ومن أشهر المدن الأندلسية المعروفة بالحمص مدينة سرقسطة التى يقول عنها المقرى : لايتسوس فيها شئ من الطعام ولا يعفن ، ويوجد فيها القمح من مائة سنة ، والفول والحمص من عشرين سنة . . .»(٤) .

ولقد بلغ من رفاهية أهل الأندلس أنهم كـانوا يُطعمون سمك البحيرة الخبز والحمص الأسود ، فيحدثـنا المقرى أن أمير المؤمنين عبد الرحـمن الناصر لدين الله لما بنى مدينـة الزهراء ، واتخذ فيها بحيرة للسمـك ، كان المرتب من الخبز لحيتـان هذه البحيـرة اثنى عشر ألـف خبزة كل يوم ، ويـنقع لها مـن الحمص الأسود ستة أقفزة كل يوم . . .»(٥) .

---

(١) نفح الطيب ٤/٢١٤-٢١٥ . (٢) نفح الطيب ٥/٢١٢ .

(٣) المخصص ١١/٦٢ ، المعتـمد فى الأدوية المفردة ١٠٣-١٠٥ ، محيط المحيط ١٩٤ ، مـعجم النبات والزراعة ١/٤٣٧ ، المعجم الوسيط ١/٢٠٥ .

(٤) نفح الطيب ١/١٩١ .

(٥) نفح الطيب ٢/١٠٣ .

العَدُوس : العُدُوس جمع عَدَس ، وهـو عشب حولى دقيـق الساق ، من الفصيلة القرنية ، أوراقه مركبة ريشية ذات أذينات دقيقة ، وثمرته قرن مفلطح صغير فيه بذرة أو بـذرتان ، تنقشر كل بذرة عن فلقتين برتـقاليتى اللون ، وإذا لم تنـقشر فهـو الذى يقال له فـى مصر : عدس أبـو جبة ، وهو اسـم جنس واحدته عدسة[1] .

وكان الأندلسيون يطبخون العدس باللحـم مطيباً بالكزبرة والبصل والشِّبث والفلفل والكراويا ، كما كانوا يطبخونه بلحم جمل سمين ، أو بالسمن فقط ، أو بدهن اللوز والسِّلْق .

وقد ورد ذكره على ألسنة شعرائهم ، ومنه قول أحدهم :

وتحسن الفكـــرة بالـــ عدوس والسمنســـــنى
واللحم مع شحم ومع طوابق الكبش الثنى[2]

الفول : نبات عشـبى من الفصيـلة القرنية ، أزهـاره بيض ذوات عُرْف ، يزرع فى الخريف وينـضج فى الربيع ، ويستعمل غـذاء للإنسان والحيوان[3] ، ويُعرف عند الأنـدلسيين بالباقلاء ، وكـانوا يأكلونه أخضر ومُدمَّسـاً ، ولـم يكن يقبل عـلى أكله إلا الطبـقات الفقيرة فى المجـتمع الأندلسى ، ويـؤكد ذلك ما أورده المقرى علـى لسان الشاعر أبـى القاسم لب يرد بـأبيات على الوزيـر عبد الملك بن جهور عندما هجاه بطول لحيته :

قال أمين الله فى عصرنـــا لى لحيةٌ أزرى بها الطول
وابن جهير قال قول الذى مأكله القرضيل والفـــول

---

(١) المعجم الوسيط ٢/٦٠٨-٦٠٩ .

(٢) نفح الطيب ٤/٢٦٨ ، أرجح ان يكون السمنسنى هو السمن .

(٣) المعجم الوسيط ٢/٧٣٣ .

والقرضيل : شوك له ورق عريض تأكله البقر[١] .

وأما أكل الأندلسيين للفول أخضر فيؤكده قول المقرى : ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ماعدا أهل الطاقة مذخرجوا من إشبيلية إلا الفول الأخضر، الذى يجدونه فى طريقهم ، وكان الزمان زمان ربيع . . .[٢] » .

وأما أكلهم الفول مُدَمَّساً كالمصريين ، فيؤكده قول المقرى : كان لشخص قينة ، فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على أثر سواك أبصره بمبسمها إذ مرّ فوّال ينادى على فول يبيعه ، فقال :

ولم أنس يوم الأنس حين سمحتِ لى وأهديتِ لى من فيكِ فولَ سواك
ومر بنا الفـوّال للفـول مادحـاً وما قصده فى المدح فولُ سواكِ[٣]

الهليون : هو المعروف عند الأندلسيين والمغاربة بالإسفراج ، ورقه كورق الشِّبث ، ولاشوك له ، وله بزر مدور أخضر ، ثم يسودّ ويحمر ، وفى جوفه ثلاث حبات كأنها حب النيل صلبة ، ومنه صنف كثير الشوك ، وهو بستانى ، وهو أكثر غذاء من سائر البقول ، يلطّف ويهضم سريعاً ، وهو مشهور بالشام ، وتسميه العامة فى مصر : كِشك الماس[٤] .ويرجع الفضل فى معرفة الأندلسيين لهذه البقلة إلى زرياب الموسيقى المشهور ؛ فهو - كما قال المقرى - أول من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم الإسفراج ، ولم يكن أهل الأندلس يعرفونها قبله[٥] .

أما الألفاظ الخاصة بالتوابل فهى ثلاثة: التابل، الكزبرة، الملح الأندرانى.

---

(١) نفح الطيب ٥/ ١٥٤ .

(٢) نفح الطيب ٤/ ٢٧ .

(٣) نفح الطيب ٥/ ١٥-١٦.

(٤) المعتمد فى الأدوية المفردة ٥٣٥-٥٣٦ ، تذكرة داود ١/ ٣٣٥ ، المعجم الوسيط ٢/ ١٠٣٣ .

(٥) نفح الطيب ٤/ ١١٢ .

التابل : هو أبـراز الطعام ، وتـوابل القـدر : ما يوضـع فيها مـن أبراز الطعام ؛ واحدها تـابل ، وكل ما يُطيَّب به القدر مثل الملـح والخل والزعفران فهو تابل[1] :

والفرق بين الأبزار والتـوابل أن الأبزار تطلق على ما يطـيب به الغذاء من الأشياء الرطبة واليـابسة ؛ فهو عام ، أما التوابل فهى لليـابسة فقط ؛ والأبازير الرطبة مثل الكزبرة والنعنع الرطبين ، واليابسة مثل الكمون والكراويا والكزبرة اليابسة والنعنع اليابس . وهنـاك الأفحاء والأقزاح والأفواه ؛ وكلها بمعنى البزر والتابل[2] .

وقد وردت هـذه اللفظـة جمعـاً : التوابل عـند المقـرى فى قوله : فـكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأساً من الغنم ، ونصف أردب أرز ، وقنطار حب رمان ، وربع قنطار سكر ، وثمانى فانوسيات شمع ، وتوابل الطعام . . »[3] .

الكُزبَرَة : هى الكـسبرة بالـسين أيضاً ، وهى بـقلة زراعيـة حولية مـن الفصيلـة الخيمية ، تضاف أوراقها إلى بعض الأطعمة ، وتستعمـل ثمارها فى الطعام والصيدلة ، وهى رطبة ويابـسة ، وأجودها الحديث الكبار الضارب إلى صُفْرة[4] .

وكانت الـكزبرة بنوعـيها : الخضراء والـيابسة معـروفة عند الأندلـسيين ، وكانت تدخل فـى مكونات بعض الأطعمة الأنـدلسية المشهورة ، كالتـفايا التى يقول عنها المقرى : هى لون طعام يعمل بالكزبرة. . .[5] » .

(١) كتاب التنوير ٥٦ ، تاج العروس ٧/ ٢٣٩ ، المعجم الكبير ٣/ ٣٤-٣٥ .

(٢) كتاب الطبيخ للبغدادى ص ٨ ، كتاب التنوير ص ٥٧ .

(٣) نفح الطيب ٦/ ١٦٨ .

(٤) المخصص ١١/ ٦٣ ، تاج العروس ٣/ ٥٢١ ، المعتمد ٤٢٤ ، تذكرة داود ١/ ٢٧٢ ، المعجم الوسيط ٢/ ٨١٧ .

(٥) نفح الطيب ٤/ ٢٩٢ .

ويقول عنها أيضاً : «ومما اخترعوه من الطبيخ اللون المسمَّى عندهم التفايا، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكباب»[1] .

ويقول صاحب كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس عن الكزبرة اليابسة : تدخل فى جميع الألوان ، وهى مخصوصة بالتفايا والمحشى ، ولها خاصية ؛ وذلك أنها توقف الطعام فى المعدة ؛ ولا ينزل سريعاً حتى يتم هضمه[2] .

المِلح الأندرانِيّ : هو نوع من ملح الطعام المعدنى النقى الذى يشبه البلور فى نقائه ، وسُمِّى بالأندرانى نسبة إلى أندران ، وهو موضع بنواحى نيسابور[3] .

وفى التاج : وملح ذُرآنى بتسكين الراء ويحرك ، فيقال ذُرَآنى أى شديد البياض ، وهو مأخوذ من الذُّرأة بالضم ؛ ولاتقل أندرانى فإنه من لحن العوام، ومنهم من يهمل الدال[4] .

ولكن هذا الملح مشهور فى الأندلس بالأندرانى ، ومن أشهر المدن الأندلسية إنتاجاً له مدينة سرقسطة ؛ وفى ذلك يقول المقرى : وذكر غير واحد أن فى كورة سرقسطة الملح الأندرانى الأبيض الصافى الأملس الخالص ، وليس فى الأندلس موضع فيه مثل هذا الملح...»[5] .

---

(١) نفح الطيب ٤/١١٢ .

(٢) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٨٠ .

(٣) كتاب الطبيخ للبغدادى ص ٧-٨ .

(٤) تاج العروس ١/٦٧ .

(٥) نفح الطيب ١/١٤٩ .

سادساً : ألفاظ الخبز والإدام

مجموع ألفاظ هذا المبحث ثمانية عشر لفظاً ؛ للخبز منها ثلاثة عشر لفظاً ؛ وللإدام خمسة ألفاظ ؛ وألفاظ الخبز هي : البقسماط ، الحنطة ، الخبز ، الدرمك ، الدقيق، الرقاق ، السميذ ، الشعير ، القرصة ، القمح ، اللطافة ، المدائن من العجين ، الميرة . أما ألفاظ الإدام فهي : الجبن ، الجلجلان ، الزبد ، الزيت ، الزيتون .

ألفاظ الخبز وهي :

البقسماط : اسم لنوع من الخبز مجفَّف على حرارة نار هادئة ، ويقال له في المغرب : البُجْماط أو البُشْماط ، وفي العراق البُقْصم ، وهو تركي معرب ، وفي التركية بكسيمات[1] ، وقيل هو معرب بكسمات بالفارسية[2] ، وقال عنه الشهاب الخفاجي : بقسماط : خبز يابس معروف ، مولَّد ، كذا ذكره ابن البيطار في مفرداته ، وأهل عوام المغرب يقولون : بشماط[3] . وقيل البقسماط : قطع من الحلوى الناشفة المجمرة تصبر على مدى الشهور ، والكلمة من أصل رومي ، وورد ذكرها علاوة على المقريزي في الوثائق التركية[4] .

ويقول الدكتور عبد العزيز الأهواني : والبجماط كلمة لا تزال تستعمل في المغرب ، وهي معربة ، وتطلق على نوع مستدير صغير من الخبز الأبيض ،

---

(١) المعجم الكبير ٢/٤٥٦ ، المعجم الوسيط ١/٦٧-٦٨ .

(٢) محيط المحيط ٤٨ .

(٣) شفاء الغليل ٤٠ .

(٤) ألفاظ الحضارة في الوثائق العربية ، د. عبد الهادي التازي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، جـ ٦٤ ، ص ٢٤٧ .

وهو نوع من البسكويت وشكله الحالى فى أسبانيا لا يزال حتى الآن يؤيد وجه التشبيه ، ومافى اللغة المصرية (بقسماط) هو من نفس الأصل[١] .

وقد ورد ذكر لفظة البقسماط عند المقرى نقلاً عن المقريزى فى قوله : وهيأ كل ما تحتاج إليه فى سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبقسماط[٢] .

ويبدو أن هذا النوع من الخبز لم يكن شائعاً عند الأندلسيين ، وإنما هو خبز مشهور فى المغرب وعند المشارقة ، بدليل أنه لم يرد ذكره عند المقرى فى كتابه كله بأجزائه العشرة إلا فى هذا الموضع الذى ينقل فيه عن المقريزى .

الحِنْطة : الحِنْطة بالكسر البُرّ ؛ وهو حب القمح المعروف ، والجمع حِنَط كعنب ، وبائعها حنَّاط ، وحرفته الحِناطة بالكسر[٣] .

ومن أشهر المدن الأندلسية إنتاجاً للحنطة مدينة طليطلة ، ومن خواصها أن حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين ، يتوارثها الخلف عن السلف[٤] .

الخُبْز : الخُبْزة : الطُّلْمة ، وهى عجين يوضع فى المَلَّة حتى ينضج ، والمَلَّة : الرماد والتراب الذى أوقد فيه النار ، والخبز الذى يؤكل ، والخباز الذى مهنته ذلك ، وحرفته الخبازة ، وفى التهذيب : اختبز فلان إذا عالج دقيقاً يعجنه ثم خبزه فى مَلَّة أو تنور . والخبز اسم لما يصنع من الدقيق المعجون المنضَّج بالنار ، والخُبْزة : القطعة من الخبز ، وما يوضع من الخبز مرة فى الفرن[٥] .

(١) الزجل فى الأندلس ١٧٧ . (٢) نفح الطيب ٦/ ١٦٨ .

(٣) تاج العروس ٥/ ١٢١ .

(٤) نفح الطيب ١/ ١٤٤ .

(٥) اللسان ٢/ ١٠٩٢ ، تكملة المعاجم العربية ٤/ ١٥ ، ١٧ ، المعجم الوسيط ١/ ٢٢٣ .

وقد كان الخبز يباع فى الحوانيت فى كل مكان فى الأندلس : فى الفلوات والصحارى والأودية ورؤوس الجبال[1] .

ومن كثرة الخبز فى الأندلس كان الملك عبد الرحمن الناصر يرتب منه لحيتان بحيرة الزهراء اثنى عشر ألف خبزة فى اليوم[2] .

ولم يكن الخبز يتخذ فقط من القمح والشعير عندهم ؛ وإنما كان يتخذ من بعض الفواكه المشهورة كالتين والسفرجل والقسطل ، ولهم فى أخذ الدقيق من هذه الفواكه صنعة خاصة ذكرها ابن العوام فى كتابه الفلاحة .

وقد ارتبطت لفظة : كسرة خبز بـ : قدح لبن عند المقرى كثيراً ، ويبدو أن هذا كان طعام الفقراء والزهاد آنذاك ، ويتضح ذلك من قول المقرى : فقال صاحب البقرة : ما أظنك أكلت الليلة شيئاً ، فذهب وجاءنى بكسرة خبز وقدح لبن[3] .

الدَّرْمَك : فى اللسان : الدرمك : دقيق الحُوَّارى ، وقال ابن الأعرابى : الدرمك : النقى الحوارى ، وفى الحديث فى صفة أهل الجنة : وتربتها الدرمك ، وهو الدقيق الحُوَّارى[4] ، والحُوَّارى الدقيق الأبيض الخالص ، وهو لباب الدقيق وأجوده .

ويقول دوزى : درمك : دقيق الحوارى ، وهو أجود دقيق ، وهو تعريب كَرْمه الفارسية التى بمعناه[5] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى على لسان أحد الشعراء يصف مدينة

---

(١) نفح الطيب ١/٢١٦ .

(٢) نفح الطيب ٢/١٠٣ .

(٣) نفح الطيب ١٠/١٢٩ .

(٤) اللسان ٢/١٣٦٧ وانظر التاج ٧/١٢٨ .

(٥) تكملة المعاجم العربية ٤/ ٣٤٠ ، وانظر : الألفاظ الفارسية المعربة ٦٢ .

صنعت من العجين فى عيد النيروز بقوله :

مدينة مسوَّرة تحار فيها السحرة
لم تبنها إلا يد عذراء أو مخدَّرة
بدت عروساً تجتلى من درمك مزعفرة
ومالها مفاتح إلا البنان العشرة[١]

الدِّقيق - دقيق الحُوَّارَى : الدقيق : الطحين فعيل بمعنى مفعول ، والدقيقى : بائع الدقيق ، ودققت الشئ وأدققته : جعلته دقيقاً[٢] . والحُوَّارى هو الدقيق الأبيض الخالص ، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه ، وهو الذى نخل مرة بعد مرة ، ومنه : الحواريون أصحاب عيسى كأنهم أخلصوا ونقوا من كل عيب[٣] .

وقيل الحوارى: هو مابُلَّ، وقشر بالدق، ثم طحن، ويسمى خبز الموائد[٤] .

وقد ورد ذكر الدقيق ، ودقيق الحوارى عند المقرى ، فى قوله : سددك الله تعالى إلى غرض التوفيق ، وأعلقك من الحق بالسبب الوثيق ، وجعل قدومك مقروناً برخص اللحم والزيت والدقيق[٥] . وقوله على لسان أحد الزهاد يوصى آخر : فكن لقالى المُجبَّنة قالياً ، ولحوت السلة سالياً ، وأبْدِ لدقيق الحُوَّارى زهد حَوَارى ، وازهد فيما بأيدى الناس من العوارى[٦] .

الرُّقاق : الرُّقاق ، بالضم الخبز المنبسط الرقيق ، نقيض الغليظ ، يقال :

(١) نفح الطيب ٥/ ٢١٠ ، ٢٧٣ .
(٢) اللسان ٢/ ١٤٠٢ ، التاج ٦/ ٣٤٦ .
(٣) تاج العروس ٣/ ١٦١ .
(٤) كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية ٥٠ .
(٥) نفح الطيب ٨/ ٣٠٤ .
(٦) نفح الطيب ٨/ ٣٠٣ .

خبز رُقاق ورقيق ، وتقول : عندى غلام يخبز الغليظ والرقيق ، والرُّقاقة : الواحدة ، وفى الحديث : أنه ما أكل مُرَقَّقاً قط ، هو الأرغفة الواسعة الرقيقة، يُقال رقيق ورُقاق كطويل وطُوال[١] .

والرُّقاق : ضرب من الفطائر المحشوة أو من الطُّلَم[٢] .

وقد ورد ذكر الرقاق عند المقرى على لسان أحد الشعراء الأندلسيين فى قوله :

ولى إلى الإسفنج شوق دائم يطربنى
وللأرز الفضل إذ تطبخه باللبن
وللشواء والرقاق من هيام أنثنى[٣]

السميذ : هو الحُوَّارى ، وهو لباب الدقيق ، وقيل : هو الدقيق الناعم الناصع البياض ، وهو بالدال : السميد ، وبالذال : السميذ ، ولكنه بالذال أفصح[٤] . وقيل السميذ : مانقِّى ، وبُلَّ ، ثم طُحن ، ويسمى أيضاً خبز الموائد[٥] .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرى يحمل الدلالة السابقة ؛ فى قوله : بينما هم كذلك ، فإذا بحمَّال سميذ ، فقال لها : هذا السميذ أيسر وأسهل من القمح[٦] .

---

(١) لسان العرب ٣/ ١٧٠٧ .

(٢) تكملة المعاجم العربية ٥/ ١٨١ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ٢٦٩ .

(٤) تاج العروس ٢/ ٣٨١ ، المعجم الوسيط ١/ ٤٦٥ .

(٥) كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية ٥٠ .

(٦) نفح الطيب ٢/ ٤٠٠ .

الشعير : نبات عشبى حبى ، من الفصيلة النجيلية ، وهو دون البُرُّ فى الغذاء ، الواحدة شعيرة ، وأجوده ما كان نقياً أبيض ، ومنه نوع بغير قشر ؛ يسمى السُّلْت ، وفعله قريب من الذى بالقشر ، ومنه ماسنبلته مبسوطة ذو حرفين ، ومنه مربع كسنبل الحنطة ، وأجوده الحديث البالغ النضيج الرزين[1] .

ومن أشهر المدن الأندلسية إنتاجاً للشعير مدينة شنترة ، قال ابن اليسع ، عند ذكره هذه المدينة : إن من خواصها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى أربعين يوماً من زراعته[2] . ويحدثنا المقرى عن زرياب الموسيقى المشهور أن عبد الرحمن بن الحكم أمر أن يقطع له من الطعام العام ثلثمائة مدى ؛ ثلثاها شعير وثلثها قمح ، وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يُقوَّم بأربعين ألف دينار[3] .

القرصة : وردت هذه اللفظة عند المقرى تعنى : خبزة صغيرة مبسوطة مدورة متخذة من شعير ، وذلك فى قوله : دخلت فاطمة رضي الله عنها ، وبيدها كسرة شعير ، فقال : ماهذا يافاطمة ؟ فقالت : يارسول الله ، خبزت قرصة وأحببت أن تأكل منها[4] .

ومن أخطاء العامة فى الأندلس أنهم يقولون قرَّصنا العجين إذا بسطوه ، وليس كذلك ، وإنما تقريص العجين تقطيعه ليبسط ، يقال : قرَّصت المرأة العجين إذا قطعته لتبسطه ، وكل مقطَّع فهو مُقرَّص ، قال أبو عبيد : ويُقال : حوَّرت الخبزة تحويراً إذا هيأتها وادرتها لتضعها فى الملَّة[5] .

(١) المخصص ١١/ ٦١ ، المعتمد فى الأدوية المفردة ٢٦٣-٢٦٤ ، تذكرة داود ١/ ٢١٥ ، معجم النبات والزراعة ١/ ٣١١ ، المعجم الوسيط ١/ ٥٠٤ .

(٢) نفح الطيب ١/ ١٦٢ . (٣) نفح الطيب ٤/ ١١٠ . (٤) نفح الطيب ١٠/ ٢٣٣ .

(٥) الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى ص ٥٠ .

القمح : نبات عشبي من الفصيلة النجيلية ، حبه مستطيل مشقوق الوسط أبيض إلى صفرة ، ينمو في سنابل ، ويتخذ من دقيقه الخبز ، ويسمى : البُرّ ، والحنطة[1] .

والقمح في الأندلس كثير ومتوافر ، لدرجة أن مدينة شنترة يزرع بها القمح والشعير ويحصدان بعد أربعين يوماً[2] .

ولك أن تتخيل أن مدينة سرقسطة يظل بها القمح مائة عام صالحاً دون أن يفسد ، لأن هذه المدينة - كما يقول المقرى - لايتسوس فيها شئ من الطعام ، ولا يعفن[3] .

وكان يطلق على القمح والشعير عند الأندلسيين : الطعام العام ، لأن الجميع يأكل خبزهما ؛ ويؤكد ذلك قول المقرى عن الإقطاعات التى أقطعها عبد الرحمن بن الحكم لزرياب : وأن يقطع له من الطعام العام ثلثمائة مدى ؛ ثلثاها شعير وثلثها قمح[4] .

اللظافة : هى تحريف لكلمة اللطافة بالطاء ، وهى اليسير من الطعام وغيره، يقال : طعم طعاماً لطفاً، ولَطُف الشئ لطافة معناه صغر ودق[5].

وقد وردت هذه اللفظة بالظاء عند المقرى تعنى اليسير من الخبز واللبن ، وذلك فى قوله : فآواهما الليل إلى مجشر ، فسألا عن صاحبه ، فدُلاَّ ، فاستضافاه فأضافهما ، فبسط قطيفة بيضاء ، ثم عطف عليهما بخبز ولبن ، وقال لهما : استعملا من هذه اللظافة حتى يحضر عشاؤكما[6] .

---

(١) المعجم الوسيط ٢/ ٧٨٧ .

(٢) نفح الطيب ١/ ١٦٢ .

(٣) نفح الطيب ١/ ١٩١ .

(٤) نفح الطيب ٤/ ١١٠ .

(٥) تاج العروس ٦/ ٢٤٥ .

(٦) نفح الطيب ٧/ ٢٣٢ .

المدائن من العجين : المدائن جمع مدينة ، والعجين : المعجون من الدقيق ، وقد كان من عادة الأكابر والأغنياء في الأندلس أن يتخذوا عجيناً من دقيق الدرمك الأبيض الخالص الناعم المخلوط بالزعفران ، ويصنعون من هذا العجين مدناً مختلفة الصور ، وذلك مع قدوم فصل الربيع والاحتفال بعيد النيروز ، ثم تخبز وتؤكل فى هذه المناسبة ؛ ويحدثنا المقرى أن أبا عمران موسى الطرياني لما دخل يوم نيروز إلى بعض الأكابر ، وعادتهم أن يصنعوا فى مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة ، فنظر إلى صورة مدينة ، فأعجبته ، فقال له صاحب المجلس : صفها وخذها ، فارتجل قائلاً :

مدينةٌ مُسوَّرة ... تحار فيها السحره
لم تبنها إلا يدُ ... عذراءٍ أو مُخدَّره
بدت عروساً تُجتَلى ... من درمكٍ مزعفرة
ومالها مفاتح ... إلا البنان العشره[1]

الميرة : الميرة بالكسر الطعام يمتاره الإنسان ، وقيل جلب الطعام للبيع ، والميَّار كشدَّاد : جالب الميرة[2] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى تعنى : كل ما يمسك الرمق من الطعام؛ من أى نوع كان ؛ وذلك فى قوله : فأغاثهم زياد بن عمرو اللخمى بمركبين مشحونين ميرة أمسكا من أرماقهم. . .»[3] . وقوله : «ثم انتقل العدو إلى حصار مالقة ، وكان أهل مالقة قد دخلوا فى الصلح وأطاعوا صاحب البيازين، وأتى إليها النصارى بالميرة. . .»[4] .

(١) نفح الطيب ٥/ ٢١٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٢) تاج العروس ٣/ ٥٥٢ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ١٦ ، ١٧ .

(٤) نفح الطيب ٦/ ٢٧٥ .

ونلاحظ أن لفظة الميرة ارتبطت عند الأندلسيين بالمواقف الحربية التى يكون فيها المحاربون على وشك الموت ، ثم يؤتى لهم بالطعام فيسمى عندئذٍ الميرة ، وصارت لفظة الميرة تعنى عندهم الطعام المُنْقِذ من الموت .

ألفاظ الإدام وهى :

الجُبْن : ما انعقد من اللبن إما بالأنفحة أو بغيرها من المجمدات كالخرنوب والقرطم ، وجيد الجبن ورديئه يتبعان اللبن ، وليس جميع الألبان تجمد ، وتقبل التجبن ، وإنما يتجبن من اللبن ما كان الغلظ عليه أغلب ، وأفضل الجبن الحديث ، وخاصة المتخذ من لبن حامض ، والجبن الرطب إذا أكل بلا ملح كان مغذياً طيب الطعم[1] .

وأشهر المدن الأندلسية إنتاجاً للجبن مدينة شريش ، ولطيب جبنها يدخل فى صناعة نوع من الحلوى معروف عند الأندلسيين ؛ وهو المجبنات ؛ ويقول المقرى عن هذه المدينة : «ومما اختصت به إحسان الصنعة فى المجبنات ، وطيب جبنها يعين على ذلك . . .[2]» .

ومن المدن الأندلسية المشهورة بالجبن أيضاً مدينة إشبيلية التى كان الجبن يباع فى حوانيتها مع الخبز والفواكه واللحم والسمك[3] .

الجُلْجُلان : هو السمسم ، وهو صنفان : أبيض وأسود ، وتسمى العرب دهنه السليط ، وقيل الجلجلان : السمسم فى قشره قبل أن يحصد ، وكذلك ثمرة الكزبرة يقال لها الجلجلان[4] .

---

(١) المعتمد فى الأدوية المفردة ٦٣-٦٤ ، تذكرة داود ١/ ١٠٣ .

(٢) نفح الطيب ١/ ١٨٠ .

(٣) نفح الطيب ١/ ٢١٦ .

(٤) المعتمد فى الأدوية المفردة ٧١ ، المعجم الوسيط ١/ ١٣٣ .

وقد وردت لفظة الجلجلان عند المقرى تعنى : حب السمسم ، وذلك فى قوله : أكل ابن شاطر يوماً مع أبى القاسم عبد الله بن رضوان الكاتب جلجلاناً ، فقال له أبو القاسم : إن فى هذا الجلجلان لضرباً من طعم اللوز ، فقال ابن شاطر : وهل الجلجلان إلا لوزة دقة[١] ؟ . ومازال هذا اللفظ موجوداً فى الإسبانية حتى اليوم ؛ فهو فيها : ajonjoli[٢] .

الزُّبْد : هو السمن قبل أن يسلأ ، والقطعة منه زبدة ، وهو ما خلص من اللبن إذا مخض[٣] .

وقد ورد ذكر الزبد فى شعر للسان الدين بن الخطيب فى قوله :

نزلنا على يعقوب نجل أبى خدّو فعرفنا الفضل الذى ماله حدُّ
وقابلنا بالبشر واحتفل القِرَى فلم يبق لحم لم ننله ولا زُبْدُ
يحق علينا أن نقوم بحقه ويلقاه منا البر والشكر والحمد[٤]

الزَّيْت : دهن الزيتون ، وهو المراد عند الإطلاق ؛ فإن أريد غيره قُيِّد بالإضافة ؛ فيقال : زيت الخروع وزيت السمك ؛ أو قُيِّد بالوصف ؛ فيقال : الزيت الحار ، والجمع زيوت[٥] .

ولقد كان الزيت متوافراً فى الأندلس بشكل ملحوظ نظراً لكثرة أشجار الزيتون بها ، وأكثر المدن الأندلسية إنتاجاً له مدينة إشبيلية ؛ التى يقول عنها المقرى : وبها أسواق قائمة ، وتجارات رابحة ، وأهلها ذوو أموال عظيمة ، وأكثر متاجرهم الزيت ، وهو يشتمل على كثير من إقليم الشرف. . .[٦] » .

---

(١) نفح الطيب ٧/ ٢٣٥ .

(٢) مدخل إلى الألفاظ الأسبانية المأخوذة من العربية ٢٦٧ .

(٣) تاج العروس ٢/ ٣٦١ . (٤) نفح الطيب ٩/ ٢٠٢ .

(٥) تكملة المعاجم العربية ٥/ ٣٩٤ ، المعجم الوسيط ١/ ٤٢٣ .

(٦) نفح الطيب ١/ ١٥٧ .

وزيتون إشبيلية يظل مدة طويلة لا يتغير لجودته ، وفى ذلك يقول المقرى : «وعسل الشرف يبقى حيناً لا يترمّل ولايتبدل ، وكذلك الزيت والتين. . .»[1] . ولقد كان زيت إشبيلية يُصدَّر إلى البلاد المشرقية ، وبلغ الإسكندرية ، وفى ذلك يقول المقرى : أى شرف قد حاز ماشاء من الشرف ، إذ عم أقطار الأرض خيره ، وسفر ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الإسكندرية[2] . وكيف لا يتحقق لإشبيلية هذه الشهرة من إنتاج الزيت وبها جبل يدعى جبل الشرف ، وهو تراب أحمر طوله من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلاً ، وعرضه من المشرق إلى المغرب اثنا عشر ميلاً ، يشتمل على مائتين وعشرين قرية ، قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت[3] .

ومازال حتى اليوم زيت الزيتون الأسبانى له شهرة عالمية ، وكان الأندلسيون يستخرجون الزيت من الزيتون بعد نضج ثمرته ، ثم يطبخ بالنار بعد طحنه وعصره بمعاصر الزيت ، وهو يسمى عندهم الزيت العذب أو الطيب أو البِكّر .

الزيتون : شجر مثمر زيتى، تؤكل ثماره بعد ملحها ، ويعصر منها الزيت، وثمره أيضاً يسمى الزيتون ، والواحدة زيتونة[4] . والأندلس أكثر بلاد الله زراعة للزيتون ؛ وخاصة إقليم الشرف التابع لمدينة إشبيلية ، وهذا الإقليم على تل عالٍ من تراب أحمر مسافته أربعون ميلاً فى مثلها ، ويمشى السائر به فى ظل الزيتون والتين. . .»[5] ، وقال بعضهم فى شرف إشبيلية : ولو لم يكن لها

---

(١) نفح الطيب ١/ ٢٠٠ .

(٢) نفح الطيب ٤/ ١٨٨ .

(٣) نفح الطيب ١/ ١٥٨ .

(٤) المعجم الوسيط ١/ ٤٢٣ .

(٥) نفح الطيب ١/ ١٥٧ .

من الشرف إلا موضع الشرف المقابل لها المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتد فراسخ فى فراسخ لكفى. . .»[1] .

ويقول المقَّرى عن زيتون إشبيلية : «وزيتون إشبيلية يخزَّن تحت الأرض أكثر من ثلاثين سنة ، ثم يعتصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طرى. . .»[2] ، فهو لا يتغير طعمه بل يبقى أعواماً برقته وعذوبته لا يؤثر فيه طول مكث .

وتأتى بعد مدينة إشبيلية فى زراعة الزيتون مدينة قرطبة ؛ وهى مدينة عظيمة أزلية من بنيان الأوائل ، طيبة الماء والهواء ، أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب. . .[3] » .

وقد جمعت لفظة الزيتون عند الأندلسيين على الزياتين ؛ وهو جمع على غير قياس ، وذلك فى قول المقرى : والتفت بسوره الزياتين المفيدة[4] ، ويقول أيضاً : ويسامتها شرقاً جبل ررهون ، المنبجس العيون ، الكثير الزياتين والأشجار[5] . ومازال هذا اللفظ موجوداً فى الأسبانية حتى اليوم[6] .

---

(١) نفح الطيب ١/ ٢٠٠ .

(٢) نفح الطيب ١/ ٢٠١ .

(٣) نفح الطيب ٢/ ٧ .

(٤) نفح الطيب ٨/ ٣٤٥ .

(٥) نفح الطيب ٨/ ٣٤٦ .

(٦) مدخل إلى الألفاظ الأسبانية ٢٦٧ .

القسم الثانى : ألفاظ المشرب

جعلت هذا القسم فى مبحثين : تناولت فى المبحث الأول ألفاظ الخمر وما يتعلق بها ، وتناولت فى المبحث الثانى ألفاظ المشروبات الأخرى ، ومجموع ألفاظ هذا القسم ثمانية وأربعون لفظاً ؛ منها ستة وثلاثون لفظاً للخمر ، واثنا عشر لفظاً للمشروبات الأخرى .

أولاً : ألفاظ الخمر وما يتعلق بها

مجموع ألفاظ هذا المبحث ستة وثلاثون لفظاً ؛ هى : ابنة العنب ، ابنة العنقود ، الإسفنط ، الأنس ، بنت الدنان ، بنت الدوالى ، بنت الكروم ، التبر واللجين ، التثليث والتسديس ، الجريال ، الحمراء الممزوجة ، الحُميًّا ، الخمر ، الخندريس ، دم الزق ، الراح ، الرحيق ، الزرجون ، السبيئة ، السلافة ، الشراب ، الشمول ، الصبوح والغبوق ، الصهباء ، الطلا ، العقار ، القرقف ، القهوة ، الكأس ، الكميت ، المدامة ، المسطار ، المعتقة ، النبيذ ، النجيع ، النُّطَف .

ابنة العنب : اسم أطلقه شعراء الأندلس على الخمر ، لأنها متخذة من عصير العنب ، وذلك فى قول أحدهم :

كما قلت للأفق لما أن بدا صلفاً بشمسه عندما لاحت من الحجب

إن تهتَ بالشمس ياأفق السماء فلى

شمسان : وجه نديمى وابنة العنب[1]

وقول آخر فى مطلع موشحة له :

هات بنت العنب واشربِ

(١) نفح الطيب ٢/ ٣٣٧ .

وفدّه بأبى ثم بــــى[1]

ولقد كانت مجالس الشراب عند الأندلسـيين مشتملة إلى جانب الخمر على أصناف الفواكه والـرياحين ؛ وفى ذلك يقول أحدهم : وهل تـكتمل لذة دون إحضار خدود الورد ، وعيون النرجـس ، وأصداغ الآس . ونهود السفرجل ، وقدود قصب السـكر ، ومباسم قلوب الجوز ، وسُرر الـتفاح ، ورُضاب **ابنة العنب** ؟[2] .

- **ابنة العنقود** : اسم أطلقه الشـعراء الأندلسيون على الخمر ، لأنـها متخذة من عصير عناقيد العنب ، وفى ذلك يقول أبو محمد بن سارة :

أعندك أن البدر بات ضجيعـــى فقضَّيتُ أوطارى بغير شفيـع
جعلت **ابنة العنقود** بينى وبينه فكانتْ لنا أمّا وكان رضيعى[3]

وقول لسان الـدين بن الخطيب معزيـاً أحد الناس فى فقد أخـيه ومذكّراً بما تفعـله الأيام : «فرَّقت بـين التيجان والمفـارق ، والخدود والنمارق ، والـطلى والعقـود ، والكأس **وابنة العنقود** ، فما الـتعلل بـالفانِ ، وإنما هـى إغفاءة أجفان[4] .

الإسفنط : فى التـاج : الإسفنط : المطيَّب مـن عصير العنـب ، وقيل : هى خمـر فيها أفاويـه ، وقيل : ضرب مـن الأشربة ، وقال الأصـمعى : هو الخمر بالـرومية ، أو أعلى الخمر وصفـوتها ، وقيل سميت بـذلك لأن الدنان تسفطتها أى تشربت أكثرها فبقـيت صفوتها ، وقد وردت فى الشعر الجاهلى ؛ فقد قال الأعشى يصف الريق :

(١) نفح الطيب ٥/ ١٩ .
(٢) نفح الطيب ٥/ ٤٤ .
(٣) نفح الطيب ٥/ ١٠ .
(٤) نفح الطيب ٩/ ١٣٢ .

وكأن الخمر من الإسـ ـفنط ممزوجة بماء زلال[1]

وفى المعجم الكبير : الإسفنط كلمة يونانية تطلق على نبات يدخل فى تركيب نوع خاص من الخمر ، ودخلت الكلمة فى السريانية ، وفى التلمود صارت اسماً لخمر مُرّة يدخل فى تركيبها ذلك النبات[2] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى تحمل دلالة ضيقة تنحصر فى : أعلى الخمر وصفوتها ؛ وذلك فى قول أحد الشعراء :

يرنحها مر النسيم إذا سرى   كما مال نشوان تشرّب **إسفنطا**[3]

وقول شاعر آخر فى المدح :

ويجمع بين القبض والبسط كفّه   بحكمة مَنْ فى كفه القبض والبسط
خلائق قد طابت مذاقاً ونفحة   كما مزجت بالبارد العذب **إسفنط**[4]

الأنس : اسم من أسماء الخمر أطلقه الشعراء الأندلسيون عليها لأنها تؤنس صاحبها من الوحشة ، وذلك فى قول أبى الفضل ابن الأعلم :

وعشية كالسيف إلا حدّه   بسط الربيع بها لنعلى خدّه
عاطيتُ كأس **الأنس** فيها واحداً   ماضره أن كان جمعاً وحده[5]

وقول الوزير أبى فارس عبد العزيز الفشتالى :

مادام منزل سعده يرتاده   نصر يرف لواؤه المنشور
ومشت به مرحاً جياد مسرّة   وأدار كاس **الأنس** فيه سمير[6]

---

(1) تاج العروس ٥ / ١٥٤ .
(2) المعجم الكبير ١/ ٢٩٠ .
(3) نفح الطيب ٨/ ١٨٥ .
(4) نفح الطيب ٩/ ١٧٦ .
(5) نفح الطيب ٥/ ١٨٠ ، ٢٢٢ .
(6) نفح الطيب ٨/ ١٨٨ .

بنت الدنان : الدَّنُّ : الراقود أو هو اطول من الحُبّ مستوى الصنعة فى أسفله كهيئة قونس البيضة أو أصغر من الحُب له عسعس لا يقعد إلا أن يحفر له[1] . وهو يشبه البرميل الآن ، وهو وعاء ضخم للخمر ، والجمع دِنان .

وقد أطلق الشعراء الأندلسيون هذا الاسم : بنت الدنان على الخمر لأنها كانت تقدم فى الدنان ، وهو من باب الكناية عن الموصوف .

ويتضح ذلك من قول الأمير أبى الحسن بن نزار فى مطلع موشحة له :

نازعَكِ البدرُ اللياحْ　　**بنتَ الدِّنانِ**
فلم يدع لك اقتراح　　على الزمانِ[2]

بنت الدوالى : هى أجود الخمر عند الشعراء الأندلسيين ؛ والدوالى جمع دالية ، وهى عنب أسود غير حالك ، وعناقيده أعظم العناقيد كلها ، وعنبه جاف يتكسَّر فى الفم ، مدحرج ، ويزبِّب ، يتخذ منه أجود الخمور. ويتضح ذلك من خلال قول أحدهم :

زائر قد أتى بجيد الغزال　　مُطْلع تحت جُنْحه للهلالِ
بلحاظٍ من سِحْر بابل صيغتْ　　ورُضَابٍ يفوق **بنتَ الدوالى**[3]

بنت الكروم : اسم أطلقه الشعراء الأندلسيون على الخمر المتخذة من عصير العنب ، وذلك فى قول الوزير أبى جعفر أحمد الوقشى :

وزنجى أتى بقضيب نَـوْرٍ　　وقد زُفَّت لنا **بنتُ الكرومِ**

---

(١) تاج العروس ٩/٢٠٢ .
(٢) نفح الطيب ٥/٤٢ .
(٣) نفح الطيب ٥/٣١٦ .

فقال فتى من الفتيان صفها   فقلت الليل أقبل بالنجوم[1]

وقول يحيى السرقسطى :

هاتها عسجدية كوثرية   بنتَ كرمٍ رحيقةً عطرية
كلما شفَّها النحول تقوّت   فاعجبوا من ضعيفة وقوية[2]

التبر واللجين : التبر الذهب الخالص غير المضروب ، واللجين الفضة الصافية ، وقد أطلقهما الشعراء الأندلسيون على الخمر الصفراء التى بلون الذهب ، والماء الصافى الذى يمزج بها ؛ والذى يشبه الفضة ، ويتضح ذلك فى قول أحدهم :

قومى امزجى **التبر باللجين**   واحتملى الرطل باليدين
واغتنمى غفلة الليالى   فربما أيقظتْ لحَيْن[3]

التثليث والتسديس : تعنى عند الأندلسيين شرب ثلاث كؤوس من الخمر إن كان عدد الشاربين كثيراً ، أو شرب ست كؤوس إن كان المجلس يضم عدداً قليلاً والخمر كثيرة .

وفى ذلك يقول أبو زكريا يحيى بن هذيل أحد شيوخ لسان الدين بن الخطيب :

وقام بها البطريقُ يسعى ملبياً   وقد ليَّن الناقوسَ رفعاً وتأنيسا
فقلنا له أمنًّا فإنا عصابة   أتينا **لتثليث** وإن شئت **تسديسا**
وما قصدنا إلا الكؤوس وإنما   لحنَّا له فى القول خبثا وتدليسا[4]

---

(١) نفح الطيب ٤/ ٢٨٩ .

(٢) نفح الطيب ٥/ ٢٩٨ .

(٣) نفح الطيب ١/ ١٩٠ .

(٤) السابق ٨/ ٤٠ .

وقول لسان الدين بن الخطيب :

وحانة خمار هدانا لقصدها شميم الحُميًا واصطكاك النواقيس
بكرنا وقلنا إذ نزلنا بساحه عن الصافنات الجُرْد والضُمَّر العيس
أيا عابد الناسوت إنا عصابة أتينا **لتثليث** ، بلى **ولتسديس**(١)

الجزيال : الجِريال بالكسر صبغ أحمر ، وقيل حمرة الذهب ، وقيل سلافة العصفر ، وقيل ما خلص من لون أحمر وغيره ، وقيل هو الخمر ، وهو دون السُّلاف فى الجودة ، أو لون الخمر(٢) .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى تعنى الخمر ؛ وذلك فى قول ذى الرياستين :

نفس الذليل تعزُّ **بالجريال** فيقاتل الأقرانَ دون قتال(٣)

وقول ابن زيدون :

وأدِرْ هناك من المدام كؤوسها واتمها واشفَّها **جريالا**(٤)

وقول ابن الخطيب :

فأدرت من ذكراك كأس مدامة وشربت من حبى لها **جريالا**(٥)

الحمراء الممزوجة : تعنى عند الشعراء الأندلسيين الخمر ، لأنها حمراء اللون تمزج بالماء الصافى ليخفف من حدتها ؛ ويتضح ذلك من قول أحدهم :

---

(١) نفح الطيب ١٩٣/٩ .
(٢) تاج العروس ٧/ ٢٥٥ .
(٣) نفح الطيب ٢/ ٢٠٠ .
(٤) السابق ٦/ ٤٤ .
(٥) السابق ١٠/ ٧٩ .

عاطيته حمراء ممزوجة كأنها تعصر من وجنتيه[1]

الحُميا : الحُميًّا من الكأس سـورتها وشدتها ، أو أول سورتهـا وشدتها ، أو إسكارها وحدتها ، أو أخذها بالرأس ، يـقال : سارت فيه حميا الكأس أى سورتها ؛ والمعنى ارتفعت إلى رأسه ، وقـال الليث : الحميا بلـوغ الخمر من شاربها ، وقال أبو عبيد : الحميا دبيب الشراب[2] .

والحميا تعنى عـند الأندلسيين الخمر التى لها سـورة وشدة تصرع شاربها ، وذلك فى قول ابن صارة :

نحن فى مجلس به كمـل الأنـ ـس ولو زرتنا لزاد كمالا
طلعت فيه من كؤوس **الحميا** ومن الزهر أنجم تتلالا[3]

وقول ابن دحيـة : «فلما مثل بين يديـه وحيًّا ، أمر الساقى بمنـاولته كأس **الحميا** ، فتقبَّض متأففا ، وأبدى تمعراً وتقشفاً . . .»[4]

وقول ابن خفاجة :

لله نُوريّـــة المُحيّـــا تحمـل نـاريـة **الحُميّـا**
دُرنا بها تحت ظل دوح قد راق مرأى وطاب ريّا[5]

وقول أبى القاسم أحمد بن محمد اللخمى لأبيه :

قد كنت أرجو المتاب ممـــا فُتنتُ جهلاً به وغَيَّـــا
لولا ثلاث شيـوخ سـوء أنت وإبليس **والحُميّا**[6]

---

(١) نفح الطيب ٥/٢٠١ .
(٢) تاج العروس ١٠/٩٩ .
(٣) نفح الطيب ٤/٣٧١ .
(٤) السابق ٥/٥٣ .
(٥) السابق ٥/١٦٣ .
(٦) السابق ٥/٢١٩ ، ٢٨٨ .

وقول لسان الدين بن الخطيب :

وحانة خمار هدانا لقصدها شميم الحميا واصطكاك النواقيس(١)

الخمر : الخمر ما أسكر من عصير العنب خاصة أو ما أسكر من عصير كل شئ ؛ لأن المدار على السكر وغيبوبة العقل ، والخمرة بالهاء القطعة منها ؛ وسميت خمراً لأنها تخمر العقل وتستره ، أو لأنها تركت حتى أدركت واختمرت ، أو لأنها تخامر العقل أى تخالطه ، والجمع لها خمور، وهى الخمرة كتمرة ، وتمر وتمور(٢) .

والأمر اللافت للنظر أن الخمر ورد ذكرها فى نفح الطيب فى مائتين وثلاثين موضعاً ؛ وهو عدد كبير ؛ إن دل على شئ فإنما يدل على أن الخمر صارت ظاهرة منتشرة بين جميع الأندلسيين عامتهم وخاصتهم ؛ حتى تطرف بعض الشعراء واعتبر عدم شرب الخمر من السيئات ؛ فقال :

لو مضى الوقت دون راحٍ وقصفٍ لعددنا ذلك من السيئات(٣)

ويحدثنا المقرى أن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فى إشبيلية غير منكر لاناهٍ عن ذلك ولا منتقد ، مالم يؤد السكر إلى شر وعربدة ، وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك ؛ فلم يستطيعوا إزالته(٤) .

وكان نبيذ العنب من أغلى وأجود أنواع الخمر ، ولذا لجأ العامة فى الأندلس من الفقراء إلى اصطناع أنواع رخيصة ؛ مثل الخمر المتخذة من الذرة أو من العسل ، ولذا لما همَّ الحكم المستنصر بقطع شجرة العنب من الأندلس ،

---

(١) نفح الطيب ٩/ ١٩٢ ، وانظر ٦/ ٤٣ - ٨/ ١٨٣ .

(٢) تاج العروس ٣/ ١٨٦-١٨٧ .

(٣) نفح الطيب ٥/ ١٨٤ .

(٤) نفح الطيب ٤/ ١٨٨ .

بعد ماكره له العلماء شرب الخمر ؛ قيـل له : فإنها تعصر من سواها ، فأمسك عن ذلك[1] .

وجدير بـالذكر أن مديـنة مالقـة كانت من أشهـر المدن الأندلسـية تصنـيعاً للخمـور ، لكثرة الكروم بـها ، ويحدثنا المـقرى أنها خُصت بالـشراب الحلال والحرام ، حتى سار المثل بالشراب المالـقى ، وقيل لأحد الخلعاء ، وقد أشرف على الموت : اسأل ربك المغفرة ، فرفع يديه ، وقال : يارب أسألك من جميع مافى الجنة : خمر مالقة وزبيبى إشبيلية[2] .

وقد وصفت الخمر عند الأنـدلسيين بثلاث صفات : **الصِّرف** للدلالة على نقائها وصفائها ، **الرحيق** للدلالة على طيبها وحسن رائحتها ، **العتيق** للدلالة على قدمها وطيبها أيضاً .

وقد كـان الأطباء الأندلـسيون يـداوون بعض مرضـاهم بالخـمر العتـيق ، ويحدثنا المقرى أنه لما اعتل ابن ذى الوزارتين أبى عامر بن الفرج ، وزير المأمون ابن ذى النون ؛ فوصف له أن يتداوى بالخمر العتيق[3] .

الخندريس : فى التاج : الخندريس الخمر القديمة ؛ رومية معربة ، وحنطة خندريس قديمة ، وتمر خندريس قديم[4] .

وقد أطلق الأندلـسيون على الخمر الخنـدريس لقدمها وعتقـها ، وذلك فى قول أحدهم :

حيارى يميد بهم شجوهم   كأنهم ارتضعوا **الخندريسا**[5]

---

(١) نفح الطيب ٤/ ١٨٩ .

(٢) نفح الطيب ٤/ ١٩٣ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ٣٦٥ .

(٤) التاج ٤/ ١٣٦ .

(٥) نفح الطيب ٩/ ٣٢ .

وقول الآخر :

وجئ بها خندريســـاً من خـد ساقيـه تُعصـر[1]

دم الزِّقّ : الزِّقُّ وعـاء من جلد يُجـزُّ شعره ولا يـنتف ، يـتخذ للـشراب وغيره، وجمعه أزقاق وزِقاق .

ودم الزق اسم أطلقه الأنـدلسيون على الخمر ؛ لأنها تـشبه الدم وهي في الوعاء ؛ وذلك في قول أحدهم :

ويومٍ كظلِّ الرمح قصَّر طولهَ دمُ الزِّقِّ عنا واصطفاق المزاهر[2]

الراح : في الـتاج : الراح : الخمـر ؛ اسم له ؛ وسـميت راحاً لارتـياح شاربها إلى الكَرْم ؛ وقيل : لأن صاحبها يرتاح إذا شربها[3] .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرى في مائـة وتسعين موضعاً ؛ وهذا يدل على كثرة إطلاق الأندلسيين هذا اللفظ على الخـمر ، إما لارتياحهم وشوقهم إليها ، وإما لأنهم يرتاحون بشربها .

وقد ارتـبط لفظ الـراح بلفظ الـريحان عـند الشعـراء الأندلسيـين : الراح والريحان ؛ ويبدو أنهما كانا متـلازمين في مجالس الشراب ؛ ويؤكد ذلك قول أحدهم :

على أنه لم يكمل الظرفَ مجلس إذا لم يكن فيه مع **الراح ريحان**[4]

وقول آخر :

---

(١) نفح الطيب ٩/٢٩٦ .

(٢) نفح الطيب ٥/ ٨٥ .

(٣) التاج ٢/ ١٥٠ .

(٤) نفح الطيب ٥/١١٩ .

أيام أحيا بالغوانى والغِنا وأموت بين **الراح والريحان**[1]

وقد جمعت لفظة الراح عند الأندلسيين على غير قياس جمع مؤنث سالماً : الراحات ، وذلك فى قول المقرى : «وإنما عرّض للإسكندرانى بأنه كان يشهد مجالس **الراحات** فى أول أمره ومعرفة الغناء. . .»[2] .

وقد وصفت لفظة الراح بلفظة الأصفر للدلالة على صفرة لون الخمر ، كما أضيفت إلى كؤوس : كؤوس الراح فى مواضع عديدة[3]

الرّحيق : من أسماء الخمر ، أو أطيبها ؛ وهو صفوة الخمر أو أعتقها وأفضلها ؛ أو الخالص منها ، وقيل : هو الشراب الذى لا غش فيه ؛ وقيل : هو السهل من الخمر أو الصافى ؛ ومنه قوله تعالى : «يسقون من رحيق مختوم» ، قال الزجاج : الرحيق الشراب الذى لا غش فيه، والمختوم المصون الذى لم يتبدل لأجل ختامه[4] .

وقد استعمل الأندلسيون لفظة الرحيق للدلالة على صفوة الخمر ؛ ويتضح ذلك من خلال قول ابن سهل الشاعر :

ما رأينا مثل ثغر نضّدهْ أقحواناً عُصِرتْ منه **رحيق**[5]

وقول ابن زَمْرَك :

نشوان لم يشرب **رحيقاً** لكنْ إلى الحسن صَبَا[6]

وقول ابن جابر الأندلسى الهوارى :

(١) نفح الطيب ٥/ ١٨١ .

(٢) نفح الطيب ٥/ ٨٥ .

(٣) نفح الطيب ٥/ ١٢٧ - ٨/ ٦٨ ، ١٩٩ - ٩/ ٣٠٦ ، ٣١٣ .

(٤) التاج ٦/ ٣٥٥ .

(٥) نفح الطيب ٩/ ٢٨٧ .

(٦) نفح الطيب ١٠/ ٩٦ .

فقلتُ مارأيك فى نزهة ... مابين كاسات وروض أنيقْ
فقال يعنى خده واللَّمى ... هذا هو الروض وهذا **الرحيق**[1]

الزرّجون : فى التاج : الـزَّرَجون محركة الخمر ؛ هو فارسى معرب لأن زر بالفارسية الذهب ؛ وجون اللون ؛ وهم مما يعكسون المضاف والمضاف إليه عن وضع العرب ، وسميت بذلك لشبه لونها بلون الذهب ، وقيل : الزرجون الكَرْم ؛ وقال ابن شميل : الزرجون شجرة العنب ، كل شجرة زرجونة ؛ أو الزرجون قضبانها بلغة أهل الطائف والغور . وقال أبو حنيفة : الزرجون القضيب يغرس من قضبان الكَرْم[2] .

وقد وردت لفظة الزرجون عند المقرى تعنى شجر الكَرْم ؛ وذلك فى قوله: «فوجده مبنياً من وجه الماء بصُمٍّ الحجارة فوق **زَرَجُونٍ** وضع بينها وبين الماء بأحكم صناعة. . .»[3] .

السبيئة : فى التاج : السبيئة ككريمة الخمر مطلقاً ؛ وسبأ الخمر واستبأها : اشتراها ؛ وإذا اشتريت الخمر لتحملها إلى بلد آخر قلت سبيتها بلا همز وسبأتها بالهمز ؛ وإذا جلبتها من أرض إلى أرض فهى سبيئة ، قال حسان ابن ثابت :

كأنَّ **سبيئةً** من بيت راس ... يكون مزاجها عسل وماء[4]

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرى يحمل مدلول : الخمر بعامة[5] .

السلافة : فى التاج : السلافة : الخمر كالسُّلاف بغير هاء ؛ وهو أول ما

---

(١) نفح الطيب ١٠/ ١٩٠ .

(٢) تاج العروس ٩/ ٢٢٦ ، تكملة المعاجم العربية ٥/ ٣٠٠ (الترجمة العربية) .

(٣) نفح الطيب ١/ ٢٤٧ .

(٤) تاج العروس ١/ ٧٥-٧٦ .

(٥) نفح الطيب ٩/ ٢٧٢ .

يعصر منها ؛ وقيل ماسال من غير عصر ؛ وقيل هو أول ما ينزل منها ؛ وفى التهذيب : السُّلاف والسُّلافة من الخمر أخلصها وأفضلها ؛ وذلك إذا تحلَّب من العنب بلا عصر ولا مرث ، وكذلك من التمر والزبيب مالم يعد عليه الماء بعد تحلب أوله[1] .

وقد وردت لفظتا السلاف والسلافة - بهاء وبغيرها - عند المقرى تعنى أخلص الخمر وأفضلها ، وذلك فى قوله : « . . . حتى التاح فى أفق الخلافة ، وارتاح إليها بعِطْفِه كنشوان **السُّلافة** . . . »[2] .

وقول قاسم بن عبود الرباحى :

كل شئ رأيته غير شئ   ماخلا لذة الهوى **والسُّلافة**[3]

وقول أبى الحسن المرينى فى مطلع موشحة له :

فى نغمة العود **والسلافة**   والروض والنهر والنديم
أطال مَنْ لامنى خلافَه   فظل فى نصحه مُليمْ[4]

وقول سليمان بن المرتضى الملقب بالغزال :

قدم الربيع عليك بعد مغيب   فتلقَّهُ **بُسلافةٍ** وحبيب[5]

وقول أبى الحسن الجياب :

سقانى **فأهلاً** المُدامة والساقى   **سُلافاً** بها قام السرور على ساق[6]

---

(١) التاج ٦/١٤٤ .
(٢) نفح الطيب ١/ ٣٨٥ .
(٣) نفح الطيب ٢/ ١٤ .
(٤) نفح الطيب ٢/ ٢٢ .
(٥) نفح الطيب ٥/ ١٣٠ .
(٦) نفح الطيب ٨/ ٢٥٩ ، انظر ايضاً : ٥/ ٣٥٢ - ٧/ ٣٤٠ - ٨/ ٤٠ - ٩/ ٢٩٠ .

الشَّرَاب : فى التاج : الشراب : ما يُشرب من أى نوع كان على أى حال كان ؛ وجمعه أشربة ؛ وقيل : لا يجمع ؛ وفى اللسان : الشراب اسم لما يشرب فى كل شئ لا مضغ فيه[1] .

وقد تخصصت دلالة هذه اللفظة عند الأندلسيين ؛ وانحصرت فى إطلاقها على الخمر ؛ وذلك فى قول نزهون بنت القلاعى : «وتراك ياأستاذ ، قديم النعمة بمجمر ندٍّ وغناء **وشراب** . . .»[2] . وفى قول المقرى عن مدينة مالقة : «وقد خُصَّت بطيب **الشراب** الحلال والحرام ، حتى سار المثل **بالشراب** المالقى. . .»[3] .

وقوله عن المعتمد بن عباد : «وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولى الملك ، فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا **الشراب**. . .»[4] .

الشَّمُول : فى التاج : والشمول كصبور : الخمر أو الباردة الطعم منها ؛ كالمشمولة ؛ لأنها تشمل ريحها الناس أى تعم ، أو لأن لها عصفة كعصفة الشمال ؛ وشمل الخمر يشملها شملاً : عرضها للشمال فبردت وطابت ؛ ولذا يقال لها مشمولة ؛ وهو مجاز[5] .

وقد وردت هذه اللفظة فى استعمال الأندلسيين تعنى الخمر الباردة الطيبة ؛ وذلك فى قول القارئ البغدادى :

وما بال خفاق النسيم يميلنى   هل الريح راح والشمال **شمول**[6]

---

(١) تاج العروس ١/٣١٢ .

(٢) نفح الطيب ١/١٨٦ .

(٣) نفح الطيب ٤/١٩٣ .

(٤) نفح الطيب ٤/٣٦٣ .

(٥) تاج العروس ٧/٣٩٦ - ٣٩٧ .

(٦) نفح الطيب ١/٣٣ .

وقول أبى بكر بن القَبْطرُنة :

ياأخى ، قم تر النسيم عليلاً   باكرِ الروضَ والمُدام **شمولا**[١]

وقول ابن شَهَيْد فى الحرشف :

اقسمت لا اطعمها اكيلى   ولاطعمتها على **شمول**[٢]

وقول ابن زيدون فى نونيته المشهورة :

نأسى عليك إذ حُثَّت مشعشعةً   فينا **الشمول** وغنَّانا مغنينا[٣]

الصَبُوح والغَبُوق : فى التاج : الصبوح : ما حلب من اللبن بالغداة ؛ أو ما شرب بالغداة فما دون القائلة ، والصبوح أيضاً كل ما أُكل أو شُرب غدوة ؛ وهو خلاف الغبوق ؛ والصبوح : ما أصبح عندهم من شراب فشربوه ؛ والصبوح : الناقة تحلب صباحا[٤] .

والغبوق كصبور : ما يُشرب بالعشى ؛ خلاف الصبوح ؛ وخص بعضهم به اللبن المشروب فى ذلك الوقت ؛ وقيل : هو ما أمسى عند القوم من شرابهم فشربوه[٥] .

وقد استعمل الأندلسيون اللفظتين متلازمتين : الصبوح والغبوق للدلالة على شرب الخمرة فى الصباح والمساء ؛ وذلك فى قول المقرى :

«فلا يزال معه فى **صبوح وغبوق**، وهو مجدد له كل يوم كرامة . .»[٦] .

---

(١) نفح الطيب ٢/ ١٧٠ .   (٢) نفح الطيب ٤/ ٢١٦ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ٢٤٥ وانظر اللفظة فى المواضع الأخرى ١/ ٣٤٧ - ٥/ ٤٥ ، ٥٤ - ٧/ ٣٣٨ - ٨/ ١٠ - ٩/ ٣١١ - ١٠/ ١٤٤ .

(٤) تاج العروس ٢/ ١٧٥ .

(٥) تاج العروس ٧/ ٣١ .

(٦) نفح الطيب ١/ ١٨٩ .

وقوله : وكان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة جرى فى صباه طَلَق الجموح ، ولم يزل يعاقب بين غبوق وصبوح ، إلى أن دعاه النذير ، فاهتدى منه بسراج منير . . .»[١] .

كما أفردوا لفظة الصبوح بالاستعمال وحدها ، وجمعت عندهم جمع مؤنث سالماً ، وصارت الصبوحيات ، للدلالة على خمر الصباح ، ويتضح ذلك فى قول أحدهم : طاب **الصبوح** لنا فهاك وهاتِ[٢] .

وقول المقرى : «فاستحسن المأمون مارآى ؛ وعزم على **الصبوح** . .»[٣] . وقوله : «ثم تعداها إلى وصف **الصَّبوح** ، وأجهز على الزق المجروح . . .»[٤] وقد كان للسان الدين بن الخطيب مجموعة موشحات سمَّاها **الصبوحيات**[٥] ، ونلاحظ كثرة استعمالهم للصبوح فى الخمر وقلة استعمالهم للغبوق فيها ، ويبدو أن غبوقهم كان لبناً فى أغلب الأوقات .

الصَّهْباء : فى التاج : الصهباء : الخمر سميت بذلك للونها الأصفر الضارب إلى شئ من البياض والحمرة ؛ أو المعصورة من عنب أبيض ، وقال أبو حنيفة : الصهباء اسم لها كالعلم[٦] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى تعنى عند الأندلسيين الخمرة الصفراء الضاربة إلى شئ من الحمرة والبياض «البرتقالى» وذلك فى قول أحد الشعراء :

---

(١) نفح الطيب ٤/ ٣٥٠ .

(٢) نفح الطيب ٤/ ١٠٤ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ١١٦ .

(٤) نفح الطيب ٨/ ٣٥٥ .

(٥) نفح الطيب ١٠/ ١٠٥ .

(٦) تاج العروس ١/ ٣٤٢ .

على قدرك الصّهباء توليك نشوةً بها سئ أعداء وسُرَّ صحاب(1)

وقول ابن سفر المرينى :

فى أرض أندلس تُلْتذُّ نعمـــاء ولا يفارق فيها القلب ســـرَّاءُ
وليس فى غيرها بالعيش مُنتفعٌ ولاتقوم بحق الأنس **صهباء**(2)

وقول نور الدين بن سعيد :

يانهر **حمص** ، لاعدتك مسرّةٌ ماء يسيل لديك أم **صهبـاء**(3)

وحمص فى البيت هى مدينة إشبيلـية ، وقد كان أهل الأندلس يشـبهونها بحمص الشام ، ونهرها هو المسمى بالوادى الكبير .

وكتب أبو الـوليد بن الجنان الـشاطبى يستـدعى بعض إخوانه إلـى مجلس أنس : «نحن فى مجلس أغصانه الندامى ؛ وغمامه **الصهباء**. . .»(4)

وقال ابن صارة فى النار :

لو ترانا من حولها قلت قوم يتعاطون أكؤس **الصهباء**(5)

الطلا : فى التـاج : الطلاء ككـساء القطران وكـل ما يُطلى بـه ، وبعض العرب يسمى الخمر الطلاء ، يريد بذلك تحسين اسمها لا إنها الطلاء بعينه؛ قال عبيد بن الأبرص للمنذر حين أراد قتله :

هى الخمر تكنى الطلاء كما الذئب يكنى أباجعدة

والطّلاء أيضاً خـاثر المُنصَّف ؛ وهو ما طبخ مـن عصير العنـب حتى ذهب

---

(1) نفح الطيب ١/ ٧٥ .

(2) نفح الطيب ١/ ٢٠٢ ، ٢١٦ .

(3) نفح الطيب ٢/ ٢٢٤ .

(4) نفح الطيب ٤/ ٣١٦ .

(5) نفح الطيب ٤/ ٣٩٦ وانظر اللفظة أيضا فى : ٤/ ٢١٨ - ٥/ ١٨٨ - ٨/ ٣٨٤ .

ثلثاه ،وفى الأساس : شرب الطلاء اى المثلث ، شبه فى خثورته بالقطران[1] .
وقد وردت لفظة الطلا مقصورة ومحذوفة الألف أيضاً عند المقرى تعنى الخمر، وذلك فى قول الأمير الحسن بن نزار :

ومهما تكن فى ضِيْقةٍ فادر لها   كؤوس **الطّلا**؛ فالسُّكر يوسع ماضاقا[2]

وقول أبى عبد الله ابن عائشة :

وبتٌّ أسقيه كؤوس **الطلا**   ولم أزل أسهر شوقاً إليه[3]

وقول ابن زمرك :

إذا مانهانى الشيب عن أكؤس **الطلا**   تدير علىَّ الخمرَ منها باكؤس[4]

وقول ابن الخطيب :

واكؤس **الطّلِّ** مترعاتِ   بأنمل السوسن الندى[5]

وقوله أيضاً :

واتبعت جعفراً الفضل وكم   بات **الطّلا** يسقيهما صِرْف **الطّلا**[6]

العقار : فى التاج : والعُقار بالضم : الخمر ، سميت لمعاقرتها أى لملازمتها الدنّ ، يقال عاقره إذا لازمه وداوم عليه ، والمعاقرة الإدمان ومعاقرة الخمر : إدمان شربها ، قيل هو مأخوذ من عقر الحوض لأن الواردة تلازمه ، وقيل سميت عقاراً لأن أصحابها يعاقرونها أى يلازمونها، أو لعقرها

(١) تاج العروس ٢٢٧/١٠ .
(٢) نفح الطيب ٤٣/٥ .
(٣) نفح الطيب ٢٠١/٥ .
(٤) نفح الطيب ٣٥/١٠ .
(٥) نفح الطيب ١١٦/١٠ .
(٦) نفح الطيب ١٧٢/١٠ .

شاربها عن المشى ، أو لأنها تعقر العقل أى تغلبه ، ويقال عاقره إذا لازمه وداوم عليه، والمعاقرة : الإدمان ، وفى الحديث : لا يدخل الجنة معاقر خمر[1] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى تعنى الخمر ، وذلك فى قول الشاعر أبى الحسن المرينى :

واخرج معى للوادى لشرب **العُقار**[2]

وقول المقرى : ولبسوا برود السرور ومانضوها ، حتى صرعتهم **العُقار**»[3]. وقوله : «وافصحت المثالث والمثانى ، بما استنزل من مرقب الوقار، وسرى فى النفوس مسرى **العُقار**. . .»[4] ؛ وقوله : «والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوقار وارتداه ، وحكَّم **العقار** فى جوده ونداه. .»[5] . وقوله : «فقال الأمير: ياابن عاصم ، ما يصلح فى يومنا هذا ؟ فقال : **عُقار** ينفد الدنان ، وتؤنس الغزلان. . .»[6] .

وقول ابن خفاجة :

عُقاراً نماها الكَرْم فهى كريمة ولم تَزْنِ بابن المُزْنِ فهى حَصَانُ[7]

القَرْقَف : القَرْقَف كجعفر ؛ والقُرْقُوف مثل عصفور اسم الخمر التى يرعد عنها صاحبها من إدمانه إياها ؛ قال ابن الأعرابى : سميت بذلك لأنها ترعد

(١) تاج العروس ٣/٤١٧ .

(٢) نفح الطيب ٢/ ٢٤ .

(٣) نفح الطيب ٢/ ١٦٩ .

(٤) نفح الطيب ٢/ ١٧٢ .

(٥) نفح الطيب ٢/ ١٧٦ .

(٦) نفح الطيب ٤/ ٢١٨ .

(٧) نفح الطيب ٤/ ٣٠٨ وانظر اللفظة فى : ٤/ ٣٩١ - ٥/ ٢٩٨ - ٦/ ٥٥ ، ٢٤٥ - ٨/ ٣٥٦ - ٩/ ١٩٤ ، ٣١٢ ، ٣٦٢ - ١٠/ ١٢ .

شاربها ، وقال الليث : **القَرْقَف** توصف به الخمر ، ويوصف به الماء البارد ذو الصفاء[1] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى تعنى الخمر ، وذلك فى قول أبى عيسى ابن لَبُّون :

قم يانديم أدِرْ على **القَرْقَفا** أو ماترى زَهْر الرياض مفوَّفا[2]

وقول أبى بكر البَلَنْسى لأبى بحر صفوان بن إدريس :

خليلى أبا بحر وما **قرقف** اللمى باعذب من قولى خليلى أبا بحر[3]

وقول أبى عبد الله محمد بن يحيى الباهلى :

وصلت صحيفتكم فهزَّت معطفى فكأنما أهدت كؤوس **القَرْقف**[4]

وقول آخر :

وأحور وسنان الجفون كأنما سقى لحظه من ريق فيه **بقرقف**[5]

القهوة : فى التاج . القهوة الخمر ، يقال سميت بذلك لأنها تقهى شاربها عن الطعام ؛ أى تذهب بشهوته أو تشبعه ، والقهوة الشبعة المحكمة ، وبه سميت الخمر قهوة لأنها تشبع شاربها ، وقيل : القهوة : الخمر الرقيق الصافى الأبيض[6] .

وقد وردت هذه اللفظة عند الأندلسيين تعنى الخمر ، وقد وصفت بلفظة :

---

(١) تاج العروس ٦/ ٢٢٠ .

(٢) نفح الطيب ٢/ ٢٠٢ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ٢٣٩ .

(٤) نفح الطيب ٧/ ٢٣٦ .

(٥) نفح الطيب ٩/ ٢٠٢ .

(٦) تاج العروس ١٠/ ٣٠٨ ، كتاب التنوير ٥٨ .

الصهباء للدلالة على صفرة لونها الضارب إلى البياض والحمرة ، ووصفت كذلك بلفظة : ذهبية للدلالة على أن لونها لون الذهب ، وذلك فى قول المقرى : فطرب ، وشرب ، واستزاده ، فغنّاه :

من لى على رغم الحسود **بقهوة** بِكْرٍ ربيبة حانة عذراء[1]

وقوله على لسان صاعد البغدادى :

وقهوة من فم الإبريق صافيةٍ كدَمْعِ مفجوعة بالإلف معبارِ[2]

وقوله على لسان ابن الزقاق الأندلسى :

وقام **بالقهوة** الصهباء ذو هَيَفٍ يكاد معطفه ينقدُّ بالنظر[3]

وقوله على لسان أبى عبد الله الجذامى :

لا تؤاخذ من أخل به **قهوة** فى الكاس كالقبس[4]

وقوله على لسان الرمادى الشاعر :

نور وغيث مُسْبَل **وقهوة** تَسَلْسَلُ[5]

وقوله على لسان أبى جعفر ابن عبد الملك بن سعيد :

وكأن الكأس **والقهوة** دينار ودرهم[6]

الكأس : فى التاج : الكأس الإناء يشرب فيه أو مادام الشراب فيه ، فإذا

---

(١) نفح الطيب ١/ ١٩٠ .
(٢) نفح الطيب ٤/ ٨٣ .
(٣) نفح الطيب ٤/ ٢٥٨ .
(٤) نفح الطيب ٥/ ١٦ .
(٥) نفح الطيب ٥/ ٢٢١ .
(٦) نفح الطيب ٥/ ٣٣٤ وانظر هذه اللفظة أيضاً فى : ٢/ ٢٨٤ - ٥/ ٢٨٣ ، ٢٩٧ - ٦/ ٣٩ - ٧/ ٤٧ - ٨/ ٢٥٩ - ٩/ ٢٧٦ ، ٢٩٠ .

لم يكن فيه فهو قدح ، وهى مؤنثة ، قال الله تعالى : بكأس من معين بيضاء»، وهى مهموزة ، وقد يترك الهمز تخفيفاً ؛ وقيل : الكأس الشراب بعينه ، وفى المحكم : الكأس الخمر نفسها ؛ اسم لها ومنه قوله تعالى : «يطاف عليهم بكأس من معين» ؛ والجمع أكؤس وكؤوس وكاسات وكئاس[1] .

وقد استعمل الأندلسيون لفظة الكأس للدلالة على الخمر ؛ وذلك فى قول المعتمد بن عباد فى جارية اسمها وداد :

اشرب **الكأس** فى وداد ودادك وتأنَّس بذكرها فى انفرادك
قمر غاب عن جفونك مرآ ه وسكناه فى سواد فؤادك[2]

الكُمَيت : فى التاج : الكُمَيت : الخمر لما فيها من سواد وحمرة ، وقال أبو حنيفة : هو اسم لها كالعلم ؛ يريد أنه قد غلب عليها غلبة الاسم العلم ؛ وإن كان فى أصله صفة[3] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى تعنى الخمر ؛ وذلك فى قول أحد الشعراء الأندلسيين :

وحمراءَ فى الكأس مشمولةٍ تحثُّ على العود فى كل بيتْ
فلا غرو أن جاءنى سابقاً إلى الأنس خِلٌّ يحثُّ **الكميتْ**[4]

المُدامة : فى التاج : والمُدام والمُدامة بالضم الخمر ؛ سميت بذلك لأنه ليس شراب يستطاع إدامة شربه إلا هى ؛ وفى الأساس لأن شربها يدام أياماً

---

(١) تاج العروس ٢٢٨/٤ - ٢٢٩ .

(٢) نفح الطيب ٢٣٩/٥ ، أيضاً : ٣٥٥/٨ .

(٣) تاج العروس ٥٧٩/١ .

(٤) نفح الطيب ٣٣٧/٩ .

دون سائر الأشربة ، وفى المحكم : وقيل لإدامتها فى الدَّنِّ زماناً حتى سكنت بعدما فارت ؛ وقيل سميت مدامة إذا كانت لا تنزف من كثرتها ، وقيل لعتقها(١)

وقد وردت هذه اللفظة بالتاء وبدونها : المدامة والمدام عند المقرى فى مائة وستين موضعاً ؛ وهذا يدل على كثرة استعمال الأندلسيين لهذه اللفظة للدلالة على الخمر ، ومن هذه المواضع قول المقرى :

أين العساكر والدساكر والندامى فى **المُدامهْ**(٢)

وقوله أيضاً :

وكأن الأوقات فيك كؤوس دائرات وأُنسهنَّ مُدام(٣)

وقول ابن اللبَّانة فى ميورقة :

بلدٌ أعارته الحمامةُ طوقها وكساه حُلَّة ريشه الطاووس
فكأنما الأنهار فيه مدامةٌ وكأن ساحات الديار كؤوس(٤)

وقول ابن سَفَر المرينى فى الأندلس :

وأين يُعدل عن أرضٍ تحُضُّ بها على **المدامة** أمواه وأفياء(٥)

المِسْطار : فى التاج : المُسطار بالضم وبالكسر : الخمرة الصارعة لشاربها، من سطره إذا صرعه ؛ أو الحامضة ، وقال الجوهرى : ضرب من الشراب فيه حموضة ، وزاد فى التهذيب : لغة رومية ، أو هى الخمر الحديثة

---

(١) تاج العروس ٨/٢٩٦ .
(٢) نفح الطيب ١/١٤ .
(٣) نفح الطيب ١/٢٣ .
(٤) نفح الطيب ١/١٦٦ .
(٥) نفح الطيب ١/٢٠٢ ، ٢١٧ .

المتغيرة الطعم والريح ، وقال الأزهرى : هى التى اعتصرت من أبكار العنب حديثاً بلغة أهل الشام[1] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى تعنى عند الأندلسيين : عصير العنب أول ما يعصر ، وقد أخذ عليهم الزبيدى وابن هشام اللخمى ذلك ؛ بقولهما : ويقولون لعصير العنب أول ما يعصر مُصطار ، وإنما المصطار الخمر التى فيها حموضة ، وقيل التى فيها حلاوة[2] .

وهذا تعسف من الزبيدى وابن هشام اللخمى ، لأن الأزهرى يؤكد أن المسطار هى التى اعتصرت من أبكار العنب حديثاً بلغة أهل الشام ؛ واستعمال الأندلسيين لهذه اللفظة بهذا المعنى لا خطأ فيه .

ويؤكد الدكتور عبد العزيز الأهوانى أن هذه اللفظة عربت فى المشرق بدليل ورودها عند الجواليقى فى المعرَّب ، وعنه انتقلت إلى الأندلس ، وهى فى اللاتينية mustum والصفة منها mustarius ، وفى الأسبانية mosto ، ومعناها فى اللاتينية والأسبانية يتفق مع المعنى العامى : عصير العنب أول ما يعصر[3]

وموضع ورود هذه اللفظة عند المقرى جاء فى قصيدة لابن خميس :

خذها على تنغيم **مِسْطَارِها** بين خوابيها وبين الدَّوالْ
فى روضةٍ باكِرُ وَسْمِيِّها أخملَ دارينَ وانسى أوالْ[4]

المُعتقة : فى التاج : والمُعتَّقة كمعظَّمة : الخمر القديمة التى عتقت زماناً ؛ قال الأعشى :

---

(١) تاج العروس ٣/٢٦٧ .

(٢) ألفاظ مغربية ٦١ ، لحن العامة للزبيدى ١٧٤ .

(٣) ألفاظ مغربية ٦١ . وانظر الكلمة فى المعرب للجواليقى ص ٣٢١ حيث قال «والمصطار : من صفات الخمر . يقال هو رومى معرب ، وهو بالسين أيضاً» ط الثالثة ، دار الكتب ، ١٩٩٥ م .

(٤) نفح الطيب ٧/٣٣٨ .

وسبيئة مما تعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

وعتقت الخمر : حسنت وقدمت[1]

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى فى شعر ساقه لابن اللبانة فى قوله :

شربنا وجفنُ الليل يغسل كحله بماء صباحٍ ، والنسيمُ رقيـــقُ
معتقةٌ كالتِّبر ، أمــا نجارهــا فضخمٌ ، وأما جسمها فرقيق[2]

النبيذ : النبيذ فعيل بمعنى المنبوذ ، وهو الملقى ، ومنه ما نبذ من عصير ونحوه كتمر وزبيب وحنطة وشعير وعسل ، وهو مجاز ، وفى النهاية : يقال نبذت التمر والعنب إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً ، فصُرف من مفعول إلى فعيل ، وصار اسماً للشراب كأنه من الجوامد بدليل جمعه على أنبذة ككثيب وأكثبة ، وفى المحكم : وإنما سُمىَّ نبيذاً لأن الذى يتخذه يأخذ تمراً أو زبيباً فينبذه فى وعاء أو سقاء ويصب عليه الماء ، ويتركه حتى يفور فيصير مسكراً ، والنبذ : الطرح ، ويقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ كما يقال للنبيذ خمر[3] .

وقد وردت لفظة النبيذ عند المقرى تعنى الخمر المتخذة من عصير العنب ، وذلك فى قوله : «وكان خليعاً ماجناً مشتهراً **بالنبيذ**..»[4] وقوله عن زرياب: «فبدأ بمجالسته على **النبيذ** وسماع غنائه...»[5] . وقوله : «وبعثوا صاحباً لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ، ونظام مسرتهم ، ليأتيهم **بنبيذ** يُذهبون الهم بذهبه فى لجين زجاجه ... ، واتفق أن فارساً من الجند ركض فرسه

(١) تاج العروس ٧/ ٤-٥ .
(٢) نفح الطيب ٦/ ٢٠ .
(٣) تاج العروس ٢/ ٥٨٠ ، كتاب الأشربة لابن قتيبة ، تحقيق ممدوح حسن محمد ، ص ٢٨ .
(٤) نفح الطيب ١/ ١٩٠ .
(٥) نفح الطيب ٤/ ١١٠ .

فصدمه. . . . وكسر قُمْعُل النبيذ الذى كان معه»[1] . وقوله : «من فكّر فى كرب الخُمار تنغصت عنده لذة النبيذ. . . .»[2] .

وقول ابن حزم :

أما النبيذ فإنى لست أشربه ولا أجيئك إلا كسوتى بيدى[3]

النجيع : فى التاج : النجيع من الدم ما كان إلى السواد ، أو هو الدم مطلقاً ، وقال يعقوب : هو الدم المصبوب ، أو دم الجوف خاصة ، وقيل هو الطرى منه ، وقيل النجيع ما نجع فى البدن من طعام أو شراب ، وتنجّع تلطّخ بالدم[4] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى تعنى الخمر ؛ لأنها تشبه الدم فى حمرتها ؛ وذلك فى قول أبى الحسن الحرالى :

أجريح كاساتٍ أرقْتَ نجيعها طَلَبُ الترات يعزُّ منه خلاص
لا تسفكنَّ دم الزجاجة بعدها إن الجروح كما علمت قصاص[5]

النطف : فى التاج : النُّطْفة بالضم الماء الصافى قل أو كثر ، ومما يستدرك عليه : قول ذى الرمة : تقطع ماء المزن فى نطف الخمر . فجعل الخمر نطفة وأما النابغة الجعدى فجعل الناطف الخمر فى قوله :

وبات فريق ينضحون كأنما سقوا ناطفاً من أذرعات مفلفلا[6]

وقد وردت لفظة النُّطَف جمعاً للنطفة عند المقرى تعنى الخمر ؛ لأنها

(١) نفح الطيب ٤/ ٢١٣ .
(٢) نفح الطيب ٩/ ٤٢ .
(٣) نفح الطيب ٩/ ٢٧٦ .
(٤) تاج العروس ٥/ ٥١٩ .
(٥) نفح الطيب ٧/ ٢٤٧ .
(٦) تاج العروس ٦/ ٢٥٧-٢٥٨ .

صافية نقية كماء المطر الصافى ؛ وذلك فى قول لسان الدين بن الخطيب :

نُطَف من النور المبين تجسَّمت حتى حسبنا أنهنَّ هُداكا

يحلو على الأفواه طيب مذاقها لولا التجسد خلتهن ثناكا[1]

ثانيا : ألفاظ المشروبات الأخرى

مجموع ألفاظ هذا المبحث اثنا عشر لفظاً ، وهى الجلاب ، الحسا ، السكنجبين ، الشهد ، الضَّرَب ، العسل ، قصب السكر ، الألبان ، الماذى ، المَذَح ، المنّ ، النقل .

الجلاب : فى التاج : الجُلاَّب كزُنَّار : ماء الورد ، وهو فارسى معرب ، كُلاب وكِلاب ، وفى حديث عائشة رضي الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا اغتسل من الجنابة دعا بشئ مثلا الجلاب فأخذه بكفه فبدأ بشق رأسه الأيمن ثم الأيسر، قال أبو منصور : أراد بالجلاب ماء الورد[2] .

وعند أدى شير : الجُلاَب والجُلاَّب : العسل أو السكر عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد ، مركب من : گل أى ورد ، ومن آب أى ماء[3] . ويعرِّف القمرى الجُلاَّب بقوله : هو حلاوات تنحل فى الماء ، مثل العسل والسكر والترنجبين ونحوها[4] .

وأما عن طريقة تصنيع الجلاب عند الأندلسيين فهى : يؤخذ من ماء الورد العطر خمسة أرطال ، ومن السكر رطلان ونصف ، ويطبخ الجميع حتى يأتى فى قوام الأشربة[5] .

---

(١) نفح الطيب ١٠/٧٧ .

(٢) تاج العروس ١/١٨٦ .

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة ٤٢ .

(٤) كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية ٦٠ .

(٥) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٢٣٩ .

وقد ورد ذكر الجلاب على ألسنة الشعراء الأندلسيين ، ومنه قول أحدهم :

أيام تبدى ثمرات بـدا في جنباتهن الأرطـاب
كأنه فى العين ياقوت أو كأنه فى الفم جُلّاب[1]

الحسا : الحساء : طبيخ يتخذ من دقيق وماء ودهن ، وقد يحلى ، ويكون رقيقاً يحسى ، وحسا الطائر الماء حسواً وهو كالشرب للإنسان ، وحسا زيد المرق حسواً : إذا شربه شيئاً بعد شئ[2] .

وقد ورد لفظ الحِسا مقصوراً عند المقرى يعنى : ضرباً من الشراب يتخذ من ماء ودقيق وكسور باردة ، وهو ما يعرف بالمرق أو فى العامية المصرية بالشوربة ، وهو عند الأندلسيين شراب الفقراء والزاهدين ، ويتضح ذلك من خلال قول المقرى : ثم قام وجاء من بيت آخر فى داره بصحفة فيها حسا من دقيق وكسور باردة ، فجعل يفت فيها ، ثم أشار إلىَّ أن أشرب ، فشربت ، ثم شرب إلى أن أتينا على آخرها[3] .

السكنجبين : معرب عن : سركا أنكبين الفارسى ، وسركا تعنى الخل ، وأنكبين تعنى العسل ، وعُرِّب فحذفت راؤه ، ويطلق اسم السكنجبين أصلا على الشراب المركَّب منهما : الخل والعسل ، ثم سميت الأشربة بهذا الاسم ، وإن كان فيها مكان العسل سكر ، ومكان الخل رب بعض الفواكه[4] .

ولقد كان الأندلسيون يعرفون نوعين من السكنجبين : نوعاً يتخذ من الخل

---

(١) نفح الطيب ٦/ ٣٠٤ .

(٢) تاج العروس ١٠/٨٨ .

(٣) نفح الطيب ٤/ ٣٠٣ .

(٤) تذكرة داود ١/ ١٩٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، مفاتيح العلوم ١٠٤ ، الألفاظ الفارسية المعربة ٩٢

الحاذق والسكر ويطبخ الجميع حتى يأتى فى قوام الأشربة ، ونوعاً يتخذ من الخل الحاذق والعسل والسكر ويطبخ الجميع حتى يأتى فى قوام الأشربة[١] .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرى فى معرض حديثه عن الفقيه الرحال أبى إسحاق إبراهيم ابن الحاج النميرى الذى كتب للرئيس أبى القاسم بن رضوان يطلب منه شراب **سكنجبين** ؛ وقصد التصحيف بقوله : أحسن زان بيتك ، نجيب تُسرُّ به مرضى ، تصحيفه أحب شراب **سكنجبين** شربه بُرْء مرضى[٢] .

الشَّهْد : فى التاج : الشهد : عسل النحل مادام لم يعصر من شمعه ، واحدته شهدة ، والجمع شهاد[٣] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المقرى مفردة : الشهد، ومجموعة : الشهاد ، وموصوفة بـ : المشور أى الذى جمع من خليته ، وشهى اللعس ، واللعس : الطعم واللون ؛ وذلك فى قول ابن حمديس الصقلى يصف بركة :

فكأنها ظنَّتْ حلاوة مائها **شهداً** فذاقته بكل لسان[٤]

وقول ابن الجيَّاب فى الأندلس :

أبى الله إلا أن تكون اليد العليا لأندلس من غير شرطٍ ولاثُنيا
وإن هى عضتها بنوب نوائب فصيَّرت **الشهد المشور** بها شرْيا[٥] .

وقول لسان الدين بن الخطيب فى وصف أديب : «يقيم أود المعانى ، ويشيد مصانع اللفظ محكمة المبانى ، ويكسو حلل الإحسان جسوم المثالث

(١) كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ٢٤٤ .
(٢) نفح الطيب ٨/ ٧٦ .
(٣) تاج العروس ٢/ ٣٩٢ .
(٤) نفح الطيب ٢/ ٣٩ .
(٥) نفح الطيب ٨/ ٣ .

والمثانى ، إلى نادرة لمثلها يُشار ، ومحاضرة يجنى بها **الشهد** ويُشار . .»[1] .

وقول المقرى فى تهذيب النفس :

فلا تطعموها السم فى **الشهد** ضَلَّة　　فذلك سُمّ لا يداوى بدرياق[2]

وقول لسان الدين بن الخطيب فى إحدى موشحاته :

بَدْرُ تمٌ أهيفٌ حلو اللمى　　ريقه **شهد** شهى اللعَّس[3]

وقال أحدهم فى المدح :

شيم حلوة الجنى وسجايا　　شهد المجدُ أنها **كالشِّهاد**[4]

وقول المقرى عن السيدة صبح : «وموَّهت ذلك كله المُرِّى **والشهد** وغيره من الأصباغ المتخذة بقصر الخلاقة . . .»[5]

الضَّرَب : فى التاج : الضَّرَب بالتحريك : العسل الأبيض الغليظ ؛ الطائفة منه : ضَرَبَة[6] .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرى يحمل الدلالة السابقة : عسل النحل الأبيض الغليظ ، وذلك فى قوله عن القصر الزاهى الذى بناه المعتمد بن عباد : «وكان القصر الزاهى من أجمل المواضع لديه وأبهاها ، وأحبها إليه وأشهاها ؛ لإطلاله على النهر ، وإشرافه على القصر ، وجماله فى العيون ، واشتماله بالزهر والزيتون ، وكان له به من الطرب ، والعيش المزرَّى حلاوة **الضَّرَب** ، مالم يكن بحلب لبنى حمدان . .»[7] .

---

(1) نفح الطيب ٨/٣٥٦ .
(2) نفح الطيب ٩/ ١٤ .
(3) نفح الطيب ٩/ ٢٩٠ .
(4) نفح الطيب ٩/ ٣٤٣ .
(5) نفح الطيب ٤/ ٨٠ .
(6) تاج العروس ١/٣٤٨ .
(7) نفح الطيب ٦/ ٥٠ .

العَسَل : فى التاج : العسل : لعاب النحل تخرجه من أفواهها ، وذلك أنها تأكل من الأزهار والأوراق ما يملأ بطونها ، ثم إنه تعالى يقلب تلك الأجسام فى داخل أبدانها عسلاً ، ثم تلقيه من أفواهها ، وقيل يخرج من ادبارها ، يذكر ويؤنث ، والتأنيث أكثر ، والجمع اعسال وعُسُل وعسول وعُسْلان. . . »[1] .

ومن أشهر المدن الأندلسية المعروفة بعسل النحل الجيد مدينتا أشبونة وإشبيلية ، ويحدثنا المقرى عن أشبونة بقوله : وفيها **عسلٌ** يُجعل فى كيس كَتَّان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر. . . »[2] .

وأما جبل الشرف بإشبيلية فعسله لا نظير له ، يقول عنه المقرى : «وعسل الشرف يبقى حيناً لا يترمَّل ولا يتبدَّل. . . »[3] .

ولقد كان عسل النحل موجوداً بكثرة فى خروق الصخور بمدينة جليقية أيضاً؛ ويحدثنا المقرى عن حصار المسلمين لبلاى النصرانى ومن معه بقوله : «ولم يبق بأرض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح إلا الصخرة التى لاذ بها هذا العلج ومات أصحابه جوعاً إلى أن بقى فى مقدار ثلاثين رجلاً ونحو عشر نسوة، ومالهم عيش إلا من عسل النحل فى جباح معهم فى خروق الصخرة. . . »[4] .

وفى موضع آخر يقول عنهم : «ولاطعام لهم إلا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به. . . »[5] .

وقيل لأديب : بم عرفت ربك ؟ قال : بنحلة فى أحد طرفيها عسل ، وفى الآخر لسع ، ،والعسل مقلوب اللسع. . . »[6] .

(1) تاج العروس ٨/ ١٦-١٧ . (2) نفح الطيب ١/ ١٥٢ .

(3) نفح الطيب ١/ ٢٠٠ . (4) نفح الطيب ٤/ ١٣ .

(5) نفح الطيب ٦/ ١٢٠ .

(6) نفح الطيب ٧/ ٢٦٩ وانظر اللفظة فى ٩/ ٢٧٢ - ١٠/ ٢٤٠ .

قصب السكر : نبات ساقه أنابيب وكعوب ، يستخرج من عصيره السكر ، ولذا ارتبط اسمه بالسكر .

ولقد كان قصب السكر فى الأندلس كثيراً وخاصة فى سواحلها ويسمونه القصب الحلو[1] . ويحدثنا المقرى عن ذلك بقوله : «وأما الثمار وأصناف الفواكه ، فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ، ويوجد فى سواحلها قصب السكر والموز المعدومان فى الأقاليم الباردة. . .»[2] .

ومن المدن الأندلسية التى اشتهرت بقصب السكر : إشبيلية التى يقول عنها المقرى : حازت البر والبحر والزرع والضرع ، وكثرة الثمار من كل جنس **وقصب السكر**. . .»[3] .

ويحكى الحميدى عن أبى عمرو الكلبى قال : كنت جالساً عند أبى عمرو أحمد بن عبد ربه فأتاه من بعض إخوانه طبق فيه أنابيب من **قصب السكر** ومعه كتاب ، فأجابه ابن عبد ربه بديهة :

بعثت ياسيدى حلو الأنابيب   عذب المذاق مخضرّ الجلابيب
كأنما العسل الماذى شيب به   أو ريق محبوبة جاءت لمحبوب[4]

وكان قصب السكر يتنقل به على الشراب مع أنواع الفواكه والرياحين ، ويؤكد ذلك قول أحدهم : وهل تكتمل لذة دون إحضار خدود الورد ، وعيون النرجس ، وأصداغ الآس ، ونهود السفرجل وقدود قصب السكر ، ومباسم قلوب الجوز ، وسُرر التفاح ، ورضُاب ابنة العنب ؟[5] .

---

(١) كتاب الفلاحة لابن العوام ١/ ٣٩٠ .

(٢) نفح الطيب ١/١٩٣ .   (٣) نفح الطيب ١/٢٠١ .

(٤) جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس للحميدى ، الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ٤٠ .

(٥) نفح الطيب ٥/ ٤٤ .

الألبان : اللبن سائل أبيض يكون فى إناث الآدميين والحيوان ، وهو اسم جنس جمعى ، واحدته لبنة ، وهى الطائفة القليلة من اللبن ، والجمع ألبان ، ولبن كل شجرة : ماؤها . واللَّبون التى نزل اللبن فى ضرعها ، واللبين المغذَّى باللبن من الحيوانات[1] .

ولقد كان اللبن يدخل فى كثير من المطبوخات الأندلسية كالأرز المطبوخ باللبن ، وكان الأندلسيون يخلطونه بكثير من الأطعمة الأخرى ، كما اتخذوا منه الجبن التى تدخل فى عمل حلوى المجبنات ؛ ويقول أحد الشعراء الأندلسيين فى اللبن :

وأين **الألبان** لأكوابها   فى بُرَم الأرز تسكابُ[2]

وقد ورد ذكر اللبن عند المقرى فى مواضع عديدة منها : «فذهب وجاءنى بكسرة خبز وقدح لبن. . .»[3] ، ومنها : «. . . ولكن لا يستعمل «قرم» إلا مع اللحم ، ولا يستعمل «عام» إلا مع **اللبن** ، فتقول ، عمتُ إلى **اللبن**. . .»[4] ومنها قول لسان الدين بن الخطيب :

نادت بمفخرى الأقلام معلنةً   هذى المفاخر لاقَعْبانِ من **لبن**[5]

الماذىُّ : فى التاج : المَاذِىُّ بتشديد الياء : العسل الأبيض الرقيق ؛ والماذيَّة بهاء : الخمرة السلسة السهلة فى الحلق شبهت بالعسل[6] .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرى فى بيتين ساقهما لابن قزمان ؛ وهما :

---

(١) المعجم الوسيط ٢/٨٤٧ .

(٢) نفح الطيب ٦/٣٠٣ .

(٣) نفح الطيب ١٠/١٢٩ .

(٤) نفح الطيب ١٠/١٣٣ .

(٥) نفح الطيب ٩/٢٧٥ .

(٦) تاج العروس ١٠/٣٣٩ .

ركبوا السيول من الخيول وركَّبوا   فوق العوالى السُّمْر زُرْق نطاف
وتجللوا الغــدران مِنْ ماذيِّهم   مرتجةً إلا على الأكتـــاف[1]

المذْخ : فى التاج : المَذَخ محـركة ، وضبطه فى اللسـان بإسكان الذال : عسل يـظهر فى جـلنار المظ ، وهـو رمان البر عـن أبى حنيـفة ، ويكثـر حتى يتمذخه الـناس أى يتمصصونه ، وقال الـدينورى : يمتصه الإنسان حـتى يمتلئ وتجرسه النحل[2] .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرى على لسان أحد الشعراء فى قوله :

وآليت أن لا أرتوى غير مائهـا   ولو حلّ لى فى غيره المن **والمذْخ**
وأن لا أحط الدهر إلا بعقرها   ولو بوأتنى دار إمرتها بَلْـــــخ[3]

المَنّ : فى التاج : المنُّ كل طَلٍّ ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلاً ويـجف جفاف الصمغ كالترنجبين ، وفـى المحكم : طل ينزل من السماء ، وقـيل هو شبه العسـل كان ينزل على بـنى إسرائيل ، وأهل الـتفسير يقولون إن المن شئ كان يسقط على الشجر حلو يُشرب[4] .

وقد وردت هذه اللـفظة مفردة : المنّ ، ومـجموعة : الأمنان عـند المقرى تعنى : ما ينعقد عسلاً من الطل ؛ وذلك فى قول أحد الشعراء :

وآليت ألا أرتوى غير مائها   ولو حلّ لى فى غيره **المنُّ** والمَذَخُ[5]

وقد ينـزل هذا المن علـى شجرة البـلوط فى الأندلـس ، ومنه نوع يـسمى

(1) نفح الطيب ٥/ ١٧٣ .
(2) تاج العروس ٢/ ٢٧٨ .
(3) نفح الطيب ٧/ ٣٤٨ .
(4) تاج العروس ٩/ ٣٥٠ .
(5) نفح الطيب ٧/ ٣٤٨ .

القِرْمِز ، يخرج منه اللون الأحمر الذى لا تفوقه حمرة يصبغ به ، وفى ذلك يقول المقرى : «وفى الأندلس من الأمنان التى تنزل من السماء القرمز الذى ينزل على شجرة البلوط فيجمعه الناس زمن الشعرى ويصبغون به ، فيخرج منه اللون الأحمر الذى لا تفوقه حمرة...»[١] .

النقل : فى التاج : والنُّقْل بفتح النون وضمها وتسكين القاف : ما يعبث به الشارب على شرابه ، وقيل الذى يُتنقل به على الشراب ، وقيل أكل الفواكه ونحوها ، وأصله الأكل مع الشراب ، والجمع أنقال[٢] .

وقد ورد هذا اللفظ عند المقرى يحمل مدلول : ما يتنقل به على الشراب من خمر وفاكهة وحلوى وغيرها، وذلك فى قول محمد بن الحسن المذحجى :

الا قد هجرنا الهَجْر واتصل الوصل ... وبانت ليالى البين واجتمع الشمل
فسُعدى نديمى ، والمدادة ريقها ... ووجنتها روضى ، وتقبيلها **النُّقْل**[٣]

وقول أبى الحسن الجيَّاب :

سقانى ، فأهلاً بالمُدامة والساقى ... سُلافاً بها قام السرور على ساق
ولا **نقل** إلا من بدائع حكمةٍ ... ولا كأس إلا من سطور وأوراق[٤]

وقول لسان الدين بن الخطيب فى هدايا وصلت إليه :

وبها من **النقل** الشهى مُذكِّرٌ ... عهداً تولَّى ليته يتوالى[٥]

---

(١) نفح الطيب ١/١٩٥ .
(٢) تاج العروس ٨/ ١٤٣ .
(٣) نفح الطيب ٦/ ٨٢ .
(٤) نفح الطيب ٨/٢٥٩ .
(٥) نفح الطيب ١٠/٧٨ .

خاتمـــة

وبعد أن طوّفنـا مع المقرى فى كتابه نفـح الطيب واستخرجنـا ألفاظ المأكل والمشرب عند الأندلسيين ، وأجرينا عليـها الدراسة اللغوية آن لنا أن نرصد أهم نتائج هذا الـبحث ، ويمكن أن نفرع هذه النـتائج إلى خمسة تفريـعات : نتائج كمية ، ونتـائج صرفية ، ونتائج دلالية ، ونـتائج معجمية ، ونتـائج عن تنوع مستوى الاستعمال اللغوى بين المشارقة والأندلسيين .

أولاً : النتائج الكمية :

١ - مجموع ألفاظ المأكل والمشرب التى خضعت للدراسة مائة وثمانية وأربعون لفـظاً ، منهـا مائة لفـظ للمأكـل ، وثمانيـة وأربعون لفـظاً للمـشرب ، وتوزعت ألفاظ المأكل عـلى ستة مباحث : كان عدد ألفاظ الفـاكهة سبعة وثلاثين لفظاً ، وكان عدد ألفاظ الحـلوى عشرة ألفاظ ، وكان عدد ألفاظ الطبيخ ثلاثة عشر لفظاً ، وعدد ألفاظ اللحوم والسمك والبيض أحد عشر لفظـاً ، وعدد ألفاظ البقـول والتوابل ثمانـية ألفاظ ، وعدد ألفـاظ الخبز والإدام ثمانية عشر لفظاً . أما ألفاظ المـشرب فقد توزعت على مبحثين : ستة وثلاثون لفظاً للخمر ، واثنا عشر لفظاً للمشروبات الأخرى .

٢ - كان عدد ألفـاظ الفاكهة هو أكبر أعـداد البحث ، وعددها سبـعة وثلاثون لفظاً ، يليه ألفاظ الخمر ، وعددها ستة وثلاثون لفظاً .

٣ - كان أقل المجالات الدلاليـة فى عدد الألفاظ : البقول والتوابـل ؛ للبقول خمسة ألفاظ وللتوابل ثلاثة ألفاظ .

٤ - كان أكثـر الألفاظ شيـوعاً فى نفـح الطيب هـو لفظ الخمـر الذى ورد فى مائـتين وثلاثين مـوضعاً ، يـليه لفـظ الراح الذى ورد فـى مائة وتسـعين موضعاً ، يليهما لفظ المدامة الذى ورد فى مائة وستين موضعاً .

ثانياً : نتائج صرفية :

١ - هناك ألفاظ ممدودة فى العربية تحولت فى الاستعمال الأندلسى إلى مقصورة من باب التخفيف ، وهذا جائز عند النحاة أن يحول الممدود إلى مقصور ؛ أما تحويل المقصور إلى ممدود فممتنع عند البصريين وجائز عند الكوفيين ؛ والألفاظ التى تحولت من ممدود إلى مقصور فى الاستعمال الأندلسى هى : الباقلاً ، وأصلها الباقلاء ، والحِسا ، وأصلها الحِساء ، والصهبا ، وأصلها الصهباء ، والطّلا ، وأصلها الطّلاء والغِنا وأصلها الغناء .

٢ - هناك ألفاظ جمعت عند الأندلسيين على غير قياسى لغوى ؛ مثل التفاح الذى جمع عندهم على التفافيح ، والعدس الذى جمع أيضاً عندهم على عدوس، وكلاهما اسم جنس جمعى واحدته : تفاحة ، عدسة . وكذلك جمعت لفظة المَنّ على أمنان؛ وهو مما اعتبره الصرفيون شذوذاً أن تجمع فَعْل على أفعال ؛ وقد أقره مجمع اللغة العربية لكثرة ما ورد منه فى الاستعمال. وكذلك لفظة الكسكسو التى وردت بالنون : الكسكسون، وكأنها جمعت جمع مذكر سالماً بالواو والنون، وهى لفظة بربرية استعملت فى المغرب والأندلس ، ثم انتقلت إلى مصر ، وكذلك لفظة الزيتون.التى جمعت عندهم على الزياتين، وهى اسم جنس واحدته زيتونة وكذلك لفظة الراح التى تعنى الخمر جمعت عندهم جمع مؤنث سالماً : الراحات، وهو جمع لم يرد عند العرب .

٣ - هناك ألفاظ معرّبة عوملت عندهم معاملة اسم الجنس الذى يأتى واحده بتاء التأنيث نحو : الأترج ، والإجاص ، والأرز ، والإسفنج ، والباذنجان ، والبندق ، والجوز ، والسفرجل ، والسكر ، والسنبوسق ، والفستق ، والليمون ، والموز ، والنارنج .

٤ - هناك ألفاظ مهموزة فى العربية خفف همزها فى الاستعمال الأندلسى ؛ مثل : ثريد الراس بدلاً من الرأس ، والكاس بدلاً من الكأس .

٥ - هناك ألفاظ ابتدعها الأندلسيون ؛ وجاءت فى صورة الجمع ، ولم يستعملوا لها مفرداً ؛ مثل التفايا التى أطلقوها على نوع من الطبيخ ولا مفرد لها فى استعمالهم .

٦ - هناك ألفاظ صُحِّفت واستعملها الأندلسيون مصحَّفة ؛ مثل لفظة اللظافة بالظاء ، وأصلها فى العربية اللطافة بالطاء .

٧ - رخَّم الأندلسيون بعض الألفاظ فى الاستعمال فى غير مواضع الترخيم ؛ كترخيم الليمون وتسميته بالليم بحذف الواو والنون .

٨ - هناك مشتقات وردت فى الاستعمال الأندلسى من الأسماء الجامدة ؛ مثل المُزبَّب من الزبيب ، والمثلَّث من ثلاثة ، والمثوَّمات من الثوم ، والمجبَّنات من الجبن ، والمزعفر من الزعفران .

٩ - هناك أعلام تحولت فى الاستعمال الأندلسى إلى أسماء عن طريق زيادة ياء النسب على هذه الأعلام ، فالسَّفرى صار اسماً لضرب من الرمان بعدما كان علماً على شخص يُدْعى سَفَر بن عبيد الكلابى ، وكذلك المُرْسى صار اسماً أيضاً لضرب من الرمان بعدما كان علماً على مدينة مُرْسية ، والأندرانى صار اسماً لضرب من الملح بعدما كان علماً على مدينة أندران . وكذلك المهلبى أو المهلبية صار اسماً لضرب من الحلوى بعدما كان علماً على المهلَّب بن أبى صفرة ، والبرمكى صار اسماً لضرب من الطبيخ بعدما كان علماً على البرامكة .

ثالثاً : نتائج دلالية :

١ - هناك ألفاظ استعملها الأندلسيون بدلالات تختلف عما كانت عليه فى الاستعمال المشرقى ، مثل لفظة الإسفنج التى صارت تعنى عندهم ضرباً من الحلوى ، ولفظة التثليث التى صارت تعنى عندهم شرب ثلاث كؤوس من الخمر ، وكذلك لفظة التسديس التى صارت تعنى عندهم شرب ست كؤوس من الخمر ، ولفظة التقلية التى صارت تعنى عندهم ضرباً من الطبيخ ، ولفظة حب الملوك التى صارت تعنى عندهم القراصيا البعلبكى ، وآذان القاضى التى صارت تعنى عندهم ضرباً من الحلوى ، ولفظتا الصبوح والغبوق بمعنى شرب الخمر فى الصباح والمساء ، والعصير التى تعنى عندهم التين الرطب ، وعيون البقر التى تعنى عندهم الإجَّاص ، والفَتْل التى تعنى عندهم اللحم المفروم ، والمثلث التى تعنى عندهم نوعاً من الطبيخ ، والمثومات التى تعنى عندهم أيضاً نوعاً من الطبيخ ، والمجبنات التى تعنى عندهم نوعاً من الحلوى ، والسفرى التى صارت تعنى عندهم نوعاً من الرمان ، والمرسى كذلك ، والمزوار التى صارت تعنى عندهم نوعاً من الطبيخ .

٢ - هناك ألفاظ تعممت دلالتها عندهم كلفظة الحوت التى صارت تعنى فى الاستعمال الأندلسى السمك بكل أنواعه ؛ وهناك ألفاظ تخصصت دلالتها عندهم كلفظة الشراب التى صارت تعنى فى الاستعمال الأندلسى الخمر ، وكذلك لفظة الأنس التى صارت تعنى عندهم الخمر ، ولفظة الرحيق التى صارت تعنى أيضاً الخمر .

٣ - هناك ألفاظ استعملت عند الأندلسيين استعمالاً مجازياً مثل : ابنة العنب للخمر ، وابنة العنقود للخمر ، والإسفنج لنوع من الحلوى يشبه الإسفنج ، وبنت الجبن لنوع من الحلوى يُحشى بالجبن ، وبنت الدنان

للخمر ، وبــنت الدوالى للخمر ، وبــنت العنب وبنت الكــروم للخمر ، والتبـر للخمر لأنهـا تشبهه ، ودم الزق لــلخمر لأنهـا تشبهه ، والصــهباء للخمر ، وعيون الــبقر للإجاص لأنه يشبهها ، والنجـيع الذى بمعنى الدم للخمر لأنها تشبهه.

رابعاً : نتائج معجمية :

١ - هناك ألفاظ اســتعملها الأندلسيون وكــانت معروفة عند العرب مــنذ العصر الجاهــلى ، وهى مــوجودة فــى المعاجــم العربــية ، مــثل : الإسفــنط ، والخندريس ، والراح ، والزرجون ، والشمول ، والقهوة . وهناك ألفاظ عُرِّبت عن الفارسية وشاعت فى العصرين الأموى والعباسى ، واستعملها الأندلســيون عن طريق الـعلماء المشارقــة الذين رحلوا إلــى الأندلس ، أو علماء الأنــدلس الذين رحلوا إلى المــشرق ، أو الرحالة الأندلســيين الذين نقلــوا ألفاظاً كــثيرة إلى الأندلــس ، وهذه الألفاظ مــثل : الســنبوسك ، والدرمك ، والسميذ ، والسكنجبين . . . الخ .

٢ - هناك ألفاظ استعملها الأندلسيون ولا وجــود لها فى المعاجم العربية بما فيها المخصص لابــن سيده ، وهذه الألــفاظ هى : الأرْزة بمعــنى الكمــثرى ، وحب الملــوك (فاكهة) ، والــزنبوع (فاكــهة) ، والسفــرى(رمان) ، وشاه بلوط (فاكــهة) ، والشمام (فاكهــة) ، والعصير (التين الــرطب) ، وعيون البقر (الإجاص) ، والليم (الليمون) ، والمرسى (رمان) ، وآذان القاضى (حلــوى) ، والإسفنــج (حلوى) ، والبــلياط (حــلوى) ، وبنــت الجبن (حلوى) ، والزلابية (حلوى) ، والمجبنات (حلوى) ، والتفايا (طبيخ) ، والتقلــية (طبيخ) ، والزبــزن (طبيخ) ، والكســكسو (طبيخ) ، والمــثلث (طبــيخ) ، والمثــومات (طبــيخ) ، والمــزوار (طبيــخ) ، والفَتْل (اللــحم

المفروم) ، والقنلية (لحوم) ، والبقسماط (خبز جاف) ، والسكنجبين (شراب) . ولذا تأتى أهمية هذه الألفاظ فى استكمال المعاجم العربية .

٣ - من خلال استقراء ألفاظ المأكل والمشرب التى استعملها الأندلسيون وجدت أن هناك ألفاظاً منها مازالت موجودة فى الأسبانية حتى اليوم ؛ وهى : الباذنجان ، الجلجلان ، الزيت ، الزيتون ، الزبيب ، السفرى ، الفستق ، الأرز ، السكر ، المجبنات ، الرُّبُّ ، الفانيد .

٤ - لم يعتمد هذا البحث على المعاجم العربية وحدها فى الوصول إلى معانى الألفاظ وإنما استعان بكتب الفلاحة فى الأندلس ، ومفردات ابن البيطار ، وكتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ، بالإضافة إلى كتب لحن العامة ؛ للزبيدى وابن هشام ، اللخمى وغيرهما ، وهذا يؤكد أن النصوص الأندلسية تعطى مادة لغوية أكبر وأكثر فى التعرف على مفردات اللغة .

خامسا : نتائج عن تنوع مستوى الاستعمال اللغوى بين المشارقة والاندلسيين :

كشف هذا البحث عن تنوع الاستعمال اللغوى عند المشارقة والأندلسيين ؛ ويمكن أن نوزع هذا التنوع على مستويين :

المستوى الاول :

استعمال لفظين مختلفين لمسمًّى واحد ؛ فما يسمى عند المشارقة الإجاص يسمى عند الأندلسيين عيون البقر ، وما يسمى عند المشارقة الكمثرى يسمى عند الأندلسيين الأرزة ، وما يسمى عند المشارقة القراصيا يسمى عند الأندلسيين والمغاربة حب الملوك ، وما يسمى الخوخ عند المشارقة يسمى التفاح الفارسى عند الأندلسيين ، والأترج عند المشارقة يسمى الزنبوع عند الأندلسيين ،

والقسطل عند المشارقة يسمى الشاه بلوط عند الأندلسيين ، والعناب عند المشارقة يسمى الزفيزف عند الأندلسيين ، والليمون عند المشارقة يسمى الليم عند الأندلسيين ، والفول عند المشارقة هو الباقلاء عند الأندلسيين ، وبقلة الهليون عند المشارقة هي الإسفراج عند الأندلسيين .

المستوى الثاني :

استعمال مدلولين مختلفين للفظ واحد ؛ فالباكورة عند المشارقة تعني أول ما يطيب من الثمار ، ولكنها عند الأندلسيين تعني ما بكر من التين فقط ، والعصير تعني عند المشارقة كل ما عصر من الثمار ، ولكنها تعني عند الأندلسيين التين الرطب ، والفَتْل تعني عند المشارقة كل ما يُفتل ، ولكنها تعني عند الأندلسيين اللحم المفروم ، والحوت يُطلق عند المشارقة على نوع معين من الحيوانات المائية ، ولكنه يطلق عند الأندلسيين على السمك بكل أنواعه ، فكل سمك عندهم يسمى حوتاً ، والأنس عند المشارقة تعني كل ما يؤنس ؛ وهي ضد الوحشة ، ولكنها تعني عند الأندلسيين الخمر .

كشاف معجمى بالألفاظ الواردة فى البحث

المصادر والمراجع

١ - ابن بصّال :

- كتاب الفلاحة ، نشر وترجمة وتعليق خوسى بيكروسا ومحمد عزيمان ، معهد مولاى الحسن ، تطوان ، ١٩٥٥ م .

٢ - ابن البيطار :

- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٩١ هـ .

٣ - ابن سيده :

- المخصص ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، د. ت .

٤ - ابن العوام :

- كتاب الفلاحة ، نشر وترجمة خوسيه أنتوينو بانكيرى ، مدريد ، ١٨٠٢ م .

٥ - ابن قتيبة :

- كتاب الأشربة ، تحقيق ممدوح حسن محمد ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة . ١٩٩٥ م .

٦ - ابن منظور :

- لسان العرب ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

٧ - أدى شير :

- كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، دار العرب للبستانى ، ط الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٧-١٩٨٨ م .

٨ - الأنطاكى : داود

- تذكرة أولى الألباب ، المكتبة الثقافية ، بيروت ،د.ت .

٩ - الأهوانى : د. عبد العزيز

- الزجل فى الأندلس ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة . ١٩٥٧م .
- ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة ، فصلة عن مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الثالث ، مطبعة مصر ، ١٩٥٧ م .

١٠- البستانى :

- محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٣ م .

١١- البغدادى : محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب

- كتاب الطبيخ ، صححه وعلق حواشيه ونشره د. داود الجلبى ، مطبعة أم الربيعين ، الموصل ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م .

١٢- التازى : د. عبد الهادى

- ألفاظ الحضارة فى الوثائق العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء الرابع والستون ، مايو ١٩٨٩ م .

١٣- الحميدى :

- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

١٤- الخفاجى : الشهاب

- كتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى ، مطبعة السعادة ، ط الأولى ، ١٣٢٥ هـ .

١٥- الخوارزمى :
- مفاتيح العلوم ، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الثانية، القاهرة ، ١٩٨١م .

١٦- دوزى : رينهارت
- تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية وعلّق عليه د. محمد سليم النعيمى (أصدر منه خمسة أجزاء وتوفى دون إكماله) ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ م .

١٧- الذهبى : شمس الدين أبو بكر
- سير أعلام النبلاء ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الأولى ١٩٨٣ م .

١٨- الزُّبيدى : أبو بكر محمد بن الحسن
- لحن العامة ، تحقيق د. عبد العزيز مطر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م .

١٩- الزَّبيدى : مُرتضى
- تاج العروس من جواهر القاموس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت (نسخة مصورة عن المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ) .

٢٠- القمرى : أبو منصور الحسن بن نوح
- كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية ، تحقيق وفاء تقى الدين ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ،د.ت .

٢١- لسان الدين بن الخطيب :
- الإحاطة فى أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجى بالقاهرة والشركة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧٣-١٩٧٧م

٢٢- مجمع اللغة العربية :
- المعجم الكبير ، (جـ١ ، ١٩٧٠م) ، (جـ٢ ، ١٩٨٢ م) ، (جـ٣ ، ١٩٩٢م) .
- المعجم الوسيط ، ط الثالثة ، ١٩٨٥ م .

٢٣- مجهول المؤلف :
- كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس ، نشر وتحقيق امبروزيو أويثى ميراندا ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلدان التاسع والعاشر ، ١٩٦١-١٩٦٢م.

٢٤- مجهول المؤلف :
- الجمانة فى إزالة الرطانة ، بحث فى لغة التخاطب فى الأندلس وتونس ، لبعض علماء القرن التاسع الهجرى ، مهد له وحققه وعلق عليه حسن حسنى عبد الوهاب ، طبع بمطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .

٢٥- محمد حسن آل ياسين :
- معجم النبات والزراعة ، مطبوعات المجمع العلمى العراقى ، بغداد، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٢٦- محمود على مكى :
- مدخل إلى الألفاظ الأسبانية المأخوذة من العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء الرابع والستون ، مايو ١٩٨٩ م .

٢٧- المقَّرى : أحمد بن محمد المقرى التلمسانى
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق د. مريم قاسم طويل ود. يوسف على طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٩٩٥ م .

٢٨- الملك المظفر : يوسف بن عمر بن على بن رسول الغسانى
- المعتمد فى الأدوية المفردة ، صححه وفهرسه مصطفى السقا ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ، ط الثالثة ١٩٨٣ م .

٢٩- يحيى بن عمر :
- كتاب أحكام السوق ، نشر وتحقيق د. محمود على مكى ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الرابع ١٩٥٦م.

المراجع الأجنبية

1 - Dozy : R.
- Supplement Aux Dictionnaires Arabes, Beyrouth 1991, 2 tomes.

2 - Steingass. F :
- Comprehensive Persian - English Dicitionary, Beirut 1975.

الاعتراض فى شعر شوقى
دراسة نحوية ودلالية

بقلم الدكتور
محمد عبد الوهاب شحاته

مقدمة :

ليس الاعتراض ترفاً لغوياً ، أو زينة تركيبية ، ولكنه مما يتوخاه المرء لتوضيح المعنى وتقويته وتسديده . وهو يشيع فى اللغات البشرية ، ويبدو فى بعضها أكثر وروداً واستخداماً . وفى العربية يكثر وقوعه فى القرآن الكريم ، وفصيح الشعر ، ومنثور الكلام .

لم يحظ الاعتراض باهتمام النحاة واللغويين فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ؛ إذ لم يرد ذكر له فى مؤلفاتهم ، باستثناء ما ورد فى المعاجم اللغوية من معان لمفهوم الاعتراض . وفى القرن الرابع أخذ الحديث عنه يظهر عند كل من : أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) ، وابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، وابن فارس (٣٩٥ هـ) . وفى القرن السادس كان الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) يتعرض له فى ثنايا تفسيره وتوضيحه لآيات القرآن الكريم فى « الكشاف » ، ولكنه لم يذكر شيئاً فى كتاب « المفصل » ، وقد صنع ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) صنيع الزمخشرى فى « شرح المفصل » مع تفاوت بسيط بينهما .

وفى القرن الثـامن الهجرى أشار أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) إلى هذا الموضوع بشئ من الإيجاز ، ولكن العناية به تبدو واضحة جلية عند ابن هشام (ت ٧٦٢ هـ) فى كتابه « مغنى اللبيب » ورسالـته الصغيرة الموسومة بـ « اعتراض الشرط علـى الشـرط » . لقد كـان ابن هـشام مِنْ ألمـع مَنْ تناولـوا هذا المـوضوع ، فدراسته لـه - فى إطار حديثه عن الجمـلة - متأنية مستوعبة شاملة لكـثير من قضاياه ؛ ولذا فهو يأتـى فى طليعة من أفردوا له حديثاً مستـقلاً مسهباً ، وعلى هدى ابن هشام سار النحاة من بعده مع الاختلاف .

وهذا الـبحث مـوضوعه « الاعـتراض فى شـعر شوقـى - دراسة نحـوية ودلالية » ، والهدف منـه إيضاح مفهوم الاعتراض فى ضوء دلالـة المصطلحات البلاغية الأخرى ، مثل : الالتفات ، الاستطراد ، الحشو ، ثم بيان أهميته فى التركيب النحوى ، وأغراضه ، ومواضعـه ، والمعانى التى يأتى لها ، والحروف التـى يقترن بـها ، ومكونـات الجملة المـعترضة ، والـفرق بينـها وبين الجمـلة الحالية، ونحو ذلك من القضايا التى تتناولها الصفحات التالية .

وكان الاتجاه لدراسته فى شعر شوقى راجـعاً إلى أن الاستخدام التركيبى لا يتضح بـصورة بارزة إلا من خلال النصـوص اللغوية شعـراً أو نثراً ، وإلى أن شعر شوقى يمثل أبرز شعراء العربية فـى العصر الحديث ، كما يتضح من خلال هذه الدراسة الدور الذى يـكون للفرد فى إبراز مظاهرهـا ، والأثر الذى يتركه مستخدم اللغة ، لاسيما إذا كان شاعراً مثل شوقى ، فكثرة شعره ، وغزارته ، ووفرة مادته تعطى كمـاً أكبر من العناصر التركيبية التى تـساعد على إبراز ظاهرة ما. وأخيراً فهذه الدراسة تمثل جانباً من جوانب الدراسة اللغوية لشعر شوقى ، إذ تتصل بجانب من جوانب التركيب ، والمـعنى السياقى لنمط من أنماط الجمل المستخدمة .

وقد جاء هذا البحث - بعد المقدمة - موزعاً على النحو التالى :

أولاً : تمهيد .

ثانيــاً : الاعتراض بين اللغة والاصطلاح .

ثالثــاً : بين الاعتراض ومصطلحات أخرى .

رابعــاً : الاعتراض فى مفهوم الدرس اللغوى المعاصر .

خامساً : دوافع الاعتراض .

سادساً : الاعتراض بين جهود اللغويين والنحويين .

سابعــاً : من قضايا الاعتراض .

ثامنــاً : الاعتراض فى شعر شوقى .

١ - العناصر التركيبية للاعتراض (الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية ، الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية) .

٢ - المعانى السياقية للاعتراض .

تاسعاً : خاتمة البحث .

عاشراً : المصادر والمراجع .

هذا ، وقد اعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع التى يوضحها الجزء الخاص بها . وقبل الختام لا أنسى الشكر والتقدير لأستاذى العظيم أ.د. محمود حجازي ، جزاء ما قدم ولا يزال يقدم ، والأمل فى الله كبير أنْ أكون قد وفقت فيما قدمت ، وإنْ كنت خلاف ذلك ، فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أولاً : تمهيد :

لا يخفى على أحد من الباحثين أن المعنى الذى يحسن السكوت عليه ، وتتم به الفائدة ، قوامه الجملة التامة ، أو التركيب النحوى المكتملة عناصره ؛ فالفائدة لاتتحقق من وحدات صوتية مجردة ، ولامن وحدات صرفية مجردة ، بل لابد من وضعها فى إطار جمل معينة، إذ الجملة - أيا كان النظام اللغوى - تعبر عن مجموع المكونات المباشرة، وتوضح العلاقات بينها فى نظام موحَّد ، و « تنتظم كل جملة نوعين من العناصر المتميزة ؛ أولاً : التعبير عن عدد ما من المعانى التى تمثل أفكاراً . وثانياً : الإشارة إلى بعض العلاقات التى بين هذه الأفكار »[1] . هذه العناصر التى تنتظم كل جملة لا يمكن تصورها إلا إذا تشكلت الجملة للتعبير عن المعنى المقصود ، مما جعل لغوياً مثل ڤندريس يصدق فى قوله : « نحن نفكر بجمل »[2] ؛ لكون كل جملة تمر فى تكوينها بمرحلتين أساسيتين غير ظاهرتين ، هما : مرحلة تحليلية ، وهى التى يميز بها العقل بين عدد معين من العناصر التى تنشأ بها علاقة معينة . ومرحلة تركيبية أو تأليفية ، وهى التى يركب بها العقل أو ينظم أو يؤلف بين هذه العناصر المختلفة لتكوين ما يسمى فى الاصطلاح بالصورة اللفظية ، هذا الفعل العقلى يتم فى الدماغ تبعاً لعوائد لا يشعر بها المتكلم نفسه[3] .

على كل حال فالباحث لا ينطلق فى دراسة الجمل من الوحدات الصوتية مباشرة ، بل عليه أن ينطلق من مستوى أعلى من مستوى الوحدة الصوتية ، إنه مستوى الوحدة الصرفية والوظيفة أو الدور الذى تقوم به فى الجملة - وفى هذا يكون التدرج منسجماً ومستويات الدرس اللغوى ، وهى : الصوتى ،

---

(١) ڤندريس - اللغة ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق ١٠٤ وانظر د. محمود السعران - علم اللغة ٢٢٥ بتصرف يسير جداً .

والصرفى ، والنحوى ، والدلالى[1] . ومن هنا « كانت أهم صفة للنحو الحديث أنه يستبعد كثيراً من الأصول الفلسفية القديمة ، ويستبعد التقديرات العقلية وما إليها من تأويل وتفسير . إن أهم ما يوصف به النحو الحديث أنه شكلى أو صورى ، إنه ينظر إلى الصور اللفظية المختلفة التى تعرضها لغة من اللغات ، ثم يصنفها على أسس معينة ، ثم يصف العلاقات الناشئة بين الكلمات فى الجملة وصفاً موضوعياً ، وهو وظيفى لأنه يقوم كذلك على إدراك الدور الذى تقوم به الكلمة فى الجملة »[2] .

فالنحو موصول بالوصف اللغوى لمختلف الجمل المفيدة ، « والنظام النحوى يعتمد على أقل قدر من الكلام المفيد يتم بعنصرى الإسناد ، وماسواهما زيادة ، قد تكون ضرورية ، وقد يستغنى عنها ، ولكنها لا تبنى جملة فى الأساس من حيث هى »[3] فالجملة المفيدة هى المحور الأساسى للبحث النحوى .

إن دراسة الجملة تمثل جوهر النحو ومدار اهتمامه الأول ، إذ يركز على المعنى والشكل والوظيفة والعلاقات القائمة بين مكوناتها والتناسق بينها ، فالبنية النحوية للجملة أساس الوصف والتحليل . وليست الجملة النحوية نوعاً واحداً أو نمطاً ثابتاً ، بل تتنوع مبانيها ومعانيها، وهى تنقسم إلى قسمين كبيرين ، هما : الجملة الخبرية ، والجملة الإنشائية ، وتحت كل منهما تعريفات متعددة ، وتصنفات غير قليلة . وقد حظيت الجملة باهتمام كثير من الباحثين

---

(١) هذا التقسيم أشيع التقسيمات ، فهناك من يقسمه إلى ستة مستويات ، وهى : الصوتى ، والصرفى ، والنحوى ، والجملى التركيبى ، المعجمى والأسلوبى (انظر : ريمون طحان - الألسنية العربية ١/ ٢١ - ٢٥ - دار الكتاب اللبنانى . بيروت - ط ١ / ١٩٧٢م) .

(٢) د. محمود السعران - علم اللغة ٢٢٥ .

(٣) د. محمد حماسة عبد اللطيف - فى بناء الجملة العربية ٤٦ .

والدارسين قديماً وحديثاً فى مجال اللغة والنحو والبلاغة[1] .

ولما كانت الجملة النحوية ليست نوعاً واحداً ، وكان لكل جملة خصائص تركيبية ذات دلالة معينة ، وعلاقات نحوية محددة ، وغرض تسعى من أجله ، نقول لما كان الأمر كذلك ، رايت أن أدرس نمطاً من أنماط الجملة النحوية ، هو نمط الجملة الاعتراضية ، أو الاعتراض فى الجملة العربية ، بهدف الكشف عن مفهوم الاعتراض والمصطلحات التى تدل عليه ، وبيان أحوال الجملة المعترِضة والمعترَضة ، وإيضاح الأسباب الداعية إليه ، وتفسير أهميته فى التركيب النحوى ، ومحاولة الإجابة على عدد من التساؤلات ، مثل : هل الاعتراض

(١) نذكر من القدماء على سبيل المثال : سيبويه - الكتاب ١/ ١٢ ، ٣٢ ، ابن جنى - اللمع ٤٦-٤٧ ، الخصائص ١/ ١٧ ، ١٩ ، ٢٩ ، ١١٠ ، الرمانى - الحدود فى النحو ٤٠ - بغداد ١٩٦٩ ضمن ثلاث رسائل فى النحو ، عبد القاهر الجرجانى - المقتصد ١/ ١٠٥ ، دلائل الإعجاز ١٨٢ ، ابن يعيش - شرح المفصل ١/ ١٨ ، العكبرى - مسائل خلافية فى النحو ٣١ ، ٤١ ، الاستراباذى - شرح الكافية ١/ ٣١ - ٣٣ ، ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٧٤ - ٤٥٠ . كما نذكر من المحدثين على سبيل المثال أيضاً :

- د. فخر الدين قباوة - إعراب الجمل وأشباه الجمل ط ٤/ ١٩٨٣ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- د. عبد الفتاح الدجنى - الجملة النحوية نشأة وتطوراً وإعراباً - ط ١/ ١٩٧٨ - مكتبة الفلاح - الكويت .
- د. محمد حماسه عبد اللطيف - فى بناء الجملة العربية - ط ١/ ١٩٨٢ - دار القلم - الكويت .
- د. محمد إبراهيم عباده - الجملة العربية - دراسة لغوية ونحوية ١٩٨٤ - منشأة المعارف - اسكندرية .
- د. نعمة رحيم العزاوى - الجملة العربية فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة - بحث منشور فى كتاب المورد - دراسات فى اللغة من ١٤٥-١٧٨ - ط ١ / ١٩٨٦ - دار الشئون الثقافية - بغداد .
- المنصف عاشور - بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية - ١٩٩١ - تونس .
- د. إبراهيم الشمسان - الجملة الشرطية عند النحاة العرب - ط ١ / ١٩٨١ - القاهرة .
- د. زين كامل الخويسكى - الجملة الفعلية - استفهامية ومؤكدة فى شعر المتنبى ١٩٨٦ - مؤسسة شباب الجامعة - اسكندرية .

إعاقة للجملة المعترَضة ؟ هل يمثل عبثاً زائداً على التركيب المعترَض ؟ هل هناك ضرورة ملحة تدفع مستخدم الاعتراض إلى الاتيان به ، والبحث عنه ، والتدبر فى أمره ، لهدف يقتضيه التركيب المعترَض ؟ هذا ما تأمل السطور التالية فى الوفاء به .

ثانياً : الاعتراض فى اللغة والاصطلاح

الاعتراض والاعتراضية مصطلحان يطلقان على الجملة المعترضة[1] . والاعتراض مصدر الفعل اعترض ، وهو مطاوع العرض ، يقال : عرضته فاعترض . وقد ورد المصطلح بدلالات متعددة ، منها : القصد ، يقال : اعترضت عرض فلان ، أى : نحوت نحوه ، ومنها : التكلف وإدخال المرء نفسه فى الأمر أو الشئ ، يقال : اعترضت عرض هذا الشئ ، أى أدخلت نفسى فيه ، ومنها أيضاً عدم الاستقامة للقائد أو الشغب ، قال الطرماح :

وأرانى المليك رشدى وقد كُنْتُ أخا عُنْجُهِيَّةٍ واعتراض[2]

أى احتجاج وشغب وعدم الطاعة .

قال ابن دريد : يقال : جعلت فلانا عرضة لكذا وكذا ، أى نصبته له ، قال الأزهرى : وهذا قريب مما قاله النحويون ؛ لأنه إذا نُصِب فقد صار معترضاً مانعاً[3] .

والاعتراض عند النحويين هو ما يقع بين « شيئين متطالبين »[4] ، أو هو

---

(١) التهانوى - كشاف اصطلاحات الفنون ٤/ ٩٨٩ .

(٢) البيت فى ديوانه ق ١٨ ، ب ٣ ، ص ٢٦٣ .

(٣) راجع : العين ١/ ٢٧٢ ، تهذب اللغة ١/ ٤٥٤ ، الصحاح ٣/ ١٠٨٤ ، مقاييس اللغة ٤/ ٢٧١ ، اللسان ٩/ ١٣٨ ، ١٣٩ ؛ تاج عروس ٥/ ٤٨ - ٥٠ .

(٤) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٩٩ .

« الاتيان بجملة ، أو أكثر لا محل لها من الإعراب فى أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى »[1] . وهو إفادة عن الجملة المعترضة[2] ، وهى التى عرفها النحاة بأنها الجملة التى تعترض بين شيئين متلازمين أو متطالبين . . . وتكون ذات علاقة معنوية بالكلام الذى اعترضت بين جزأيه ، وليست معمولة لشئ منه[3] . وقد يكون المتلازمان أو المتطالبان مفردين ، أو مفرداً وجملة ، أو جملتين متلازمتين أى متطالبتين ، سواء اقترنت واو الاعتراض بهن أم لا ، ولكن ليسا فى حكم الشئ الواحد ، كالصلة والموصول[4] .

وقد بدا الاهتمام بمصطلح الاعتراض مع الاهتمام بإعراب الجمل وأشباه الجمل ، إذ تعرض القدماء لموضوع الاعتراض ، وكان تعرضهم له مرتبطاً بتفسير آية من القرآن ، أو شرح بيت من الشعر ، أو توضيح جملة من النثر . ولم نجد حديثاً مفصلاً فى هذا الموضوع إلا فى القرن الرابع الهجرى عند اللغوى العظيم ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ)، إذ خصص باباً من أبواب خصائصه للحديث عن الاعتراض[5] ، وحديثه لا يختلف كثيراً عن استاذه أبى على الفارسى، الذى أشار إلى أن « الاعتراض قد شاع فى كلام العرب ، واتسع وكثر »[6] . وقد ورد المصطلح غير مرة فى مؤلفه الموسوم بالمسائل الحلبيات[7] .

وظل المصطلح يتردد بين الحين والآخر بعد ابن جنى ، فلم يخصص له

(١) التهانوى - كشاف اصطلاحات الفنون ٤/ ٩٨٩ .

(٢) يجوز أن يقال المعترضة بفتح الراء على أنه من باب الحذف والإيصال ، أى المعترض بها ، فحذف الجار وصار الضمير المجرور مرفوعاً ، واوصل به على أنه مفعوله اقائم مقام الفعل ، ويكسر الراء مسنداً إلى الضمير امستتر فيه إسناداً مجارياً (راجع : حاشة الشنوانى ٩٣ ، وحاشية العطار ١٢٠٥) .

(٣) السيوطى - همع الهوامع ١/ ٢٤٧ .

(٤) راجع : حاشية الشنوانى ٩٣ ، وحاشية العطار ١٢٥ .

(٥) الخصائص ١/ ٣٣٥ - ٣٤١ .

(٦) أبو على الفارسى - المسائل الحلبيات ١٤٣ .

(٧) راجع المسائل الحلبيات ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .

فصل أو موضوع بعينه ، ولم يتعرض له النحاة تعرضاً مباشراً ، لكونهم يركزون على إعراب الكلمة ، وليس إعراب الجمل . لقد كان الحديث عن هذا المصطلح يأتى فى ثنايا الحديث عن شئ آخر ، فالزمخشرى مثلاً لم يذكره فى المفصل وهو مؤلَّف نحوى خالص ، ولكن يذكره فى الكشاف خلال توضيحه أو تفسيره لآيات من الذكر الحكيم[1] ، والأمر لا يختلف كثيراً عن ابن يعيش شارح المفصل ، إذ ورد مصطلح « الجمل المعترضة » وروداً ثانوياً فى حديثه عن اجتماع الشرط والقسم إذ أوضح أن القسم إذا تقدمه شئ ثم أتى بعده المجازاة ، اعتمدت المجازاة على ذلك الشئ ، وألغى القسم . . . ولو قدمت القسم لزمك أن تأتى باللام ، فتقول : والله لزيد منطلق فبان الفرق أن القسم إذا وقع حشواً ألغى ، وكان من قبيل الجمل المعترضة فى الكلام[2] . فهو ينظر إلى الاعتراض على أنه من قبيل الحشو فى التراكيب .

ويعد ابن هشام (ت ٧٦٢ هـ) أول من ركز على دراسة الجملة بشتى حدودها واختلاف أنماطها وأحوالها تركيزاً ملحوظاً فى كتابه المعروف بـ « مغنى اللبيب » . لقد كان فى مجال حديثه عن الاعتراض رائداً لامعاً حين خص هذا الموضوع بعناية فائقة ، فجمع مادة ضخمة ، فتحت باباً لم يكن له مثيل ، وقد تبعه النحويون الذين جاءوا بعده ، فأخذوا يدورون فى فلكه ، فيفسرون عباراته ، ويلحقون بها الشواهد والأمثلة دون إضافة أو تغيير على ما أسس وشاد ، ولذلك بقى هذا الموضوع مرتبطاً بالقرن الثامن وصنيع ابن هشام[4] .

(١) الزمخشرى - الكشاف راجع مثلاً ١/٢٦ ، ٤٤ ، ٨٨ ، ٩٦ .

(٢) ابن يعيش - شرح المفصل ٧/٥٨ .

(٣) راجع مغنى اللبيب ٢/٣٨٦ - ٣٩٩ .

(٤) د. فخر الدين قباوة - إعراب الجمل وأشباه الجمل ٥ ، ٦ بتصرف يسير .

ثالثاً : بين الاعتراض ومصطلحات أخرى :

ثمة عدد من المصطلحات التى ظنها البعض مرادفة لمصطلح الاعتراض ، أو مماثلة له ، وهذه المصطلحات تتمثل فى : الإطناب ، الالتفات ، الحشو ، وللوقوف على ذلك فسوف نوضحها كما يلى :

لقد أشار التهانوى إلى أن الاعتراض عند أهل المعانى نوع من إطناب الزيادة كما أشار إلى أن قدامة سماه التفاتا[1] ، وفى هذا ما يوحى بمصطلحات البلاغيين عن الزيادة التى تدخل بين ما اتصل من الكلام ، فهل حقاً لا فرق بين هذه المصطلحات ومصطلح الاعتراض ؟

إن معرفة أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه المصطلحات ومصطلح الاعتراض تتطلب الوقوف على كل مصطلح لبيان دلالته . **فالإطناب** « المبالغة فى مدح أو ذم والإكثار فيه . . . يقال : أطنب فى الكلام إذا أبعد وبالغ فيه باجتهاد »[2] . وقد عرفه السكاكى (ت ٦١٧ هـ) بقوله : « الإطناب : هو أداء المقصود من الكلام بأكثر من عبارة ، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل . . . وهو إكثار وتطويل »[3] .

فإذا كان السكاكى ينظر إلى الإطناب على أنه إكثار وتطويل ، وخلافه الإيجاز ، فإن أبا هلال العسكرى (ت ٣٩٥هـ) يرى من قبله أن لكل موضعه الذى يقع فيه ، ولا يجوز أن يستعمل أحدهما مكان الآخر[4] ، ثم هو يرى أن الإطناب ليس التطويل ، وأنه وجه من وجوه البلاغة ، يقول : « فالإطناب بلاغة ، والتطويل عِيٌّ ، لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب ،

(١) التهانوى - كشاف إصطلاحات الفنون ٤/ ٩٨٩ .

(٢) اللسان - طنب ٨/ ٢٠٦ .

(٣) السكاكى - مفتاح العلوم ٢٧٧ بتصرف يسير .

(٤) أبو هلال العسكرى - الصناعتين ١٩٠ .

والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نَزِهٍ يحتوى على زيادة فائدة »[1] .

وتتعدد التعريفات على ألسنة البلاغيين ، فتتقارب حيناً وتتباعد حيناً ، ولكن يبقى المضمون هو الرابطة بين هذه التعريفات ، وربما يكون تعريف ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) هو أوجز التعريفات وأيسرها ، إذ يعرفه بقوله : « الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة »[2] .

ويأتى الإطناب على أنواع مختلفة لأغراض منها : الإيضاح بعد الإبهام ، أو ذكر الخاص بعد العام ، أو ذكر العام بعد الخاص ، والتكرير لداع : إما الإنذار أو التحسر أو طول الفصل ، أو الإيغال ، أو الاحتراس ، أو التذييل ، أو الاعتراض . ويكون للإطناب بالاعتراض أغراض بلاغية ، هى : التنزيه ، والدعاء ، والتنبيه على أمر من الأمور ، والتحسر ، والتعظيم ، وهو فى رأى الدارسين لعلوم البلاغة أن الإطناب باعتراض . . . لا يكمل المعنى فحسب ، وإنما يضفى عليه ظلالاً من الحسن[3] .

وأما **الالتفات** فهو من الفنون ذات الأثر الفعال فى تنويع أنماط الكلام تلبية لبواعث نفسية شتى . وقد عرفه ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) تعريفاً اصطلاحياً لأول مرة ، بقوله : « وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى المخاطبة ، وما يشبه ذلك ، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر »[4] .

وأشار إليه قدامة (٣٣٧ هـ) بقوله : « ومن نعوت المعانى الالتفات - وبعض الناس يسميه الاستدراك - وهو أن يكون الشاعر آخذاً فى معنى ،

---

(١) أبو هلال العسكرى - الصناعتين ١٩١ .

(٢) ابن الأثير - المثل السائر ٢١٧ .

(٣) راجع بالتفصيل د. عبد العزيز عتيق - علم المعانى ١٨٦ - ٢٠١ .

(٤) ابن المعتز - البديع ٥٨ .

فكأنه يعترضه إما شكٌ فيه أو ظنّ بأن راداً يرد عليه قوله ، أو سائلاً يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً على ما قدمه ، فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه »[1] . وقد جعل وصف قدامة للالتفات بأنه من نعوت المعانى ، وبعض الباحثين يذهب إلى أن هذا وجه جديد من وجوه الالتفات ، وأن قدامة أقدم من أشار إليه »[2] .

ولعل الدافع إلى الإكثار من الالتفات عند العرب هو تفعيل نشاط المستمع ، وحثه على الإصغاء والاهتمام بما يقال ، قال السكاكى : « اعلم أن هذا النوع : أعنى نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه ولا هذا القدر ، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعانى ، والعرب يستكثرون منه ، ويرون أن الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب كان أدخل فى القبول عند السامع ، وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه ، وهم أحرياء بذلك »[3] .

وأما **الحشو** فقد أشار صاحب اللسان إليه بقوله : « والحشو من الكلام : الفضل الذى لا يعتمد عليه »[4] . وعرفه قدامة فى مجال الشعر بقوله : « هو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن »[5] ، فقوله : « لإقامة الوزن » ، يعنى أنها ضرورة شعرية ، ومن ينظر فيما أورده من أمثلة شعرية فيها حشو ، ثم يتأمل ما يعقب به عقب كل بيت يجده يقول : « حشو لا

---

(١) قدامة بن جعفر - نقد الشعر ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) جليل رشيد فالح - فن الالتفات فى مباحث البلاغيين ٧٣ بحث منشور بمجلة آداب المستنصرية بالجامعة المستنصرية - العراق - ص ٦٣ إلى ص ٩٧ - العدد التاسع ١٩٨٤ .

(٣) السكاكى - مفتاح العلوم ٩٥ .

(٤) اللسان - حشو ٣/ ٩٤ .

(٥) قدامة بن جعفر - نقد الشعر ٢١٨ .

منفعة فيه »[1] . وفى هـذا ما يوحى بمـخالفتـه للاعتـراض من حيث الـغرض والتركيب فلا ضرورة لوقوعه بين متلازمين .

وأورد التهانـوى أن الحشو عند النحاة هـو الصلة التى بها يـتم الموصول ، وتسمـى صلة أو حشواً . . . وعـند أهل المعانـى هو أن يكون اللـفظ زائداً لا لفائدة ، بحيث يكون الزائد متعيناً ، فبقيد « لا لفائدة » خرج الإطناب ، وبقيد التعيين خرج التطويل ، الذى سماه البـعض بالحشو القبيح . . . وهو قسمان : مفسد للمعني ، وغير مفسد للمعنى يأتى للتوكيد[2] .

والآن بعد إيضاح كل مصطلح من هذه المصطلحات على هذه الحال ، هل يمكن القول بمرادفة مصطلح الاعتـراض لأى مصطلح منها ؟ وهل يمكن إطلاق اى مصطلح من هذه المصطلحات علي ما يمكن تسميته بالاعتراض ؟ أليس هناك خلاف من الناحية التركيبية والدلالية بين الاعتراض وكل من الإطناب والالتفات والحشو ؟

بداية نقول إنه إذا كان ثمة شبه بين هـذه المصطلحات الأربعة من حيث إنَّ كلاً منها فـى نهاية الأمر زيادة داخلة عـلى التركيب الأصلى ، فـلا يعنى ذلك المماثلة أو المشابهة أو حتى المرادفة ، وذلك لما يلى :

أ - الاعتراض مقيد من حيث حدوثه بوقوعه بين شيئين متلازمين أو متطالبين ، سواء أكان هذان المتـلازمان مفردين (فعل + فاعل) أو (فـاعل + مفعول) أو (مبتدأ + خـبر) أم مفرداً وجملة ، أم جـملتين متلازمـتين ، وفى هذا دلالة على أن الاعتراض لا حرية له فى موقعه .

ب - قد يكون الاعتراض غرضاً من أغـراض الإطناب ، وليس الإطناب غرضاً

---

(١) قدامة بن جعفر - نقد الشعر ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) التهانوى - كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ٣٩٥ - ٣٩٦ بتصرف .

من أغراض الاعتراض ، مما يوحى بخصوصية الاعتراض ، وعدم تداخله مع غيره من المصطلحات فى المعنى اللغوى والاصطلاحى .

جـ - المتأمل فى تعريف قدامة للالتفات والأمثلة التى ساقها يجد أنَّ ما قال به ليس من الاعتراض فى شئ ، ولكنه يدخل تحت ما يعرف بالاستدراك أو التعقيب على ما سبق ؛ لكون ما بعده التفاتاً يأتى بعد تمام المتلازمين واتصالهما بلا فاصل بينهما ، على حين أن الاعتراض لا يكون إلا بين شيئين متطالبين ، كما أن الالتفات تحول فى استخدام الضمائر من المتكلم إلى المخاطب إلى الغائب . وربما يصحبه تحول فى زمن الحدث ، ولعل هذا التحول والانتقال بين الحالات الثلاث لمستوى الحديث ، دفع واحداً مثل صاحب الطراز إلى تعليل التسمية بقوله : « وسمى بذلك اخذاً له من التفات الإنسان يميناً وشمالاً ، فتارة يقبل بوجهه ، وتارة كذا ، وتارة كذا »(١) .

د - لكون الالتفات تحولاً فى استخدام الضمائر ، فإنه يختلف عن الاعتراض من حيث تكون كل منهما ، فالالتفات مرتبط بشريحة لفظية معينة هى الضمائر بأحوالها الخطابية الثلاثة ، والاعتراض ليس كذلك ، بل يقع بحالات تركيبية متنوعة فى جمل تامة ، ويكون متسقاً فى معناه ودلالته بما يخدم الجزء الأول أو الجزء الثانى من المتلازمين .

هـ - لاشك أن الفرق بين الاعتراض والحشو بات واضحاً من خلال ما قيل عن مفهوم الحشو ، فهو أحياناً يقع من باب الترادف بين الألفاظ ، مثل : « الأمس قبله » ، ف «قبل» حشو ، وأحياناً يقع صدر صلة الموصول ، ولا يأتى بين متلازمين ، وهو ما يتفاوت فيه مع الاعتراض .

---

(١) العلوى - الطراز ٢/ ١٣١ .

نخلص من هذا كله إلى أن الاعتراض معنى قائم بذاته لا يلتقى فيه ومعنى آخر من معانى المصطلحات الثلاثة الآنفة الذكر ، وليس صحيحاً ما قيل بوجود ترادف بين الاعتراض ومصطلحات الإطناب أو الالتفات أو الحشو ، فلكل معناه ودلالته اللغوية والاصطلاحية ، وصورته التركيبية التى يأتى عليها ، والغرض الذى من أجله يستخدم .

رابعاً : الاعتراض فى مفهوم الدرس اللغوى المعاصر :

يربط اللغويون الغربيون بين الاعتراض parenthesis والتنغيم Intonation ، ويرون أن ثمة تغيراً فى طبقة الصوت أو درجته ، يبدو ذلك بوضوح حين ينطق بجملة فيها اعتراض ، كما توجد وقفات لها معانى ودلالات توحى بالاعتراض ، وهذه الوقفات غالباً ما تكون وسائل تعين على فهمه ومعرفته . وسنعرض لذلك بشئ من التفصيل من خلال ما وجدناه عند كل من : بلومفيلد BloomField وجليسون Gleason و Sideny Greenbaum و Randolph Quirk من خلال ما كتبوه .

لقد أشار بلومفيلد[1] إلى أن الجملة الاعتراضية تعد تركيباً حراً ، ووسيلة من وسائل الفصل حين تطول الجملة الأساسية ، يقول : نظراً لأن مكونات الجمل تكون صيغاً حرة ، فإن المتحدث قد يفصل بين الجمل بمعانى الوقفات ، إذ غالباً ما تكون هذه الوقفات وسائل تمييزية ، لكونها تستخدم فقط عندما تكون الجمل طويلة ، وفى الانجليزية تكون هذه الجمل مسبوقة دائماً بنغمات وقفية .

هذه التراكيب الحرة لا تكون مرتبطة بتركيب ، ولكنها قد تتصل بهذا

(1) See : Language, p. 185 - 186.

التركيب أو ذاك عن طريق ما يعرف بالإرداف أو الإتباع parataxis[1] (وهو ربط جملتين أو كلمتين بالتجاور دون أداة ربط مع إنهاء التنغيم عند نهاية الجملة الأخيرة أو الكلمة الأخيرة) إذ مجرد انعدام أو تغيب الجانب الصوتى يعنى نهاية الجملة ، مثل قولنا : فى الساعة العاشرة [،] يجب الذهاب إلى البيت [.] وعادة فإن الإرداف فى الانجليزية بنغم الوقف يبدو فى مكونات الجمل .

ويذهب بلومفيلد إلى أن الاعتراض ليس نوعاً واحداً ، فهناك الاعتراض المغلق الذى لا يحتاج إلى نغم وقفى ، مثل : تعال من فضلك ، أو نعم ياسيدى .

وثمة نوع خاص من الإردافات أو الاعتراضات ، ذلك الذى يستخدم فى الصيغ شبه المترادفة ، وهى التى تتماثل نحوياً ودلالياً فى جزء من الصيغة مع الجمل التى تلحق بالاعتراض ، مثل : جون ، هو يجرى مسرعاً ، وفى الفرنسية عادة ما يستخدم هذا النمط فى نوع من الأسئلة ، مثل : جون ، متى حضر ؟

---

(١) مصطلح الإرداف عند قدامة بن جعفر « هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعانى فلا يأتى باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع بمنزلة قول عمر بن أبى ربيعة :

بَعِيدَةُ مَهْوَى القُرْطِ إما لِنَوْفَلٍ ... أبوها ، وَإمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وهَاشِمُ

أراد أن يصف طول الجيد ، فلم يذكره بلفظه الخاص به ، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد ، وهو بعيدة مهوى القرط (نقد الشعر ١٥٥ - ١٥٦) . وهذا المعنى بعيد تماماً عما يقصد بمصطلح الإرداف فى الترجمة ، فالأول يركز على الدلالة ، والثانى يركز على التركيب والوضع فى الجملة .

وذكر الدكتور / بدوى طبانة الإرداف ذكراً خاصاً فى الضرب الذى يحسن استعماله للكتابة ، إذ أورده ضمن أربعة أقسام مما يحسن استعمالها فى الكتابة ، مثل : التمثيل ، والإرداف ، والمجاورة ، والكتابة التى ليست شيئاً مما سبق . وفى حديثه عن الإرداف لم يتغير مضمونه عما أورده قدامة ، وينقسم إلى خمسة فروع : فعل المبادهة ، باب « مِثْل » ، وما يأتى فى جواب الشرط ، الاستثناء من غير موجب ، وليس بشئ مما تقدم » (راجع د. بدوى طبانه - علم البيان ٢٤٨ - ٢٥٥ - ط ٣/ ١٩٧٧ - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة) .

ثم يعرف بلومفيلد الاعتراض بقوله : الاعتراض أو التركيب الاعتراضى parenthesis ضرب من الإرداف parataxis لجملة يفصلها عن جملة أخرى تكون مرتبطة بها ، أو هو الذى يتوسط بين جملتين متصلتين فيفصل بينهما . وعادة ما تكون الصيغة الاعتراضية مسبوقة ومتبوعة بنغم وقفى ، أو بتغير فى طبقة الصوت أو درجته ، مثل : لقد رأيت الولد [،] أعنى الولد الصانع [،] يجرى فى الشارع [.] وقد يكون اعتراضاً مغلقاً يحدث دون تغير فى درجة الصوت ، مثل : هل يمكن أن تأتى من فضلك ؟ فإن كلمة من فضلك Please اعتراض مغلق A close parenthesis لا يحتاج إلى نغم وقفى أو يتم دون نغم وقفى pause - pitch .

ويستخدم مصطلح عطف البيان أو البدل aposition عندما تتابع التراكيب ولا تكون تامة المعنى ، مثل : جون [،] الولد الفقير . إذ عندما تظهر المجموعة البدلية متضمنة البدل ، فإن أحد مكوناتها يكون مساوياً للجمل الاعتراضية ، مثل : جون [،] الولد الفقير [،] خرج مسرعاً [.] .

ويشير بلومفيلد إلى أنه يوجد فى الانجليزية ما يعرف بالبدل الملاصق أو المغلق Close apposition ، ويتم دون نغم وقفى ، وهو بدل يلاصق المبدل منه مباشرة ، مثل : جون ملك ، جون أسمر اللون ، جون معمدانى .

كما يشير إلى أن هذه الأنواع من التراكيب الاعتراضية ، لا تتعارض وبقية التركيب الأصلى الذى يقوله المتحدث ، إذ مع ذلك يكون ذا معنى ، شريطة أن ينطق به كتركيب مستقل . وفى حالة قطع الجملة أو فصلها ، فإن المتحدث يفصلها عما بعدها ، مثل : أعتقد أنه ، ففى قطع الجملة فإنه يبدأ مرة ثانية ، مثل : لقد حان الوقت لنبدأ . . . آه ، حسن ، أظن أنه يرغب فى الموضوع . ويحدث هذا عندما يكرر المتحدث أو يردد شيئاً يبغى التنبيه إليه[1] .

---

(١) راجع فى كل ما سبق BloomField, Language, p. 185 - 186.

أما جليسون فقد أشـار إلى الجمل الاعتراضية Parentheses تحت ما يعرف بعبـارات الربط joining Clauses[١] . ويعرف الجـملة الاعتـراضية statement parenthesis بأنها تعبير يقطع كلاماً آخر مـتصلاً بعضه ببعض . وهذا النوع من التعبيـرات يكون على صلـة بما يقطعه مـن الكلام ، وهو شائع فى الانجـليزية كتابة وتكلماً . والـوسائل التى تشير إلى ذلك تختلف تمامـاً فى الاثنين (الكتابة والكلام) . فـفى الكلام فـإن الجزء المتقـدم من الجملـة الحاضنة (الأسـاسية) matrix sentence عادة ما ينتهى بالفاصل ١٩١ juncture ، وهو رمز يـكون فى كل الأنـواع الرئيـسية فيـقاطع الـديث ويكـون غير مـكتمل . وعـندما يـكون الاعتراض قصيراً parenthesis is short فإن اثنين من ١٩١ الفواصل يحيطان به ويكون مميزاً بشـكل تام . كما أنه فى الغالب يوجـد تغيير فى السابقة التـنغيمية intonational key وأحياناً يمتد التغيير فى نغـمة الصوت إلى الجملة كلها . وفى نهايـة الجزء المقحم فـإن التنغيـم العادى normal intonation يستأنـف أو يعود للظهـور مع استمرار الحديث . هـذه الظواهر الصوتـية توحى بتغيـر النمط أو النموذج الأصـغر الذى يواجهنا أحـياناً مستخدمـاً فى الكتب الفنـية لإبراز نص ثانوى أو ملاحظات أقل أهمية .

وفيما يكتب بالانجليزية فإن الجمل الاعتراضية تعرف بعلامات معتادة، هى: الأقواس ( ) parens[٢] ، و « هذه الأقواس تشـير إلى أن العنصر المسوَّر غير

---

(1) See : Gleason, Linguistics and English Grammer, p. 339-341.

(٢) يذكر جليسون هامش (١) ص ٣٣٩ من المرجع السابق السبب فى اختياره لهذا المصطلح فيقـول : « لقد استخدمت المصطلح parens علامة على الجمل الاعتراضـية بدلاً عن المصطلح parenthe-sis، لكونه مصطـلحاً مختصراً للعلامـة الاعتراضية parenthesis mark ، ولوضوحـه فى هذا الفصل ، كما أن الاستعمال الشائع لمصطلح الـ parenthesis لهذا المعنى سيقودنا إلى معنى يخالف هذا المعنى فى الاستخدام ، وأخيراً فإن هذا المصطلح لـم يكتب له الشيوع إذ لا يعتنى به فى الشرح داخل حجرات الدراسة .

ملزم »[1] . ومن علامـاتها أيضـاً الشرطة الأفـقية المزدوجـة - - أو زوجين متشابهين من علامات الترقيم .

وسواء أكان فى الحديث أم الكتابة ، فإن الجمل الاعتراضة تُعْرَض أو تقدم بعبارات خاصة ، مثـل : بالمناسبة incidentally ، والشئ بالـشئ يذكر by the way ، وبخاصة That is ، على سبيل المثال For example . . . وهكذا[2] .

وتكون الجـمل الاعتراضيـة أكثر سهولة فـى تحديدها عنـدما تقطع الـعبارة التابعة ولكن ليس بصفة دائمة يمكـن معرفة ذلك بوضوح ، وخاصة عندما تأتى بين جمل تابعة مترابطة مغلقة Closoly Connected Clause ، مثل :

١ - إذا أمطرت السماء - وأنا لا أعتقد ذلك جيداً - فسوف نقضى نزهتنا داخل البيت .

وعندما تضعف الرابطة ، فالجمل الاعتراضية تصبح مبهمة أو يتعذر تمييزها تماماً . وما يـدعو للاستغراب أن علامـات الترقيم للمادة المـقحمة أكثر تنـظيماً وإعانة على الـتمييز لها بشكل دقـيق ، خاصة فى الحالات التى يسـهل التعرف عليها ، سواء أكان بعلامة أو بدونها كمـا فى الجملة السابقة - قارن بين الجمل الآتية :

٢ - صديقى - يعيـش فى نيويورك - جامع طوابع - لديه مجـموعة رائعة من البريد الجوى البريطانى .

٣ - صديقـى جامع طوابع - يعـيش فى نيويورك - لـديه مجموعة رائـعة من البريد الجوى البريطانى .

يلاحظ أن الاعـتراض فى الجمـلة (٢) هو نفـسه فى الجمـلة (٣) يقـاطع

(1) WinFred p. Lehman, Descriptive Linguistics, p. 181.

(2) Gleason, Linguistics and English Grammer, p. 339.

الكلام فى المرحلة بين صديقى جامع طوابع . ولديه مجموعة رائعة من البريد الجوى البريطانى . وإذا أردنا تحديد الاعتراض فى (٣) فهو غير ملحوظ بشكل جيد . فالجملة الاعتراضية لا تلاحظ فى الانجليزية العادية المكتوبة بأى علامة من علامات الترقيم ، ومع ذلك فمن الممكن استخدام الأقواس . والانجليزية السلسة ترنوا إلى وضع الكثير من الملاحظات الاعتراضية فى مثل هذه المواضع، إذ يكون هناك كما هو واضح وقفات قليلة . إنَّ النموذج الاعتراضى فى الجملة (١) يبدو أقل تفصيلاً وربما هى أكثر رصانة أو أكثر أدبية ، ومع ذلك فإن هذا لا يكون شكلاً أدبياً للاعتراض . وسيكون هذا صيغة الوصل غير المحدودة . ومن الممكن أن تأتى فى نفس المكان وفقاً لتتابع الجمل كما فى النموذج (٢) ، ولكنها لا تأخذ صيغة الجملة المستقلة أى تكون تابعة . وفى صيغة الوصل مع الكلمة الفاعلة فإن علاقتها الحقيقية بما جاورها ستوضح بالفواصل المناسبة للاعتراض ، لاحظ :

٤ - صديقى ، الذى يعيش فى نيويورك ، جامع طوابع ، عنده مجموعة رائعة من البريد الجوى البريطانى .

إن جملة الوصل غير المحددة ، تكون على نحو مصطنع مشابهة لجملة الوصل المحددة ، ومع ذلك فإن الأخيرة تكون جملة اعتراضية ، لكونها تؤدى وظيفة فى الجملة التى أقحمت فيها فى النموذج (٤) ، وهذه الوظيفة هى تعريف الصديق ، ووفقاً لها ، فليست على نحو شائع تكون مُسَيَّجة بزوجين من الفواصل ، كما فى النموذج (٥) .

٥ - صديقى الذى يعيش فى نيويورك جامع طابع . لديه مجموعة رائعة من البريد الجوى .

يلاحظ أن جملة الوصل المحددة لايمكن أن تنفصل عن الجملة الاسمية[1]،

(1) Gleason, Linguistics and English Grammer, p. 340.

التى هى محور الدلالة . وينبغى أن يكون هناك عنصر داخل الجملة ، يكون متصلاً بها بشكل واضح . ولا تكون الأخيرة رقم (٥) أصيلة فى جملة الوصل غير المحددة ، وهى جملة الوصل الاعتراضية ، والتى تكون أفضل نموذج للاعتراض . وعلى حين يكون الاتصال بالجملة الاسمية معتاداً ، فالاسناد غير المحدد يكون ممكناً وأكثر شيوعاً . لاحظ :

٦ - زوجها غسل كل الأطباق بعد حفلتها للعب الورق والتى كانت حقاً إيماءة نبيلة .

فعبارة الوصل غير المحددة على نحو معين تكون بناء أدبياً ، ونادراً ما تكون فى العامية حتى فى النماذج الرسمية . ويبدو أن بعض الناس لم يستعملوها فى لغة المخاطبة ، مع أن الكثير منهم يكتبونها على نحو شائع ; ولهذا فإن المواطن الأصلى ليس ضرورياً أن يعرفها اللهم إذا تعلمها من النصوص المكتوبة .

وللغة الانجليزية مجموعة من التقاليد التى من خلالها يمكن قراءة كل شئ مكتوب ، وجمل الوصل الاعتراضية ليست استثناء ، وهى عادة ما تقرأ بنغمة الجملة الاعتراضية ، مشتملة على مصطلحات صاعدة ١٣١ قبلها وبعدها . وليست القراءة الصوتية للجملة التقليدية بعلامات الترقيم المحيطة بها إلا طريقة أولية للقراءة الشفهية للانجليزية ، وليست المتحدثة أو المتكلمة . ولا يعرف المواطن الأصلى ولا يستخدم ولا يستجيب لهذه التنغيمات الصوتية ، إذ لا يعرف أكثر من التركيب حتى يتعلمه كجزء من القراءة النموذجية التقليدية للغة الانجليزية الأدبية .

والعبارة غير المحددة ، هى النموذج الذى يكون جديداً وغريباً لأغلب تلاميذ المدارس . وينبغى أن تُعَلَّم كتركيبة جديدة بنفس الطريقة التى عليها البناء

النحوى للغة الفرنسية . ويفضل العودة للوسائل العامية للجمل الاعتراضية ، وبصورة مشابهة كثيراً لبناء الجملة الفرنسية ، وينبغى أن تدرس فما يتصل ببناء الجمل الانجليزية المختلفة تماماً ، وهى التى تؤدى نفس الوظائف . ولن يكون تعليمها بشكل مختلف عن علامات الترقيم المتعلقة بها ، لكونها تنطق مع تنغيم مختلف ، والتنغيم إما أن يكون معروفاً أو غير معروف على نحو مطلق بالنسبة للطفل[١] .

مما سبق عرضه عند بلومفيلد وجليسون يلاحظ ما يأتى :

- تصنيف الاعتراض إلى اعتراض صوتى يتصل بالتنغيم والوقف ، واعتراض يتعلق بالكتابة ، ويكون مصحوباً بعلامات يدركها المرء بعقله ، ويراها بعينه ، وهى أبسط من وسائل الاعتراض على المستوى الشفهى أو الصوتى .
- كما يلاحظ أن ما يتصل بالاعتراض على مستوى الحديث الشفهى صعب فى تحقيقه ، فحتى ابن اللغة الأصلى لا يراعى ولا يطبق ولا يدرك هذه الوسائل الصوتية .
- أخيراً يلاحظ أن الاهتمام بدراسة الجمل الاعتراضية أو الاعتراض عموماً لم يتطرق إلى الجانب التركيبى ، وبيان المكونات الوظيفية ، سواء أكان بالنسبة للجملة المعترضة أم الجملة المعترضة ، باستثناء إشارات خافتة كانت ترد فى ثنايا الكلام عن الاعتراض على المستوى الشفهى .

ومن الباحثين من يشير إلى أن هناك ما يعرف بالإضافات الاعتراضية parenthetical additions[٢] ، مثل : ed, ing ونحو ذلك ، ويبدو هذا بوضوح

---

(1) ibd, p. 341.

(2) Dwight Belinger, Meaning and Form, p. 84.

عند مـن أورد الجمل الاعتـراضية تحت مـا يعرف بعـبارات التعـليق comment clauses[1] ، وإن كان يغلب على العرض الطابع التعليمى ، فإنه ربما يكون من المفيد معرفته فى هذا الشأن .

إنَّ عبارات التـعليق هى العبارات الاعـتراضية parenthetical clauses غير المتعـلقة بالمعـنى العام لـلجملة . ومـن الممكن أن تقـع فى بداية الجـملة ، أو وسطها ، أو نهايـتها ، وهكذا فإنها يوجه لـها وحدة نغمة tone unit مستقلة ، مثل : كنج ستون / وربما تعرفها / عاصمة لجاميكا .

ونحن نميز بين الأنواع الآتية :

١ - ما يشبه الجملة الحاضنة matrix sentence للعبارة الأساسية main clause ، مثل : لا يوجد هناك متقدمون ، أعتقد ، لتلك الوظيفة .

٢ - العبارة الظرفية المحددة An adverbial Finite clause ، وهى المقدَّمة بـ As ، مثل : أعمل فى الوردية الليلية ، كما تعرف .

٣ - عبارة الصلـة الاسمية A nominal relative clause ، مثل : ما أزعـجنا كثيراً، أننا فقدنا حقائبنا .

٤ - العبارة غير المحددة كنموذج infinitive clause as style لعدم الوصل المبدوء بـ to ، مثل : أنا لست متأكداً ماذا أفعل لأكون شريفاً[2] .

٥ - العبارة الاعـتراضة كنموذج لـعدم الوصل parenthetical clause as style dishunet المنتهية بـ ing ، مثل : أشك ، كمتحـدث عادى ، فيما إذا كان التلفاز هو الناقل لهذه القصة .

---

(1) Sideny Greebaum and other, Astudent's Grammer, p. 325 - 326.

(2) Ibd, p. 325.

٦ - العبارة الاعتراضية كنموذج لعدم الوصل المنتهية بـ ed ، مثل : أعلن على نحو جلى stated bluntly أنه لم يكن لديه فرصة ليحقق فوراً .

فى كل نوع مما سبق ، توجد تعبيرات اصطلاحية ، أو تعبيرات مأثورة ، مثل : you see, As I say, What's more to the paint, to be Fair, Generally : Speaking, put bluntly, similarly. ففى كل نوع يوجد على الأقل بعض الحرية لابتكار تعبيرات جديدة .

إنَّ عبارات التعليق comment clauses التى تكون فى غاية الأهمية تشتمل عموماً على فعل متعد ، أو صفة تحتاج إلى عبارة اسمية كما فى التتمة أو التكملة[١] complementation ولذلك فإننا نجد تطابقاً بين الجمل التى تحتوى على مثل هذه العبارات والجمل التى تحتوى على تقرير غير مباشر ، مثل :

- لا يوجد هناك متقدمون ، أعتقد ، لتلك الوظيفة .
- أعتقد أنه لا يوجد هناك متقدمون لتلك الوظيفة .

نظراً لأن الـ That جزء من That - clause فإنه يكون عادة سهل الحذف ، والتنغيم وحده (يتضح من خلال الفاصلة المستقلة فى الكتابة) يميز أول عبارة التعليق من أول العبارة الحاضنة أو الأساسية matrix clause ، مثل :

- أنت تعرف / أنا أعتقد أنك مخطئ
- أنت تعرف أنا / أعتقد أنك مخطئ

(Comment clause)

ومثل :

- أنت / تعرف (ذلك That) أعتقد أنك مخطئ / matrix clause[٢] .

(١) التتمة : ما ليس مسنداً ولا مسنداً إليه ، او اى كلمة تتبع الفعل مثل المفعول به أو الخبر او النعت (د. محمد على الخولى - علم اللغة النظرى ٤٩) .

(2) See : sideny, Astudent's Grammer, p. 326.

على هذا الحال تصنف العبارات الاعتراضية فى الدراسات الغربية ، وهى كما نرى تعتمد إلى حد كبير على الوسائل الصوتية ، دون التركيب والوظيفة النحوية والعلاقات بين مكونات التركيب الاعتراضى ، وهو ما يتباين مع الاعتراض فى العربية على نحو ما سنرى .

خامساً: دوافع الاعتراض :

الاعتراض نمط تركيبى يشيع فى اللغات البشرية ، وتبدو صوره فى بعض اللغات أكثر وضوحاً . وفى العربية نجده كثير الوقوع والاستخدام ؛ وذلك لما جبلت عليه هذه اللغة فى خصائصها وسماتها من ميل إلى الوضوح والتأكيد .

ولا يقع الاعتراض فى نمط واحد من أنماط الجملة ، بل يستعمل فى الجملة الاسمية والفعلية ، بسيطة ومركبة ، « ويتوخاه المتكلم لتوضيح الاسم والمرجع الدلالى الاسمى وتقويته وتسديده ، فالتركيب الاعتراضى لا يقوم بوظيفة فى حد ذاته ، بل هو موصول بالإسناد والتلفظ ، ودرسه بعض اللسانيين باعتباره توسعة موقعية ، وضرباً من ضروب العطف والربط . وللاعتراض تأثير فى الدلالة ، وإبراز للمركبات التى يهتم بها السامع والمخاطب »[1] .

إن الاعتراض يحدد هيئة الاخبار وحالة المشاركين فى الأفعال ، ويرجع إلى إبراز المتكلم أو الكاتب . وتدل الجمل الاعتراضية على الإيجاز والأسلوب المتسم بالدقة فى تعيين مقامات الدلالة ، وتوضيح عدد من الوظائف النحوية الدالة على الزمان والمكان والوصف والهيئة والسبب[2] . فالاعتراض النحوى

---

(١) المنصف عاشور - بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ١٦٣ .

(٢) المرجع السابق ١٦٣ - ١٦٤ بتصرف .

متصل بالعلاقات التركيبية الدلالية . ولا يفضل الانتهاء من التركيب النحوى التام إلا به .

ويصنفه الباحثون تحت ما يعرف بالجمل الإنشائية التى تشمل : النداء والتعجب والقسم والاعتراض ، وهو متصل بالعلاقات التركيبية الدلالية فى العملية الإسنادية ، وأنه لا يحسن السكوت عن الجملة التامة إلا به . كما يذهب إلى أنه ضرب من التوسعة الضرورية للجملة واكتمال دلالتها ، وهى توسعة موقعية أو ضرب من العطف[1] .

ومنهم من يعد الاعتراض وسيلة من وسائل إطالة بناء الجملة[2] ، فالجملة تعد قصيرة إذا اكتفى بعنصريها المؤسسين فحسب ، ففى الاسمية يكتفى بالمبتدأ والخبر المفرد ، وفى الفعلية يكتفى بالفعل والفاعل ، ولكن ثمة عناصر غير أساسية حددها النحاة يتم بها إطالة الجملة وتشابك بنائها بحيث تصبح جملة مركبة لا بسيطة .

من هذه العناصر طول الاعتراض ، فالنظام اللغوى يتبع أن يذكر بين عناصر الجملة جملة أخرى يسميها النحاة والبلاغيون الجملة الاعتراضية[3] .

ويستخدم الاعتراض فى الجملة لأغراض متعددة ، نذكرها على النحو التالى :

- التوكيد والتثبيت على المعنى ، مثل قول عمرو بن شأس[4] :

أردت عراراً بالهون ، ومن يُرِدْ عراراً ، لعمرى ، بالهوان فقد ظَلَمْ

(١) المنصف عاشور - بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ٢٢٧ - ٢٣٢ .

(٢) د. محمد حماسة عبد اللطيف - فى بناء الجملة العربية ٧٦ - ١١٣ .

(٣) المرجع السابق ١١١ .

(٤) القالى - الأمالى ٢/٦٨٩ .

فجملة القسم « لعمرى » اعتراضية جئ بها للتوكيد . وذلك مثل قول : قد والله فعلت كذا .

- التبيين وكشف حقيقة ما تليه الجملة الاعتراضية ، مثل : إنه - المسكين - أحمق .

- التحسين والتزيين ، مثل قول زهير[1] :

سئمت تكاليف الحياة ، ومن يعيش ثمانين حولاً ، لا أبالك ، يسأم

فقوله « لا أبالك » اعتراض جرى فيه على عادة العرب فى إجرائهم إياه ، مجرى المثل ، وليس الغرض منه الدعاء بفقد الأب ، بل الغرض منه ما أشير إليه .

- التنزيه والتقديس ، مثل قوله تعالى : « ويجعلون لله البنانم سبحانه ولهم ما يشتهون »[2] . فقوله « سبحانه » اعتراض الغرض منه تنزيه الله تعاى وتقديسه عما ينسبونه إليه .

- الدعاء واستدرار العطف ، كقول العباس بن الأحنف[3] :

إنْ دام ذا الهجرُ ياظلوم ولا تم فمالى فى العيش من أرب

فجملة ولا تم » اعتراضية الغرض منها المسارعة إلى دعاء الله بألا يقدر وقوع هذا الهجر .

وقول أبى الطيب المتنبى[4] .

---

(١) زهير بن أبى سلمى - ديوانه ص ٢١ .

(٢) الآية رقم ٥٧ من سورة النحل .

(٣) العباس - ديوانه - ص ٣٣ شرح وتحقيق عاتكة الخزرجى - ط ١ / ١٩٥٤ - مطبعة دار الكتب - القاهرة .

(٤) المتنبى - ديوانه بشرح العكبرى جـ ٤/ ٢٩٠ تحقيق مصطفى السقا وآخرين - دار المعرفة - بيروت - لبنان (د.ت) .

وتحتقر الدنيا احتقارَ مجربٍ يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

فقوله « وحاشاك » اعتراض الغرض منه الدعاء للمخاطب بطول العمر .

- التنبيه على أمر من الأمور ؛ لبيان أهميته وإيضاح قيمته ، كقول أبى خراش الهذلى(1) :

تقول أراه بعد عروة لاهيا وذلك رزء لو علمت جليل

ولا تحسبى أنى تناسيت عهده ولكن صبرى ياأميم جميل

فقوله : « لو علمت » و « ياأميم » اعتراض الغرض منه التنبيه على عظم المصاب وشدة تأثيره فى نفسه ، وتنبيه المخاطب إلى جميل صبره .

- الترغيب فى فعل أمر مرغوب فيه أو التنفير منه ، مثل قوله تعالى : « فاتوهن من حيث أمركم الله ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . نساؤكم حرث لكم »(2) فقوله : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) اعتراض بأكثر من جملة بين كلامين متصلين معنى ، فإن قوله (نساؤكم حرث لكم) بيان لقوله (فاتوهن من حيث أمركم الله) بمعنى أن المأتى الذى أمركم الله به هو مكان الحرث ، لأن الغرض الأصلى فى الاتيان طلب النسل لا قضاء الشهوة ، والهدف من هذا الاعتراض الترغيب فيما أمروا به، والتنفير عما نهوا عنه(3) .

- التخصيص لأحد المذكورين بزيادة التأكيد فى أمر علق بهما ، كقوله تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته امه وهناً على وهن وفصاله فى عامين

(1) أبو خراش الهذلى - ديوان الهذليين ص ١١٦ - نسخه مصورة عن طبعه دار الكتب - الدار القومية - القاهرة - ١٩٦٥ .

(2) الأيتان رقم ٢٢٢ ، ٢٢٣ من سورة البقرة .

(3) الشنوانى - حاشيته ٩٤ .

أن اشكر لى ولوالديك »[1] ، فقوله أن اشكر لى تفسير لوصينا ، وقوله حملته اعتراض بينهما ، إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً لحقها العظيم مفرداً[2] .

- المطابقة والاستعطاف ، كقول المتنبى :

وخُفُوقُ قلبٍ لو رأيتِ لَهِيبَهُ   ياجَنَّتى لظَنَنْتِ فيه جَهَنَّما[3]

فقوله ياجنتى اعتراض للمطابقة مع جهنم والاستعطاف .

- بيان السبب لأمر فيه غرابة ، مثل :

وقد أدركتنى والحوادث جمة   أسنة قوم لاضعاف ولا عزل[4]

فقوله « والحوادث جمة » اعتراض لبيان السبب مع الغرابة فى الأمر .

- الاستحالة وعدم إمكانية حدوث الحدث ، مثل قوله تعالى : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار »[5] ، إذ اعترض بقوله : « ولن تفعلوا » لإفادة استحالة معارضة القرآن وعجزهم عن الاتيان بشئ من نوعه .

- التحسر وإظهار الأسى على شئ عزيز ، مثل : وإنى وإن بعدت عنى لقريب منك ، فقوله « وإن بعدت عنى » اعتراض لإظهار الأسى والتحسر على ما ألم بابنه .

- التعظيم والتفخيم ، كما فى قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه

---

(١) الآية رقم (١٤) من سورة لقمان .

(٢) الشنوانى - حاشيته ٩٤ .

(٣) المتنبى - ديوانه شرح العكبرى جـ ٤ / ٢٨ تحقيق مصطفى السقا وآخرين - دار المعرفة - بيروت لبنان (د.ت) .

(٤) البيت لجويرية بن زيد (لتخريجه مفصلاً انظر د. أميل يعقوب - المعجم المفصل ٢/ ٧٧٣) .

(٥) الآية رقم (٢٤) من سورة البقرة .

لقسم لو تعلمون عظيم »[1] ، فهناك اعتراضات ، هما « وإنه لقسم عظيم » والثانى : « لو تعلمون » وهما لتعظيم القسم والمقسم عليه وتفخيم أمرهما ، والتنويه برفعة شأن القرآن الكريم .

- دفع الإيهام وحسن الإفادة ، وهو ما يعنى تبيين الأمر وتوضيحه وكشف حقيقة ما يتعلق بمعنى الجملة المعترضة .

وهكذا يتبين أن الاعتراض ليس ترفاً فى الجملة العربية ولا عبثاً زائداً عليها، بل هناك من الأهداف والأغراض التى تقف وراء استخدامه ، وتدفع إلى الإكثار منه فى الشعر والنثر والفصيح من كلام العرب .

سادساً : الاعتراض بين جهود اللغويين والنحويين :

لقد اتضح لنا من خلال متابعة قضية الاعتراض فى مؤلفات القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، أنها لم تحظ باهتمام النحاة أو اللغويين أثناء تلك الفترة ، إذ لم يرد لها ذكر فى ثنايا مؤلفاتهم ، ومن ثم فليس بين أيدينا ما يشير إلى جهد لغوى أو نحوى فى هذا الشأن ، باستثناء ما ورد من معان لغوية فى المعاجم اللغوية التى ظهرت فى الفترة السالفة الذكر .

وفى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى نحظى بذكر لهذه القضية لدى عالمين بارزين من علماء ذلك القرن ، وهما : أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) وتلميذه ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، إذ وردت عند أبى على إشارات عن الاعتراض ،وهى إشارات متناثرة ، جاءت تعليقاً على آية أو جزء منها ، أو على كلمة أو عبارة فى بيت من الشعر، من ذلك تعليقه على قوله تعالى : « وأقرضوا الله »[2] ،قوله تعالى : « فأثرن به نقعاً »[2] ، يقول بعد تعليله

(١) الأيتان رقم ٧٥ ، ٧٦ من سورة الواقعة .

(٢) راجع الآية رقم ٢٠ من سورة المزمّل ، والآية رقم ٤ من سورة العاديات .

لإمكان وقوع العطف : « فـإذا لم يجز أن يكون معطوفاً على الـصلة لم تحمله على ذلك ، ولكن عـلى وجوه أخرى ، منها : أن تجعل العـطف اعتراضاً بين الصلة والموصول . . ثم يقول : أما حمله على الاعتراض هو أرجح الوجوه ؛ لأن الاعتراض قد شاع في كلامهم واتسع وكثر ، ولم يجر ذلك عندهم مجرى الفصل بين المـتصلين بما هو أجنبي ، لأن فيـه تسديداً وتبييناً ، فـأشبه من أجل ذلك الصفة والتأكيد ، فلذلك جاء بـين الصلة والموصول ، والفعل والفاعل ، والابتداء والخبر ، والمفعول وفعله ، وغير ذلك »[1] . وهي مواضع الاعتراض التي يذكرها أبو علي بشئ من التفصيل مصحوبة بالشواهد .

على هذا النحو جاء حديث أبي علي ، وفيه كما رأينا استخدامه للمصطلح مع عدم تعريفـه أو إيضاحه بشكل مباشر ، وإن كان قد أشـار إلى أنه يقع بين المتصلين ، ويـفصل بينهم ، من خـلال قوله : « لم يجر ذلك عنـدهم مجرى الفصل بين المتصلين » . كما أشار إلى شيوعه واتساعه وكثرته في الاستخدام ؛ لما فيه من أهداف وأغراض يسعى إليها المتحدث أو الكاتب .

ثم أخـذ الاهتمام بـدراسة الاعتراض يـتزايد شـيئاً فشـيئاً ، وقد بـدا هذا الاهتمام علـى نحو ملحوظ لدى اللغوي العـظيم ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، إذ أفرد له بابـاً خاصاً من أبواب خصـائصه[2] ، ذكر فيـه أهميته ، وبـين مواضع وقوعه ، يقول ابن جني : « اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير ، قد جاء في القرآن ، وفـصيح الشعر ، ومنثـور الكلام . وهو جار عند الـعرب مجرى التأكيد ، فلذلك لا يشنع عليهم ، ولا يـستنكر عندهم ، أن يعترض بين الفعل وفاعلـه ، والمبتدأ وخبره ، وغـير ذلك ، مما لا يجـوز الفصل فيه بـغيره ، إلا شاذا أو متأولاً »[3] .

---

(١) أبو علي الفارسي - المسائل الحلبيات ١٤٢ - ١٥٣ .

(٢) ابن جني - الخصائص ١/ ٣٣٥ - ٣٤١ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٣٥ .

فإذا كان ابن جنى قد بيَّن أن الاعتراض يجرى مجرى التأكيد عند العرب ، وهو ما يوضح قيمته ، ويبين أثره ، إذا كان قد أشار إلى ذلك ، فإنه عاد - بعد ذكره لمواضع الاعتراض - ليؤكد ما أسلف فيه القول ، مضيفاً إليه قيماً أخرى تتعلق بمستخدم الاعتراض من حيث استعداده اللغوى، وحالته النفسية ، وجبلته التى جبل عليها ، قال ابن جنى : « والاعتراض فى شعر العربية ومنثورها كثير وحسن ، ودال على فصاحة المتكلم ، وقوة نَفْسه ، وامتداد نَفَسه ، وقد رأيته فى أشعار المحدثين ، وهو فى شعر إبراهيم بن المهدى أكثر منه فى شعر غيره من المولَّدين »[1] .

لعل الدافع وراء إسباغ ابن جنى لهذه الصفات على المتكلم يعود إلى أن الاعتراض يؤدى إلى إطالة الكلام وامتداده ، وربما تؤدى إطالة الكلام إلى أن يُنْسى بعضه بعضاً ، لاسيما إذا وقع بين الكلام المتصل أكثر من اعتراض . كما أن انفصاله أو اتصاله أمر لا يتأتى لكل إنسان ، ولا يقدر عليه إلا من توافرت فيه صفات كالتى ساقها ابن جنى .

وأما كون الاعتراض يفيد التوكيد كما أشار أبو على وابن جنى[2] ، فذلك لأنه يؤدى إلى تطويل الجملة ، والعرب قد تطيل الكلام لتؤكده ، مع أنها إلى الإيجاز أميل ، وعن الإكثار أبعد ، فالتوكيد للإسهاب والإطناب ، والحذف للاختصار والإيجاز ، وكان هذا مذهباً للعرب[3] . وفى هذا الإطار لا ننسى الإشارة إلى أن من الباحثين من يعد الاعتراض عنصراً من عناصر تطويل الجملة .

وفى القرن الرابع ذاته نظفر بما أورده ابن فارس (ت ٣٩٥) ، وما أورده

(١) ابن جنى - الخصائص ١/ ٣٤١ .

(٢) انظر : المسائل الحلبيات ٧٧ ، والخصائص ١/ ٨٢ .

(٣) ابن جنى - الخصائص ١/ ٨٣ ، ٢٨٩ .

ليس بالكثير . لقد عدّ ابن فارس الاعتراض سنة من سنن العرب ، يقول : « ومن سنن العرب : أن يعترض بين الكلام وتمامه كلام آخر »(1) .

ويرى ابن فارس أنه يشترط فى الاعتراض تمام المعنى ، وحصول الفائدة ، ولذا « لايكون هذا المعترِض إلا مفيداً . . ومثل هذا فى كتاب الله جلَّ ثناؤه ، وأشعار العرب كثير »(2) .

كان هذا موقف اللغويين وجهودهم فى قضية الاعتراض حتى ابن فارس ، ويلاحظ عليهم أنهم لم يعرفوا المصطلح تعريفاً واضحاً مباشراً ، صحيح أنهم أشاروا إلى معناه من خلال وصفهم لما يحدث فى التركيب الاعتراضى ، وهو ينحصر فيما فصل بين الكلام وتمامه ، وعلى كل حال يظل حديث ابن جنى ذا سمة تميزه من حديث أبى على الذى يزيد قليلاً عن ابن فارس فى هذا الموضوع.

وفى القرن السادس الهجرى لم نظفر بحديث مفصل عن هذا الموضوع ، فكتاب « المفصل » للزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) كتاب موسوعى نحوى لم يرد فيه ذكر للاعتراض ، مع أن مؤلفه كان يتعرض له فى « الكشاف » خلال تناوله لآيات القرآن الكريم بالشرح والتفسير ، كأن يشير بقوله مثلاً : هذه الآية فيها اعتراض ، وهذه جملة اعتراضية ، وأحياناً كان يوضح الغرض من ذكره ، وهل هو متعدد أم لا ، وهكذا . ويلاحظ أن تناوله لهذه القضية كان تناولاً موزعاً وفق وروده فى الآيات القرآنية(3) .

وفى القرن السابع نجد ثلاثة كتب ، أحدها : كتاب « شرح المفصل » لابن يعيش (٦٤٣ هـ) وفيه لا نجد ذكراً لموضوع الاعتراض ، باستثناء استخدامه

(1) ابن فارس – الصاحبى ٤١٤ .

(2) المصدر السابق ٤١٤ ، ٤١٥ .

(3) انظر على سبيل المثال لا الحصر : الزمخشرى – الكشاف ١/ ١٠ ، ٢٦ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٩٦ ، ٤/ ٦٢.

لمصطلح « الجملة الاعتراضية »[1] الذى ورد فى ثنايا حديثه عن اجتماع الشرط والقسم ، ويعود ذلك لكون الكتاب المشروح خالياً من ذكر هذا الموضوع .

وثانى هذه الكتب فى القرن السابع كتاب « شرح التسهيل » لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) وفيه نجد حديثاً مختصراً عن الاعتراض ، إذ يتحدث عن الجملة الاعتراضية وأهميتها ومواضع وجودها ، والفرق بينها وبين الجملة الحالية ، وهو حديث قريب من حديث ابن جنى فى الخصائص[2] .

وثالث الثلاثة كتاب « شرح الكافية » للرضى الاسترابادى (٦٨٨ هـ) ، وفيه نجد إشارة موجزة إلى الاعتراض ممثلاً فى مصطلح « واو لاعتراض » فى حديثه عن لاسيما[3] ، كما نجد إشارة أخرى إلى تعريف الجملة الاعتراضية فى تعليقه على حديث « اطلبوا العلم ولو بالصين » إذ يقول : الظاهر أن الواو الداخلة على الشرط فى مثله ، اعتراضية . ونعنى بالجملة الاعتراضية ، ما يتوسط بين أجزاء الكلام ، متعلقاً به معنى ، مستأنفاً لفظاً ، وقد يجئ بعد تمام الكلام »[4] .

وفى القرن الثامن الهجرى نجد كتابين، أحدهما : كتاب «ارتشاف الضرب» لأبى حيان (ت ٧٤٥ هـ) وفيه نجد إشارة إلى الاعتراض والجملة الاعتراضة والفرق بينها والجملة الحالية ، وأهمية الاعتراض وأثره فيما يعترض من التراكيب[5] .

وفى الكتاب الثانى نجد بحث الاعتراض يحظى باهتمام واضح أثره فى

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٧/٥٨ .

(٢) ابن مالك - شرح التسهيل ٢/٣٧٥ - ٣٧٨ وانظر المصدر نفسه ٢/٣٥٩ - ٣٦١ .

(٣) الرضى الاسترابادى - شرح الكافية ١/٢٢٩ .

(٤) المصدر السابق ٢/٢٥٧ .

(٥) أبو حيان - ارتشاف الضرب ٢/٣٧١ - ٣٧٦ .

الدراسة المتأنية المستوعبة التى أوردها ابن هشام (ت ٧٦٢ هـ) فى كتابه القيم المعروف بـ « مغنى اللبيب »[١] ، إذ يعد أبرز من كتب فى هذا الموضوع ، ولذا فهو يأتى فى طليعة من أفردوا للاعتراض حديثاً مستقلاً مسهباً ، وإن كان حديثه ركز على الجانب التركيبى ، فلم يشر إلى أهمية الاعتراض والغرض من استخدامه إلا بشكل موجز . لقد عرف المصطلح، ثم عدد مواضع الاعتراض، فذكر له سبعة عشر موضعاً ، وميز بين الجملة الاعتراضية والجملة الحالية ، وهو تفصيل غير مسبوق .

ثم أخذ النحاة بعد ابن هشام يتناولون الاعتراض فى مؤلفاتهم ، دون زيادة شئ على ما أورده ابن هشام، فقد أخذوا يرددون ما أورده فى هذا الخصوص، نجد هذا عند السلسيلى (ت ٧٧٠ هـ) ، والسيوطى (ت ٩١١ هـ) ، والأشمونى (ت ٩٢٩هـ) ثم شراح الحواشى، مثل: الشنوانى (ت ١٠١٩هـ) ، والصبان (ت ١٢٠٦ هـ) ، والعطار (ت ١٢٥٠ هـ)[٢] .

سابعاً: من قضايا الاعتراض

ثمة عدد من القضايا التى تتعلق بظاهرة الاعتراض ، وقد وجبت الإشارة إليها ، والوقوف عليها لما لها من أهمية واضحة فى إطار هذه الدراسة ، وهذه القضايا هى :

أ - مواضع الاعتراض .

ب - تعدد الاعتراض .

جـ - أحرف الاعتراض .

(١) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٨٦ - ٢٩٩ .

(٢) راجع السلسيلى - شفاء العليل فى إيضاح التسهيل ٢/ ٥٥٠ - ٥٥٢ ، والسيوطى - همع الهوامع ٤/ ٥٠-٥٧ ، وشرح الأشمونى على الألفية ، حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٤/ ٣٠-٣٣، حاشية العطار على شرح الأزهرية ١٢٥ - ١٢٦ ، حاشية الشنوانى ٩٢-٩٥ .

د - الاعتراض والوظيفة النحوية .

هـ - الاعتراض والفصل .

و - الاعتراض والحال .

ز - الاعتراض والصفة والتأكيد .

ح - الاعتراض والشرط .

ط - الاعتراض والاستئناف .

وسوف نتناول كل قضية من هذه القضايا على النحو التالى :

ا - مواضع الاعتراض

ذكر أبو علي الفارسي (٩) مواضع يقع فيها الاعتراض ، وذكر ابن جنى (٧) مواضع ، وأورد ابن هشام (١٧) موضعا[١] . وكل منهم اتفق مع الآخر في ذكر مواضع ، واختلف معه في إيراده لبعض المواضع التى لم يوردها الآخر . وسنورد ما اتفق فيه الجميع ، ثم نتبع ذلك بالمواضع التى ذكرت عند شخص ولم تذكر عند غيره .

لقد قال ثلاثتهم بوقوع الاعتراض بين الفعل والفاعل فى مثل قول امرئ القيس :

- ألا هل أتاها - والحوادث جمة - بأن امرأ القيس بن تَمْلِكَ بيقرا[٢]

وقالوا بوقوع الاعتراض بين الفعل ومفعوله ، كما فى قول أبى النجم :

- وبُدِّلَتْ - والدهر ذو تبدل - هيفا دبوراً بالصبا والشمال[٣]

---

(١) راجع : المسائل الحلبيات ١٤٣-١٤٧ ، الخصائص ١/ ٣٣٥ - ٣٤١ ، مغنى اللبيب ٢/ ٣٨٦ - ٣٩٩ .

(٢) البيت ورد فى المسائل الحلبيات ١٤٥ ، والخصائص ١/ ٣٣٥ ، ومغنى اللبيب ٢/ ٣٨٧ ، وهو فى شرح القصائد السبع ٣٥٩ ، وراجع هامش ٦ من المسائل الحلبيات ١٤٥ .

(٣) الرجز لأبى النجم فى خزانة الأدب ٢/ ٣٩١ ، والخصائص ١/ ٣٣٦ (راجع المعجم المفصل ٣/ ١٢٣٧ .

كما قالوا بوقوعه بين المبتدأ والخبر ، فى مثل قول الشاعر :

- وفيهن - والأيام يعثرن بالفتى - نوادب لا يمللنه ونوائح[١]

ومنه الاعتراض بجملة الفعل الملغى فى نحو : زيد - أظن - قائم ، وبجملة الاختصاص فى نحو قوله ﷺ : نحن - معاشر الأنبياء - لا نورث[٢].

وأشار أبو على إلى وقوعه بين اسم « إنَّ » وخبرها ، وقال بذلك أيضاً ابن جنى ، وهذا يتطابق مع ما قال به ابن هشام من وقوعه بين ما أصله المبتدأ والخبر ، فى مثل ما حكاه سيبويه من قولهم : إنه - المسكين - أحمق ، فـ « المسكين » خبر مبتدأ محذوف ، وقد اعترض بهما بين اسم « إنَّ » وخبرها[٣].

وقول ابن هشام : « ما أصله المبتدأ والخبر » يوحى بالواقع بعد الناسخ الحرفى والفعلى ، ولكن يلاحظ أنه قدم نماذج للناسخ الحرفى ، لعلَّ ، ليت ، إنَّ ، ولم يمثل لبقية النواسخ الحرفية والفعلية .

ومن المواضع التى قالوا بوقوع الاعتراض فيها ما يقع بين القسم وجوابه ، كما أشار ابن هشام ، أو القسم والمقسم عليه كما أشار أبو على وابن جنى ، وذلك فى مثل قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، إنه لقرآن كريم »[٤] . ففيه اعتراضان ، الأول بين قوله : فلا أقسم بمواقع النجوم وجوابه « إنه لقرآن كريم » والآخر بين الموصوف الذى هو قسم وبين صفته التى هى عظيم وهو قوله (لو تعلمون) .

---

(١) البيت لمعن بن أوس فى ديوانه ص ٣٢ ، راجع الخصائص - هامش (٥) ١/ ٣٣٩ ، المعجم المفصل ١/ ١٦٦ .

(٢) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٨٧ .

(٣) أبو على الفارسى - المسائل الحلبيات ١٤٦ ، وابن جنى - الخصائص ١/ ٣٣٨ .

(٤) الآيات رقم ٧٥-٧٧ من سورة الواقعة .

ومثل الاعتراض بين القسم وجوابه ، قول الشاعر :

لَعَمْرِى - وَمَاعَمْرِى عَلَىَّ بِهَيِّنٍ - لقد نطقت بطلا عَلَىَّ الأقارع[1]

ومن ذلك أيضاً الاعتراض بين الصفة والموصوف ، فى الموضع الذى أشير إليه منذ قليل ، ومثله قوله تعالى : « ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون »[2] .

ويقع كذلك بين الصلة والموصول ، كقول الشاعر :

ذَاكَ الذى - وَأَبِيكَ - يعرف مالك والحق يدفع تُرَّهات الباطل[3]

لعل وقوع الاعتراض بين الصلة والموصول دفع عالماً كأبى على إلى إجازته بين اسم إنَّ وخبرها ، وبين المبتدأ والخبر ، وبين الفعل والفاعل لكون الصلة أشد ارتباطاً بالموصول وتعلقاً به من غيرها ، مما يتركب تركيباً تلازمياً ، يقول أبو على : « فإذا جاز الفصل بين الصلة والموصول بما ذكرنا من الاعتراض ، فإنه يجوز الفصل بين اسم إنَّ وخبرها بالاعتراض ؛ لأن اتصال الصلة بالموصول أشد من اتصال المبتدأ بالخبر ، الا ترى أنهما يجريان مجرى الاسم الواحد ، وأن المبتدأ قد يحذف خبره ولا يستعمل إثباته . ثم يقول : وإذا جاز ذلك فى الفعل والفاعل كان فى المبتدأ والخبر أجوز ، الا ترى أن اتصال الفعل بالفاعل أشد من اتصال المبتدأ والخبر ، فمن ثم لم يحذف الفاعل فى الموضع الذى يحذف فيه المبتدأ ، ولكنه يضمر »[4] .

ومن ذلك أيضاً الاعتراض بين المضاف والمضاف إليه ، مثل : هذا غلام -

---

(1) الأبيات للنابغة الذبيانى فى ديوانه ص ٣٤ - راجع المعجم المفصل ١/ ٥٢١ .

(2) الآية رقم ٣٤ من سورة مريم .

(3) البيت لجرير فى ديوانه ص ٥٨٠ - راجع المعجم المفصل ٢/ ٧٨٠ .

(4) أبو على الفارسى - المسائل الحلبيات ١٤٥-١٤٦ بتصرف يسير .

والله - زيد[1] . فـ « والله » اعتراض بين المضاف والمضاف إليه .

ومما ذكره أبو على وقوع الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ، كما فى قوله تعالى : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة »[٢] ، فإن جملة « وترهقهم ذلـك » معطوفة على « كسبوا السيئات » ومـا بينهما اعتراض بيّن به قدر جزائهم[٢] .

هذا ما اتفق فيـه ثلاثتهم من مواضع الاعتراض ، ثـم زاد ابن هشام عدداً آخر من المواضع لم يذكرها كل من أبى على وابن جنى ، وهذه المواضع هى :

الاعتراض بين الشرط وجـوابه ، مثل قوله تعالى : « فإن لـم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار »[٣] ومثل قـوله : « وإذا بدلنا آية مـكان آية والله أعـلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر »[٣] . وفى ذلك يرى أبو علـى أن الاعتراض « لو جاء بـين الشـرط والجزاء كان حسناً ؛ لأن الشرط والجزاء بمنزلة القسـم والمقسم عليه »[٤] .

ومن الاعتـراض أيضاً ما وقع بين الجار والمجرور ، مثل : اشتريـته بـ - ارى - ألف درهم[٥] .

ومنه أيضاً ما وقع بين الحرف الناسخ وما دخل عليه ، مثل قول الشاعر :

كـأنَّ - وقـد أتى حـول جـديـد - أثـافيـهـا حـمـامـات مُثُول[٦]

(١) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٥٢ ، وراجع ابن جنى - الخصائص ١/ ٣٣٨ .

(٢) الآية ٢٧ من سورة يونس ، وانظر مغنى اللبيب ٢/ ٣٩١ .

(٣) الآية ٢٤ من سورة البقرة ، والآية ١٠١ من سورة النحل .

(٤) أبو على الفارسى - المسائل الحلبيات ١٤٧ .

(٥) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٩٢ .

(٦) البيت لأبى الغول الطهوى فى الدرر ٤/ ٢٧ ، وشرح شواهـد المغنى ٢/ ٨١٨ (راجع المعجـم المفصل ٢/ ٧١٦) .

كذا قال قوم ، ويمكن أن تكون هذه الجملة حـالية تقدمت على صاحبها ، وهو اسم كأنَّ .

ومنه ما وقع بين الحرف وتوكيده ، أو بين المؤكَّد والمؤكِّد ، مثل :

لَيتَ وهَلْ يَنْفَعُ شَيـــــئــــاً لَيْتُ   لَيتَ شَبَـابـاً بُوعَ فـــاشـتَرَيْتُ[1]

فقوله : وهـل ينفع شيئـاً ليت اعتراض بين لـيت فى مطلع الـشطر الأول وليت فى مطلع الشطر الثانى .

ومثله ما وقع بين حرف التنفيس والفعل ، مثل قول الشاعر :

وَمَا أدْرِى وَسَوْفَ إخَالُ أدْرِى   أقَوْمٌ آلُ حِصْـــــنٍ أمْ نِسَاءُ ؟[2]

فسوف ومابعدها اعتراض بين أدرى وجملة الاستفهام .

ومن ذلك أيضاً ما وقع بين قد والفعل ، كقول الشاعر :

أخَالِدُ قَـدْ والـله أوْطَـــاتَ عَشْوَةً   ومـا قائلُ المعـروف فـينـا يُعَنَّفُ[3]

فجملة القسم والله اعتراض بين قد والفعل أوطأت .

ويشبهه ما وقع بين حرف النفى ومنفيه ، مثل :

---

(١) الرجز لرؤبة فى ملحق ديوانه ص ١٧١ - راجع المعجم المفصل ٣/ ١٧١ .

(٢) البيت لزهير بن ابى سلمى فى ديوانه ص ٧٣ - راجع المعجم المفصل ١/ ١٧

(٣) هذا البيت مُلَفَّقٌ من بيتين اولهما للفـرزدق ، فالشطر الثانى من بيت للفرزدق فى ديوانه ٢/ ٢٩ والبيت يقول :

وما حل من جهل حبى حلمائنا   ولا قائل المعروف فينا يُعَنَّفُ

وثانى البـيتين لاخى يزيد بن عـبد الله فى شرح شواهـد المغنى ١/ ٤٨٨ ، والشطر الأول مـن البيت المذكور من بيت له يقول فيه :

اخالد قد والله وطئت عشوة   وما العاشق المسكين فينا بسارق

(راجع المعجم المفصل ٢/ ٥٧٦)

وَلاَ أَرَاهَا تَزالُ ظَالِمَةً تُحْدِثُ لِي نَكْبَةً وتَنْكَؤُهَا[1]

فجملة الفعل أراها اعتراض بين « لا » والفعل الناسخ تزال .

واخيراً من موضع الاعتراض كذلك ما يقع بين جملتين مستقلتين ، مثل قوله تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك »[2] . فقوله حملته أمه إلى قوله « عامين » اعتراض بين الجملة المفسَّرة ووصينا . . . والجملة المفسِّرة أن اشكر لى ولوالديك .

تلك هى المواضع التى يقع فيها الاعتراض كما أوردها ابو على وابن جنى وما زاده عليهما ابن هشام . ويلاحظ أن اهتمام القدماء اتجه إلى دراسة مكونات الجملة المعترَضة ، وليس إلى الجملة المعترِضة وأحوالها ، من حيث كونها اسمية أو فعلية ، خبرية أو إنشائية ، وغير ذلك من أحوال الجملة .

ب - تعدد الاعتراض

لا يقف الاعتراض عند حد الجملة الواحدة ، بل قد يتعدى الجملة الواحدة إلى جملتين أو أكثر . وقد أجاز الزمخشرى الاعتراض بسبع جمل[3] ، وهو ما يعرف بـ « اعتراض فى اعتراض » ، قال الزمخشرى ، « وقوله : وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . اعتراض فى اعتراض ، لأنه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه ، وهو قوله : « إنه لقرآن كريم » ، واعترض بـ « لو تعلمون » بين الموصوف وصفته[4] .

(١) البيت لابن هرمه فى ديوانه ص ٥٦ - (راجع المعجم المفصل ١/ ٢٣) .

(٢) الآية رقم ١٤ من سورة لقمان .

(٣) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٧٥ ، ٣٩٤ .

(٤) الزمخشرى - الكشاف ٤/ ٦٢ ، والآية رقم ٧٥-٧٧ من سورة الواقعة .

ووقع الاعتراض بأكثر من جملة فى مواضع متعددة ، منها قول زهير :

لعمرك - والخطوب مُغَيِّراتٌ وفى طول المعاشرة التقالى -
لقد باليت مظعن أمّ أوفى ولكن أم أوفى لا تبالى[1]

فقد اعترض بجملتين بين القسم وجوابه .

وزعم أبو على الفارسى أنه لا يعترض بأكثر من جملة ، وقد علق على قول الشاعر :

أرَانِى - ولا كُفْرَانَ لِلّهِ - أيَّة لِنَفْسِى قَدْ طَالَبْتُ غَيْرُ مُنِيلِ[2]

علق عليه بقوله : إن أيَّة ، وهى مصدر « أويت له » إذا رحمته ورفقت به لا ينتصب بأويت محذوفة ، لئلا يلزم الاعتراض بجملتين ، وقد عدها مفعولاً لأجله منصوب بـ « كفران » ، وجملة هذا القول على ترك تنوين اسم لا مع أنه قد عمل فى « أية » ، وهو ما لا يجيزه البصريون[3] . وقد اعترض ابن مالك على قول أبى على بالبيتين السابقين لزهير ، وبقوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر »[4] . وقال الزمخشرى فى الكشاف : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون »[5] اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهو : « فأخذناهم » و « أفأمن أهل القرى »[5] وهذا اعتراض بكلام تضمَّن سبع جمل[5] .

---

(١) البيتان لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ص ٣٤٢ (راجع المعجم المفصل ٢/ ٧٥٠) .

(٢) البيت لابن الدمينة فى ديوانه ص ٨٦ - راجع المعجم المفصل ٢/ ٨٠٦ .

(٣) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٩٤ .

(٤) الآية رقم ٤٣ ، ٤٤ من سورة النحل .

(٥) الزمخشرى - الكشاف ٢/ ٩٨ والآية رقم ٩٦ ، ٩٧ من سورة الأعراف .

وهناك من الشواهد ما يؤيد وقوع الاعتراض بأكثر من جملة ، كقول امرئ القيس :

لا وأبيك ابنة العامرى لا يَدَّعى القَوْمُ القَوْمُ أنِّى أفِرْ[1]

إذ وقع الاعتراض بجملتى : القسم والنداء بين التوكيد اللفظى للحرف « لا » دون حرف عطف . ومثله قول الآخر :

هل أنت، ابن ليلى إن نظرتك رائح مع الركب، أم غاد غداتئذ، معى؟[2]

فقد اعترض بجملة النداء والشرط بين المبتدأ والخبر دون حرف عطف أيضاً .

هذه الأمثلة وغيرها تدل دلالة واضحة على أن الاعتراض بأكثر من جملة ممكن حدوثه بين المتلازمين . والذى يجب التنويه إليه هو أن الاعتراض بين المتلازمين قد يكون مقبولاً إذا كان محدود العدد ؛ فإذا زاد إلى الحد الذى جوزه الزمخشرى « سبع جمل » فإنى أراه غير مرغوب ، لأن إطالة الفصل بين المتطالبين قد يفقدهما صفة الترابط ، ويتفرع بالمعنى المقصود إلى معان أخرى ، وربما يدفع القائل أو القارئ إلى عدم إصابة المراد من معنى المتلازمين ، ثم من معانى الجمل الاعتراضية التى كثرت ، ويصعب عليه إقامة العلاقة بين المعانى كلها ، مما يجعل المرء يضع المحاذير إزاء تعدد الاعتراض ، فلا يكثر منه ، ويقتصر على أقل عدد ممكن ما أمكن إلى ذلك سبيلاً .

جـ - أحرف الاعتراض

تأتى الجملة الاعتراضية وقد اقترنت بها مجموعة من الأحرف ، تكون مميزة لها عما عداها من الجمل ، « وهى فى الأصل أحرف استئناف أو عطف .

(١) البيت فى ديوانه ص ١٥٤ - راجع المعجم المفصل ١/ ٢٩٧ .

(٢) البيت لأرطاة بن سهية - راجع الأغانى ١٣/ ٣٩ .

وإنما تكون للاعتراض فتقترن بها الجمل الاعتراضية ، إذا وقعت بين شيئين متطالبين ، أو متلازمين »[1] . وهذه الأحرف تتمثل فى :

الفاء : تتميز الجمل الاعتراضية باقترانها بالفاء ، مثل قوله تعالى : « فالله أولى بهما » فى قوله : « إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ولا تتبعوا الهوى »[2] . ومثل قوله : « ومن دونهما جنتان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، مدهامتان »[3] . ومثل قول الشاعر :

واعلم فعلم المرء ينفعه ... أن سوف يأتى كل ما قدرا[4]

الواو : وهى أكثر الحروف وروداً واستخداماً فى الشعر والنثر ، منها قوله تعال : « رب إنى وضعتها أنثى - والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى - وإنى سميتها مريم »[5] والرجوع إلى الشعر الذى أوردناه فى أغراض الاعتراض ومواضعه يبين لنا مدى كثرتها فى الاستخدام .

إذْ : التعليلية ، مثل قوله تعالى : « ولن ينفعكم اليوم ، إذ ظلمتم ، أنكم فى العذاب مشتركون »[6] . وإذْ مبهمة فى جميع الزمان الماضى ، وتقع على الأزمنة الماضية كلها ، لا اختصاص لها بزمان منه دون آخر ، بل هى مبهمة فى الجميع[6] .

لنْ : وهى من الأحرف الدالة على الاستقبال فى المعنى ، مثل قوله تعالى : « فإن لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فاتقوا النار »[7] .

---

(١) د. فخر الدين قباوة - إعراب الجمل وأشباه الجمل ٧٣ .

(٢) الآية رقم ١٣٥ من سورة النساء .

(٣) الآيات رقم ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ من سورة الرحمن .

(٤) البيت بلا نسبة - راجع المعجم المفصل ١/ ٣١٤ - ٣١٥ .

(٥) الآية رقم ٣٦ من سورة آل عمران .

(٦) الآية رقم ٣٩ من سورة الزخرف وانظر : شرح المفصل ٣/ ١٨ ، ٤/ ٩٥ .

(٧) الآية رقم ٢٤ من سورة البقرة .

سوف : حرف تنفيس يدل على الاستقبال ، مثل قول زهير :

وَمَا أَدْرِي وسَوفَ إِخَالُ أدرى ... أقَومٌ آلَ حِصْنٍ أمْ نِسَاءُ[1]

حتى : تحمل على ذلك أيضاً حتى الابتدائية ، مثل قوله تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات ، حتى إذا حضر أحدهم الموت ، قال : إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار »[2] .

اللام الموطئة : وهى توطئ لجواب القسم ، وتدخل على أداة الشرط ، إشعاراً بأن الجواب بعدها مرتبط بقسم قبلها، والحقت بأحرف الاعتراض، لكونها تتصدر الجملة الشرطية ، فتجعلها اعتراضية لا محل لها من الإعراب ، مثل قول الشاعر :

لعمرى، لئن كنتم على النأى والغنى ... بكم مثل مابى ، إنكم لصديق

ففيه قسم ظاهر « لعمرى » والجملة الشرطية معترضة بين القسم وجوابه « إنكم لصديق »[3] .

د - الاعتراض والوظيفة النحوية

لا تكون الجملة الاعتراضية إلا كلاماً تاماً ، وقد صنفها النحاة فى إطار التحليل ضمن الجمل التى لا محل لها من الإعراب ، « اى أنها لا تمثل عنصراً إسنادياً ولا غير إسنادى فى بناء الجملة . ولكنها من جانب آخر لا تنفك عن الجملة الأصلية ، ولا تزول عنها من حيث معناها ، لأنه تعترض بين عنصرين متضامين متلازمين »[4] .

---

(١) البيت لزهير وقد مر فى ص ٤٠ من البحث .

(٢) الآية رقم ١٨ من سورة النساء .

(٣) راجع د. فخر الدين قباوة - إعراب الجمل وأشباه الجمل ٧٥ والبيت فى الأمالى ١/ ٢٨ .

(٤) د. محمد حماسة عبد اللطيف - فى بناء الجملة العربية ١١١ .

ولعل المقصود بالقول : لا تمثل عنصراً إسنادياً ولا غير إسنادى فى بناء الجملة هو أنها لا تقع موقع الخبر أو الفاعل أو المفعول أو الحال أو نحو ذلك، وهو ما يتفق مع تعليل ابن هشام وتفسير لمصطلح « لا محل لها من الإعراب » الذى علله « بأنها - أى الجمل التى لا محل لها من الإعراب - لم تحل محل المفرد ، وذلك هو الأصل فى الجمل »[1] اى لا تقبل التأويل بمفرد « ويمتنع قيام المفرد مقامها »[2] حتى يحكم لها بحكم المفردات ، أو تسمى تسمية المفردات من مبتدأ وخبر ، وفاعل أو مفعول . . . وهى معان نحوية ترد فى تكون الجملة العربية بنوعيها .

هـ - الاعتراض والفصل

فى كتاب المسائل الحلبيات لأبى على ما يوحى باستخدام مصطلح «الفصل» لنفس الشواهد التى أوردها فى حديثه عن الاعتراض ، يقول : « فإذا جاز الفصل بين الصلة والموصول بما ذكرنا من الاعتراض . . . » وفى موضع آخر من الكتاب يقول : «فإن قلت إذا كان الفصل بين الفاعل وفعله قد جاء . . . فهلا جاز الفصل بينهما بهذا المفعول ؟ قيل : ليس هذا الفصل كالفصل بمفعول المفعول ، لأن فى هذا الفصل تسديداً للقصة وتوكيداً لها ، فلما كان كذلك لم يكن الفصل بهذه الجملة كالفصل بمفعول المفعول الذى هو أجنبى من الفعل والفاعل . . . ويستمر كلام أبى على عن جواز الفصل بين الفعل والفاعل بالظرف ، كان فيك زيد راغباً . وفى هذا ما يوحى بأن أبا على لم يفصل بين المصطلحين . ولكن ثمة إشارة وردت فى مطلع كلامه الذى أوردناه ، وهى أنه اتخذ الاعتراض وسيلة من وسائل الفصل فى قوله : جاز الفصل . . . بما ذكرنا من الاعتراض »[3] . وماورد عند ابن جنى قريب من هذا الكلام[4] .

---

(1) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٨٢ . (2) السلسيلى - شفاء العليل ٢/ ٥٥١ .

(3) راجع مفصلاً : أبو على الفارسى - المسائل الحلبيات ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٥٧ بتصرف يسير .

(4) انظر : ابن جنى - الخصائص ٢/ ٣٩٠ - ٤١١ .

والرأى عندى أن الفصل عام ، والاعتراض خاص ، فكل اعتراض فصل، وليس كل فصل اعتراض ، إذ الاعتراض لا يقع إلا بجملة ، بينما الفصل يقع بالحرف والكلمة والجملة ، يؤيد ذلك ما أورده ابن هشام فى قوله : « وأما الاعتراض بكان الزائدة فى نحو قوله : « أو نبى كان موسى » فالصحيح أنها لا فاعل لها ، فلا جملة ويفهم من ذلك أن الاعتراض لا يقع إلا بجملة[1] .

و - الاعتراض والحال

يقترن الحديث عن الاعتراض والجملة الاعتراضية لدى النحاة بالحال والجملة الحالية[2] ، إذ يتبادر للذهن من خلال النظر إليهما أن ثمة تشابهاً بين الجملة المعترِضة والجملة الحالية ، ولذا فحديث النحاة عنهما معاً حديث تمييز لكل منهما ، وتبيين للفوارق التى تفرق بينهما ، ويمكننا حصر الفوارق بين كل منهما فيما يلى :

١ - الوظيفة النحوية . ٢ - الحالة . ٣ - الزمن .

١ - الوظيفة النحوية

سبقت الإشارة إلى أن الجملة الاعتراضية لا موضع لها من الإعراب ، بينما الجملة الحالية تشغل موقعاً من الإعراب ، ومحلها دائماً النصب ، وذلك لكون الحالية قابلة لإحلال المفرد محلها ، أما الاعتراضية فـ « يميزها عن الحالية امتناع قيام مفرد مقامها »[3] ، وكذا « سائر الجمل التى لا محل لها ، إنما سببه عدم حلول مفرد مقامها »[4] ، مما لا يجعل لها وظيفة نحوية كبقية المفردات فى الجملة ، مثل : المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ونحو ذلك .

(١) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٢٨٧ .

(٢) راجع : شرح التسهيل ٢/ ٣٧٥ - ٣٧٨ ، ارتشاف الضرب ٢/ ٣٧١ - ٣٧٦ ، ابن هشام ٢/ ٣٩٥ .

(٣) السلسيلى - شفاء الغليل ٢/ ٥٥١ .

(٤) السيوطى - همع الهوامع ٤/ ٥٥ وانظر شرح التسهيل ٢/ ٣٧٧ .

٢ - الحالة

يقصد بالحـالة ، هنا توضيح نوع الجـملة الاعتراضية من حيث الأسلوب التى تنتمى إليه ، فالاعتراضية تكـون غير خبرية ، أى إنشائية ، وهى تتنوع فى إنشائيتها بـين الأمر ، الدعاء ، القسم ، الاستفهام ، وهو مـا يستفاد منه « أن المعترضة تقع طلبية وأن الحالية لا تقع إلا خبرية ، وذلك بالإجماع »(١) . فهى - أى المعترضة - لا تحتمل صدقاً ولا كذباً .

وجملة الحال الـتى خلت من الطلبية والمـفتتحة بدليل استقـبال ، يعلم أن الجمـلة التى تـقع حالاً جمـلة ابتـدائية ، أو مصـدرة بأنَّ أو مصدرة بـكأنَّ أو مصدرة بلا التبرئة ، أو مصدرة بما ، أو مصـدرة بمضارع مثبت أو مضارع منفى بلا ، أو منفى بما أو مصدرة بِلَمْ أو مـصدرة بماض تالٍ لإلاَّ ، أو مصدرة بماض مخالف لما سبق(٢) .

٣ - الزمن

ثالث ما تتميز به الجملة المعترضة أنه يجوز تصديرها بدليل استقبال، مثل : السين ، أو سـوف ، أو لن ، وهى التـى أشرنا إليـها فى أحرف الاعـتراض . وتمتنع هذه الأحرف فـى الجملة الحالية ، لكون المراد بهـا الحال لا الاستقبال . وإلى هذا أشـار صاحب شرح التسـهيل بقوله : « قـيدت الجملة الواقـعة حالاً بالخبرية احترازاً من الطلبية ، فإنها لا تقع حالاً ، وكذلك المصدرة بفعل مقرون بحـرف تنفيـس أو منفى بـلن ، وإلى ذلك أشـار بقوله: غـير مفتـتحة بدلـيل استقبال »(٣).

---

(١) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٩٧ .

(٢) راجع بالتفصيل : ابن مالك - شرح التسهيل ٢/ ٣٥٩ - ٣٦١ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٥٩ .

ز - الاعتراض والصفة والتوكيد

ذكر صاحب « ارتشاف الضرب » أن « جملة الاعـتراض هى جملة المناسبة للمقصود بحيث يكون كالتوكيد له ، أو التنبيه عل حال من أحواله »[1] . وفى الهمع أن الاعتراضية هى التى تفيدنا تأكيداً أو تسديداً للكلام الذى اعترضت بين أجزائه ، وفى البسيط شرطها : أن تكون مناسبة للجملة المقصودة بحيث تكون كالتأكيد أو التنبيه على حال من أحوالها »[2] ، فالتوكيد غرض أساسى ومطلب ضرورى تسعى إليه الجملة الاعتراضية، وهو ما أشار إليه ابن هشام[3] .

ويذهب أبو على الـفارسى إلى الربط بين الاعتراض من جـانب ، والصفة والتوكيد من جـانب آخر ، ووجه الربط هو أن الاعتراض لا يكـون أجنبياً عن المتلازمين أو المـتطالبين ، يقول : « إن الاعـتراض قد شاع فى كلامـهم واتسع وكثر ، ولم يجر ذلك عـندهم مجرى الفصل بين المتصلـين بماهو أجنبى ، لأن فيه تسديداً وتبيناً ، فأشبه من أجل ذلك الصفة والتأكيد »[4] .

ح - الاعتراض والشرط

يقـع الاعتراض فى الـشرط بتعـاقب شرط لـشرط متقـدم عليه مـع توحّد الجواب لهما ، أى أن يتوارد شرطان على جواب واحد فى اللفظ على الأصح ، وكذا فى أكثر من شرطين ، وهو ما يعرف باعتراض الشرط على الشرط[5] .

---

(١) أبو حيان - ارتشاف الضرب ٢/ ٣٧٢ .

(٢) السيوطى - همع الهوامع ٤/ ٥١ .

(٣) راجع مغنى اللبيب ٢/ ٣٩٤ .

(٤) أبو على الفارسى - المسائل الحلبيات ١٤٣ .

(٥) صنّف العلامة ابن هشام الأنصارى (ت ٧٦٢ هـ) رسالة صغيـرة قيمة فى مسألة اعتراض الشرط على الـشرط ، وقد حقـقها د. عـبد الفتـاح الحموز ، وتقـع فى ٧٦ صفحة ، جـاء متن ابن هـشـام فى الصفحات من ٣١-٥٤ . وقد صدرت الطبعة الأولى منها ١٩٨٦ من دار عمّار - عمّان - الأردن .

وقد أشار إلى هذه القضية غير واحد من النحاة بعد تناول ابن هشام لها وشرحه إياها[1] .

وهذا الضرب من الاعتراض يقع على نحو معين من التركيب والاستخدام، قال ابن هشام : « تأملنا ما ورد من كلام العرب من اعتراض الشرط على الشرط ، فوجدناهم لا يستعملونه إلا والحكم معلّق على مجموع الأمرين بشرط تقدم المؤخَّر وتأخر المقدَّم ، فوجب أن يحمل الكلام على ما ثبت فى كلامهم ، كقول الشاعر :[2]

إنْ تستغيثوا بنا إن تُذْعَروا تجدوا   منا معاقِلَ عِزٍّ زانَها كَرَمُ

فإن الذعر مقدم على الاستغاثة ، والاستغاثة مقدمة على الوجدان[3] .

ويرى ابن هشام أنه إذا قيل : « إنْ تُذْعَروا إنْ تستغيثوا بنا تجدو ، أو : إنْ تتوضأ ، إنْ صليت أثِبْتَ ، كان كلاماً باطلاً لما قررنا من أن الصحيح أن الجواب للشرط الأول ، وأنَّ جواب الثانى محذوف ، مدلول عليه بالشرط الأول وجوابه . فيجب ألا يكون الشرط الأول وجوابه مسببين عن الشرط الثانى ، والأمر فيما ذكرنا بالعكس ، والصواب أن يقال : إنْ صليت إنْ توضأت أثِبْتَ ، بتقدير : إنْ توضأت فإنْ صليت أثِبْتَ[4] .

ويجوز الاعتراض بأكثر من شرطين ، مثل : إنْ أعطيتك إنْ وعدتك إنْ

---

(١) راجع فى هذه المسألة مثلاً : الصبان - حاشيته ٤/ ٣٠-٣٣ ، الرضى الاستراباذى - شرح الكافية ٢/ ٣٩٥ ، خالد الأزهرى - شرح التصريح ٢/ ٢٥٤ ، السيوطى - همع الهوامع ٤/ ٣٣٧ ، الأشباه والنظائر ٤/ ٨٣ - ٩٠ ، البغدادى - خزانة الأدب ٤/ ٥٤٨ ، الشهاب - حاشيته على تفسير البيضاوى ٥/ ٩٤ ، المرادى - توضيح المقاصد ٤/ ٢٦٦ .

(٢) راجع ابن هشام - اعتراض الشرط - تحقيق د. عبد الفتاح الحموز ٤٠ ولم يذكر قائله لعدم الاهتداء إليه .

(٣) ابن هشام - اعتراض الشرط على الشرط ٥١-٥٢ .

(٤) المصدر السابق ٥٣ .

سألتنى فعبدى حرٌّ ، فإن وقع السؤال أولاً ، ثم الوعد ، ثم العطاء ، وقعت الحرية ، وإنْ وقع على غير هذا الترتيب فلا حرية[1] .

ويلاحظ أن الجواب يظل معلقاً على حصول الشرطين ، أو الأكثر منهما معاً ، سواء أوقعا على ترتيبهما فى كلام أم متعاكسين أم مجتمعين .

وفى ضوء ما سبق فإن أياً من المسائل الخمسة الآتية لا يُدخلها النحاة فيما يعد من اعتراض الشرط على الشرط ، وتتمثل هذه المسائل فيما يلى :

١ - أن يكون الشرط الأول مقترناً بجوابه ، ثم يأتى الشرط بعد ذلك ، مثل قوله تعالى : « ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ».

٢ - أن يكون الثانى مقترناً بفاء الجواب لفظاً ، نحو : إن تكلم زيد فإن أجاد فاحسن إليه ، لأن الشرط الثانى وجوابه جواب الأول .

٣ - أن يكون الثانى مقترناً بها تقديراً ، نحو : فأما إن كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم .

٤ - أن يعطف على فعل الشرط شرط آخر ، مثل : « وإنْ تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ، إنْ يسألكموها فيحفكم تبخلوا .

٥ - أن يكون جواب الشرطين محذوفاً ، مثل : وامرأة مؤمنة إنْ وهبت نفسها للنبى[2] .

وهذه المسائل أمرها مفصل فى مظانها النحوية لمن أراد المزيد[3] .

---

(١) ابن هشام - اعتراض الشرط ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ٣١-٣٥ .

(٣) المصدر السابق ٣٦-٥٤ .

ط - الاعتراض والاستئناف

ساد الخلط بين الاعتراض والاستئناف فى استخدامات القدماء ، فربما يستخدم اصطلاح الاعتراض فى غير ما يراد به ؛ إذ علق الزمخشرى فى الكشاف على الآية الكريمة : « قالوا نعبد إلهك ، وإله آبائك : إبراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحداً ، ونحن له مسلمون » بقوله : « ونحن له مسلمون : حال من فاعل : نعبد ، أو مفعوله . ويجوز أن تكون جملة معطوفة على : نعبد وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة . أى ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون »[1] . فكما نلاحظ أنه ذكر جملة اعتراضية مؤكدة ، وهو يريد الاستئناف ؛ لكون الاعتراض فى هذا الموضع لا يقوى قوة الاستئناف .

كما وقع الخلط أيضاً فى استخدام الرضى فى تعليقه على حديث: « أطلبوا العلم ولو بالصين » فيقول : الظاهر أن الواو الداخلة على الشرط ، فى مثله، اعتراضية . ونعنى بالجملة الاعتراضية ما يتوسط بين أجزاء الكلام ، متعلقاً به معنى ، مستأنفاً لفظاً . وقد يجئ بعد تمام الكلام . كقوله ﷺ : أنا سيد ولد آدم ولا فخر »[2] فالصواب فى لاستخدام كما يبدو أن الجملة استئنافيجة ، ولا يجوز مثل هذا الخلط فى الإعراب .

ثامناً: الاعتراض فى شعر شوقى

تمثل الجملة لب النحو وجوهره ، لكونها تعبر عن المكونات المباشرة والعلاقات القائمة بينها فى نظام موحد . إنها تشكل صلب البحث النحوى ، ومحوره الأساسى ، فالنحو معنى بالوصف اللغوى لمختلف الجمل المفيدة .

---

(١) الزمخشرى - الكشاف ١/ ٩٦ والآية من سورة البقرة رقم ١٣٣ .

(٢) الرضى الاستراباذى - شرح الكافية ٢/ ٢٥٧ .

لقد كان النحاة - بداية بكتاب سيبويه - يهدفون فى المقام الأول إلى تحليل وتفسير الجمل النحوية والأسس التى تقوم عليها ، كما كانوا يحاولون توضيح أبواب النحو ، ووجوهه ، وتمييز قوانينه فى إطار نظرية العلاقات النحوية داخل الجملة ، بتوخى المعانى النحوية ، الناتجة عن الإعراب والعامل والمعمول. وفى ثنايا هذا كله لا تهمل الكلمة ، فإهمالها غير وارد ، إذ تعد من مكونات الجملة المفيدة .

وليست الجملة نوعاً واحداً ، أو نمطاً ثابتاً ، بل منها البسيطة والمركبة ، والاسمية والفعلية ، والاستفهامية ، والدعائية ، والندائية ، والظرفية ، والاعتراضية ، وغير ذلك من التراكيب المختلفة . ولاشك أن كل نوع من هذه الجمل يعتمد على عدد من العناصر التى تتآلف فيما بينها لتشكل نسيج الجملة على نحو معين ، وهذه العناصر تتبع نظاماً معيناً فى ترتيبها داخل كل جملة ، وهذا الترتيب لا يتخذ نظاماً معيناً فى ترتيبها داخل كل جملة ، ولا يثبت على حال واحد ، بل يتعرض للتغيير من تركيب إلى تركيب ، ومن جملة إلى جملة .

إن محاولة التعرف على التقاليب الممكنة هدف من الأهداف التى تسعى إليها دراسة الجملة عموماً ، لبيان الوجوه التى يكون عليها الكلام ، ومن ثم معرفة النظام الذى تتجسم فيه أية لغة من اللغات . كما أن دراسة البنية الداخلية للجملة ، أو لصور التراكيب التى تكون عليها ، تعتمد اعتماداً أساسياً على مراقبة حركة العناصر التى يتكون منها هذا التركيب أو ذاك ، وملاحظة مظاهر الترتيب لهذه العناصر . وتتبع هذه المظاهر بالاقتصار على مواطن التغيير يساعد على الكشف عن نوع التركيب والصورة التى يكون عليها .

ولا يخفى على أحد أن تغير الترتيب قد يقتضيه التركيب النحوى ، إذ لا يتخذ صورة واحدة ، بل يتنوع إلى صور متعددة ، فتارة نجده فى صورة التقديم

والتـأخيـر ، أو الاعتراض ، أو الحـذف ، أو الزيـادة وفى كل صـورة تتـعدد الحالات التى تأتى بها .

ومن المعلوم أن دراسة أى حالة من حالات تغيير الترتيب لعناصر الجملة لا تكـون مجدية إذا درسـت بمعزل عـن الاسـتخدام اللغـوى ، ولا يتضـح هذا الاستخدام إلا مـن خلال النصوص اللغويـة - شعراً ونثراً - حتى يمـكن حصر الظواهـر ورصد الملاحظـات الخاصة بكـل حالة ومن ثـم الخلوص إلى نـتائج ملموسة .

ولدراسة ظاهرة الاعتراض من خلال النصوص الـلغوية اخترنا شعر شوقى ليكون عوناً علـى رصد هذه الظاهرة ، وتتبعها فى المـواضع التى وردت فيها - وقد كان شعر شوقى موضـع اهتمامنا واختيارنا ليكون مجالاً للـتطبيق للأسباب الآتية :

- محاولة وصف هـذه الظاهرة بالاعتماد عـلى أبرز شعراء العربيـة فى العصر الحديث ، لـيتبين الدور الـذى يكون للفـرد فى إجراء مظاهـرها ، والأثر الذى يتركـه مستخدم اللـغة فيها ، لاسيـما إذا كان شاعراً مثـل شوقى ، وندرك الطـابع الذى تتسم بـه ظاهرة ما فى شعـر الشاعر ، والسبـيل إلى إثراء هذه الظاهرة من نـاحية ، وإلى بناء التراكيب الخاصة المـميزة انطلاقاً من إمكانات اللغة من ناحية أخرى .
- كثـرة شعر شوقـى وغزارته ووفرة مـادته ، يعطـى كماً أكبـر من العنـاصر التركيبية التى تساعد على إبراز الـظاهرة موضع الدراسة مما يجعل الباحث يطمئن إلى النتائج التى يصل إليها ، فمما لا شك فيه أن شوقى كان دفاقاً فى شعره ، كثيراً فى إنتاجه[1] .

---

(١) راجع الجدول الذى أورده محمد الهادى الطرابلسى - خصائص الأسلوب فى الشوقيات ٢٥ .

- لعل هذه الدراسة تمثل جانباً من جوانب الدراسة اللغوية المختلفة لشعر شوقى ، إذ يتصل بجانب من جوانب التركيب ، والمعنى السياقى لنمط من أنماط الجمل ، فالمتتبع لشعره يجد وفرة فى استخدامها ، وتنوعاً فى تركيبها ، وتفاوتا فى الغرض الذى من أجله يقع الاعتراض .

وتشغل الجملة الاعتراضية حيزاً كبيراً من شعر شوقى ، إذ يبلغ مجموع المواضع التى وقع فيها الاعتراض (٥٦٣) موضعاً . وكان وقوعه متخذاً أنماطاً متنوعة ، سواء أكان على مستوى الجملة **المعترضة** أم الجملة المعترِضة ، ودراستنا لهذه الظاهرة تأتى على مرحلتين : **الأولى** : تتعلق بالجانب التركيبى للاعتراض ، وتركز على مكونات الجملة المعترَضة والمعترِضة . **الثانية** : تتعلق بالمعنى السياقى للاعتراض ، وتهتم بدراسة المعانى التى من أجلها يحدث الاعتراض . ونتناول كل حالة منهما كما يلى :

١ - العناصر التركيبية للاعتراض

الهدف هنا هو دراسة مكونات الجملتين المعترَضة والمعترِضة ، لبيان أى العناصر التركيبية التى يقع فيها الاعتراض ، ونتناول فى البداية العناصر التركيبية للجملة المعترَضة ، وقد لوظ أن الاعتراض ربما يقع بين عناصر الجملة الفعلية ، وربما يقع بين عناصر الجملة الاسمية ، وربما يكون بين جزئين متلازمين ، مثل : الشرط وجوابه ، الصلة والموصول ، والبدل والمبدل منه ونحو ذلك مما سنوضحه فى الصفحات القادمة .

وينظر إلى الجملة المعترَضة على أنها الأصل ، وأن الجملة المعترِضة على أنها فرع قد زيدت أو أقحمت بين المتلازمين أو المتطالبين . وقد تنوعت أحوال الاعتراض بين عناصر الجملة المعترَضة ، ونحاول الآن إيضاح هذه التنوعات كما يلى :

أ - الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية

يشكل الاعتراض بين عناصر الجملة بوجه عام ملمحاً من ملامح التغيير فى التركيب النحوى ، كما يعد وسيلة من الوسائل التى تسهم فى إطالة الجمل ، وعاملاً من عوامل التغيير فى نظام الترتيب الأصلى لعناصر الكلام ، وأخيراً يعد أداة تفصل بين المتلازمين أو المتطالبين .

وقد حاولنا تتبع هذه الظاهرة فى شعر شوقى ، ولوحظ من خلال ذلك أن الاعتراض يحدث بين عناصر الجملة الاسمية ، والجملة الفعلية . وكان الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية أكثر من الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية ، إذ وقع بين عناصر الأولى فى (٢٩٧) موضعاً ، ووقع بين عناصر الثانية فى (٢٦٦) موضعاً .

وفى إطار الجملة الاسمية لوحظ أن الاعتراض بين عناصرها تنوع من صورة إلى صورة ، إذ هناك اعتراض بين عناصر مرتبة ، وآخر بين عناصر غير مرتبة . ويقصد بالترتيب ما تكون عليه الجملة الاسمية فى الأصل من مبتدأ وخبر ، كل فى موضعه ، كما يقصد بغير المرتبة ما تكون عليه الجملة الاسمية حين يتقدم الخبر ويتأخر المبتدأ ، كما تنوعت الجملة الاسمية التى يقع فيها الاعتراض بين المنسوخة وغير المنسوخة ، والجمل التى يحذف فيها المبتدأ ويبقى الخبر أو العكس .

يضاف إلى ذلك ماوقع من اعتراض بين ما يسمى بعناصر المكون الاسمى ، وهذا النوع لا يشترط فيه تمام الجملة ، كأن يقع الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ، والصلة والموصول ، والبدل والمبدل منه ، ويوضح ذلك الجدول الآتى :

نمط التركيب المعترَض	العدد
جملة اسمية مرتبة العناصر	١١٣
جملة اسمية غير مرتبة العناصر	٥٧
جملة اسمية منسوخة بفعل ناسخ	٣٩
جملة اسمية منسوخة بحرف ناسخ	٣٦
المعطوف والمعطوف عليه	٣٢
الصفة والموصوف	١٦
البدل والمبدل منه	١
الصلة والموصول	٣
	٢٩٧

١ - بين عناصر الجملة الاسمية المرتبة

يمثل الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية المرتبة العناصر أكثر أنماط الجملة الاسمية المعترضة شيوعاً ، وقد فصل الاعتراض بن المبتدأ والخبر المتنوع فى أحواله ، نذكر مما ورد فى شعر شوقى ممثلاً لذلك ، قوله :

حسامك من سقراط فى الخطب أخطب   وعودك من عود المنابر أصلب حـ١/ ٣٩

وقوله :

قلمى - وإن جهل الغبى مكانه -   أبقى على الأحقاب من ماضيك حـ١/ ١٥٥

وقوله :

هذى البقية - لو حرصتم - دولة   صال الرشيد بها ، وطال هشام حـ١/ ٢٢٥

هذه نماذج للاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية المرتبة العناصر ، ففى البيت الأول اعتراضات بين المبتدأ « حسامك » والخبر « أخطب » ، وكذا بين

المبتدأ « عودك » والخبر « أصلب » . وفى البيت الثانى اعتراض بين المبتدأ « قلمى » والخبر « أبقى » وفى الثالث اعتراض بين المبتدأ « هذى البقية » والخبر « دولة » . ويلاحظ أن الخبر تنوع بين المفرد والجملة الفعلية ، ولم يقع لنا خبر جملة اسمية ، كما لوحظ أن الجملة الفعلية كانت أكثر شيوعاً من الخبر المفرد .

٢ - بين عناصر الجملة الاسمية غير المرتبة

كما وقع الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية غير المرتبة فى (٥٧) موضعاً، وفى هذه المواضع قدم الخبر شبه الجملة على المبتدأ النكرة ، وقد غلب عليه شبه الجملة الجار والمجرور ، إذ ورد فى (٥٤) موضعاً ، أما شبه الجملة الظرف فقد ورد فى (٢) موضعين جاء النوع الأول فى قول شوقى :

لى فى مديحك يارسول عرائسٌ تُيِّمْنَ فيك، وشاقهن جلاء حـ١/٣٧

وقوله :

وللمستعمرين وإنْ ألانوا قلوبٌ كالحجارة، لا تَرِقُّ حـ٢/٧٦

فالمنادى فى البيت الأول اعتراض بين الخبر الجار والمجرور والمبتدأ «عرائس» ، وأداة الشرط وفعلها اعتراض بين شبه الجملة الجار والمجرور والمبتدأ قلوب .

ومن النوع الثانى قوله :

وعندى للرجال - وإنْ تَجافَوْا - مَنازلُ فى الحفاوَة لاتُقَات حـ٣/٤٧

الاعتراض الشرطى فصل بين شبه الجملة الظرف والمبتدأ « منازلُ » .

لعل تقديم الخبر على المبتدأ له مايبرره من الناحية التركيبية ، وهو كون المبتدأ نكرة ، ولا يبتدأ بنكرة إلا بمسوغ ، كما لا يتقدم الخبر على المبتدأ إلا

بمسوغ ، والأمر لا جدال فيه لدى النحاة ، ربما يكون هناك ما يبرر البدء على هذه الصورة من الناحية الدلالية ، وهو إبراز المعترَض عليه ، والتعجيل بذكره، وإظهاره لدى القارئ ، حتى لا يسبق إلى الخاطر أمر آخر ، وذلك إشعار بخصوصية المعترض عليه .

وثمة اعتراض حدث بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر ، وإن كان الخبر معرفة والمبتدأ معرفة ، وهو نمط لا يتكرر كثيراً ، إذ ورد فى موضعين ، منهما قوله :

فقلت : للمجد أشعارى مُسَيَّرة وفى غوانى العلا لافى المها وطرى حـ٢/ ١٢٤

فالاعتراض فى الشطر الثانى وقع بين الخبر المقدم، وهو « فى غوانى العلا » والمجرور مضاف إلى معرف بأل ، والمبتدأ المؤخر « وطرى » المعرف بإضافته إلى ضمير ، ولعل الغرض هنا بيان أمر خاص يهتم به ليجذب النظر إليه فيما قصد .

ولئن كان الاعتراض فيما مضى قد وقع بين أركان الجملة غير المرتبة ، وكان الداعى لذلك كون المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة ، فإن هناك اعتراضاً وقع بين الخبر المقدم النكرة ، والمبتدأ المؤخر المعرفة ، وقد ورد هذا فى موضع واحد (١) فى قوله :

تُسْمع الأرض قيصراً حين تدعو وعقيم من أهل مصر الدعاء حـ١/ ٢٢

فالاعتراض فى الشطر الثانى ممثل فى الجار والمجرور المعرف بالإضافة فصل بين الخبر المقدم « عقيم » والمبتدأ المؤخر « الدعاء » ، وأغلب الظن أن الغرض هو بيان عدم الجدوى فيما يُسعى من أجله .

كما وقع الاعتراض بين الخبر شبه الجملة المقدم والمبتدأ المؤخر المؤول بالمصدر فى (٥) مواضع ، منها قوله :

من الزيادة فى البلوى وإن عظمت   أن يعلم الشامتون اليوم ماعلموا حـ١/ ٢٠١

وقوله :

ومن المروءة وهى حائط ديننا   أن نذكر الإصلاح والإحسانا حـ١/ ٢٦٨

فالاعتراض فى البيت الأول فصل بين الخبر شبه الجملة « من الزيادة » والمبتدأ المؤول بالمصدر « أن يعلم الشامتون » وكذلك فصل فى البيت الثانى بين شبه الجملة « من المروءة » والمبتدأ المؤول بالمصدر « أن نذكر الإصلاح » .

٣ - الجمل الاسمية المنسوخة بالفعل

ومن الاعتراض كذلك ما ورد فى الجمل الاسمية المنسوخة ، سواء أكانت منسوخة بفعل ، أم منسوخة بحرف . وقد وقع الاعتراض بين أركان الجملة المنسوخة بناسخ فعلى فى (٣٩) موضعاً ، وهذا الناسخ الفعلى توزع بين : كان وما يتصرف منها (٣٣) موضعاً ، وليس (٢) موضعان ، ومازال (١) موضع واحد ، والمضارع من كاد التى من أفعال المقاربة (٢) موضعان .

ولوحظ أن كان متنوعة بين النفى (٣) مرات ، والإثبات (٩) مرات ، والمضارع (١) مرة، والماضى (١١) مرة ، وما يكون اسمها ظاهراً (٨) مرات ، أو مقدراً (٢) مرتان ، ويتنوع الاسم الظاهر بين الضمير المتصل (٣) مرات ، والاسم الصريح (٧) مرات .

جاء الاعتراض مع المنسوخة بـ « كان » ، فى قوله :

فلما استلْلتَ السيف أخلب برقهم   وماكنت يابرق المنية تُخْلب حـ١/ ٤٠

وجاء الاعتراض مع الجملة المنسوخة بالفعل الجامد « ليس » فى قوله :

والحق ليس - وإن علا - بمؤيد   حتى يحوّط جانبيه حسام حـ١/ ٢١٦

وجاء مع مازال فى قوله :

ومـــارلـــنــا إذا دهـــت الـــرزايـــا كأرحم مايكـون البيت آلا حـ٢/ ١٨٢

ومع المضارع من كاد فى قوله :

تـكـــاد - وإنْ هـى لـم تـتـصـل بروح - تُحَرِّكُ أوصـالهـا حـ٢/ ١٨٥

فكاد من الأفعال الناسخة التى لا يكون خبرها إلا جملة فعلية فعلها مضارع ، وهى ما تسمى بأفعال الرجاء والشروع والمقاربة ، ولم يرد من هذه المجموعة إلا ما ذكرنا ، وخبر « كاد » فى أكثر أحواله يقل اقترانه « بأنْ » .

٤ - المنسوخة بالحرف

وهناك اعتراض بين أركان الجملة الاسمية المنسوخة بالحروف العاملة عمل ليس ، مثل « لا » و « ما » ، فى مثل قوله :

لا المـصائـبُ إذ يرمـى الرجـالُ بهـا بقاتلاتٍ إذا الأخلاق لم تُصَب حـ١/ ٥٨

فصل الاعتراض بين اسم لا « المصائب » وخبرها « بقاتلاتٍ » على من زعم أنها قد تعمل فى المعرفة ولم تعمل « ما » عمل ليس فى قوله :

وماالحيـاةُ -إذا اظُمَت- وإنْ خَدَعت إلاسرابٌ على صحراءَ يلتمع حـ١/ ١٤٧

تعدد الاعتراض الشرطى مع اختلاف أداة الشرط ، ففصل بين المبتدأ والخبر ، لكون « ما » غير عاملة ، بسبب الفصل بين اسم « ما » وخبرها ، ومن شروط إعمالها الا يفصل بين اسمها وخبرها بفاصل ، لاسيما « إلا » ، وذلك لأن « ما » حرف يعمل على التوالى وعدم الفصل ، والكلام على هذه الصورة يفيد التوكيد ودفع الشك .

وإذا كان الاعتراض قد وقع بين أركان الجملة الاسمية المنسوخة بالفعل فإنه قد حدث بين أركان الجملة المنسوخة بالحرف ، إذ وردت النواسخ الحرفية المشبهة بالفعل المتمثلة فى « إن » وأخواتها فى (٣٦) موضعاً ، وقد انحصرت

هذه الأحرف فى « إنَّ » العاملة التى وردت فى (١٩) موضعاً ، و « أنَّ » فى (٧) مواضع ، « وكأنَّ » فى (٦) مواضع ، ولكن فى (٤) مواضع .

فمن مواضع الاعتراض بين اسم « إن » وخبرها قوله :

وإنى – ولامن عليك بطاعة – أجِلُّ، وأغلى فى الفروض زكاتى حـ١/ ٩٣

وقوله :

إن القلوب – وأنت ملءُ صميمها – بعثت تهانيها من الأعماق حـ٢/ ٧٩

فالاعتراض حدث بين جمل منسوخة مرتبة العناصر ، بين اسم الناسخ وخبره . وهناك اعتراض بين خبر الناسخ شبه الجملة المقدم والاسم المؤخر ، من ذلك قوله :

إنَّ للوحش – والعظام مناها – لمنايا أسبائهن العظام حـ١/ ٢٣٢

وقوله :

أنا لا أدعو على «سين» طغى إنَّ للسين –وإن جا– ذماما حـ٢/ ٩٠

فصل الاعتراض فى البيتين بين الخبر شبه الجملة المقدم واسم « إنَّ » المؤخر ، وقد لوحظ أن « إنَّ » فى كل المواضع التى تتبعناها كانت عاملة ، باستثناء موضع واحد جاءت فيه غير عاملة ، لكونها ألحقت بـ « ما » الكافة عن العمل ، وذلك فى قوله :

إنما الأسوة – والدنيا أسىً – سببُ العُمران، نظمُ العالمين حـ١/ ٢٤٤

فكما يبدو أن الاعتراض هنا حدث بين المبتدأ والخبر ، لكون « إنَّ » غير عاملة من حيث الوظيفة ، ولكنها ما تزال تفيد التوكيد الذى زادته « ما » بدخولها توكيداً أيضاً .

وأما الاعتراض بين اسم « أنَّ » وخبرها ، ففى مثل قوله :

ولست تملك من أمر الدليل سوى ... أن الدليل -وإنْ أرداك- متَّبَعُ حـ١/١٤٧

وما وقع من اعتراض بين اسم « كأن » وخبرها ففى قوله :

كانها - وسلام الملك يطلبها - ... أمانةٌ عند ذى عهد يؤدِّيها حـ١/٢٧٩

كأن الله - إذ قسم المعالى ... لأهل الواجب-ادخَّر الكمالا حـ٢/ ١٨١

الاعتراض مع هذا الحرف جاء بين عناصر الجملة الاسمية المرتبة ، فلم يقع لنا خلاف ذلك ، وقد لوظ أن اسمها جاء ضميراً فى (٣) مواضع ، وجاء اسماً صريحاً فى (٢) موضعين .

وجاء الاعتراض بين اسم « لكنَّ » وخبرها فى قوله :

لكنَّ مصرَ وإنْ أغضتْ على مقةٍ ... عَيْنٌ من الخُلْد بالكافُور تَسقينا حـ٢/ ١٠٥

فالاعتراض الشرطى فصل بين اسمها وخبرها ، وهذا الناسخ قليل الاستخدام والورود .

٥ - بين العناصر المتلازمة المتتابعة

وثمة نوع آخر من الاعتراض وقع بين المتلازمين ، مثل الصلة والموصول ، والصفة والموصوف ، والمعطوف والمعطوف عليه ، والبدل والمبدل منه . وهذا الضرب قليل إذا ما قيس بالاعتراض بين المبتدأ والخبر ، ويبدو ذلك من الجدول السابق . فما جاء بين الصلة والموصول مثل قوله :

من الذين - إذا سارت كتائبهم - ... تصرَّفوا بحدود الأرض والتخم حـ١/ ١٩٣

وما جاء بين الصفة والموصوف قوله :

أو كحوت - يرتمى الموج به - ... سابح بين ظهور وخفاء حـ٢/٤

وقوله :

وقـال : كرب - يـاأخي - عـظيـم فقف، فـمشيى كلُّهُ عـقيمُ حـ٤/ ١٧٥

فالاعتـراض هنا بين المـوصوف والصفة المـفردة ، وما جاء بـين الموصوف والصفة الجملة ، قوله :

وفـكـر - وإنْ عـقــلَتْه الحـيـاة - يـظل بـوادى المـنـايا بـرود حـ٣/ ٦٨

ويلاحظ أن الجـملة الفـعلية هى الـتى شاع الوصف بـهـا ، إذ لم يقـع لنا الوصف بالاسمية .

وما جاء من اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ، ففى قوله :

فابنوا - على بركات الله - واغتنموا ماهيّأ الله من حظ وإقبال حـ١/ ١٧٣

وقوله :

وعـماد الـصـديـق - إنْ مال دهـرٌ وشفـاءَ المحزون مـن أكداره حـ٣/ ٧٤

وأما الاعتراض بين البدل والمبدل منه ، ففى قوله :

ذاك - والله - الغـنى كـل الغـنى أى صعب فى المعالى ماسلك حـ٢/ ١٧٥

فالقسم اعتـراض فصل بين البدل المعرف بـ (ال) والمبـدل منه اسم الإشارة ذاك . ويلاحظ أن هذه الـفئة من المتلازمات تـتفق جميعها فى أن الجـزء الثانى منها لا يشغل وظيـفة نحوية ، بل تتمثل الوظيفة فـى الجزء الأول منها فقط . كما يـلاحظ أن الجزء الثانـى يتفاوت من حـالة إلى حالـة ، فجملة الـصلة لا يستـغنى عنـها اسم الموصـول ، بينما الجـزء الثانى مـن التوابع يمـكن للمـتبوع الاستغناء عنه .

تلك هى صورة الاعتراض بين عناصر الجملـة الاسمية بأحوالها المختلفة ، وقد لوحظ من خلال متابعتنا ما يلى :

- شيوع الاعتراض بين عناصر الجملة المرتبة العناصر ، يليه الجملة غير المرتبة فى عناصرها ثم كثرته فى الجملة المنسوخة بالفعل والحرف . كما لوحظ أن الاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه يزيد على غيره من التوابع ، وكان الاعتراض بين البدل والمبدل منه أقل الحالات وقوعاً .

- لم يقع لنا اعتراض بين الجار والمجرور ، كما لم يقع لنا اعتراض بين الصفة والموصوف بجملة اسمية ، كما لم يقع لنا اعتراض بين المبتدأ والخبر حين يكون جملة اسمية . وقد اتفق كل من الموصوف والمبتدأ فى أن الجزء الثانى الذى يفصل بينهما قد يكون مفرداً أو جملة فعلية .

- شبه الجملة الجار والمجرور أكثر شيوعاً من شبه الجملة الظرف فى الاستخدام، كما شاع الاعتراض بين عناصر الجملة المنسوخة بـ « كان » أكثر من النواسخ الفعلية الأخرى ، كما كانت « إن » أكثر من النواسخ الحرفية الأخرى .

ب - الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية

تنوعت مواقع الاعتراض بين مكونات الجملة الفعلية ، واختلفت العناصر التى تفصل بينها ، إذ تبين من خلال المتابعة أن الاعتراض فى إطار الجملة الفعلية قد يقع بين الفعل والفاعل ، أو الفعل ونائب الفاعل ، أى بين عنصرين أساسين ، أو بين عنصر أساسى وآخر مكمل للجملة ، مثل الاعتراض بين الفعل والمفعول ، أو الفاعل والمفعول ، أو الفاعل والحال ، أو بين عنصرين مكملين للجملة ، مثل : الاعتراض بين المفعول الأول والثانى ونحو ذلك من المواضع التى يوضحها الجدول الآتى :

العدد	نمط التركيب المعترَض
٣٦	الاعتراض بين الفعل والفاعل
١٢	الاعتراض بين الفعل ونائب الفاعل
٥٦	الاعتراض بين الفاعل والمفعول
٢٣	الاعتراض بين الفعل والمفعول
١٥	الاعتراض بين الفاعل المؤخر والمفعول المقدم
٦	الاعتراض بين الفاعل والحال
٩	الاعتراض بين المفعول الأول والثانى
١٣	الاعتراض بين الفاعل والجار والمجرور
١٤	الاعتراض بين المفعول والجار والمجرور
٨٢	الاعتراض فى الجملة الإنشائية
٢٦٦	

يوضح الجدول السابق أن الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية يمثل تواردا غير قليل فى شعر شوقى ، كما يبدو أن هذا االاعتراض لم يترك اى عنصرين متلازمين من عناصرها ، سواء أكانت هذان العنصران من أسسها أم من مكملاتها ، أو بمعن آخر بين العامل ومعموله ، أو بين معمولين ، أدهما عمدة مرفوع والآخر فضلة منصوب ، أو بين معمولين منصوبين . وبيان ذلك كما يلى :

١ - الاعتراض بين الفعل والفاعل

الاعتراض الحادث بين الفعل والفاعل هو اعتراض بين عنصرين مرتبين ، ومكونين هما عماد الجملة الفعلية ، إذ لا فعل بدون فاعل ، ولا يكون فاعلاً

إلا إذا تقدمه فعل - لازم أو متعدى - تام يكتفى بمرفوعه ، ويدل على حدث مقترن بزمن ، كما يشترط فيه أن يكون بوزن « فَعَل » ، ولذا فالفصل بينهما هو فصل بين عنصرين متطالبين لا يستغنى احدهما عن الآخر ، وقد ورد هذا النمط عند شوقى فى مواضع متعددة ، منها قوله :

تهفو إليك - وإنْ أدميتَ حبَّتها فى الحرب-أفئدة الأبطال والبُهَم حـ١/١٨٨

وقوله :

لم تبقَ منا - يافؤادُ - بقيةٌ لفتوةٍ أو فضلةٌ لعِراك حـ٢/١٧٨

فالاعتراض فى البيت الأول بين الفعل « تهفو » والفاعل « أفئدة » ، وفى البيت الثانى فصل بين الفعل « تبق » والفاعل « بقية » .

٢ - الاعتراض بين الفعل ونائب الفاعل

الفعل مع نائب الفاعل يكون تاماً بوزن « فُعِل » ، وقد وقع الاعتراض بينهما فى شعر شوقى ، وإن كان شيوعه يقل كثيراً عن الاعتراض بين الفعل والفاعل ، من ذلك قوله :

فيه فخرها المؤيَّدُ، مهما هُزَّ بالسيد الكليم اللواءُ حـ١/ ٢٤

وقوله :

طُبِعت من السم الحياةُ، طعامُها وشرابُها،وهواؤها المتنشَّقُ حـ٣/ ١١١

فالاعتراض فى البيت الأول فصل بين الفعل « هُزَّ » ونائب الفاعل « اللواء » ، كما فصل فى البيت الثانى بين الفعل « طُبِعْت » ونائب الفاعل « الحياةُ » وقد لوحظ أن الفعل جاء بصيغة الماضى ، ولم يرد بصيغة المضارع ، ولم يتجاوز صيغة الفعل الثلاثى فيما ورد من مواضع .

٣ - الاعتراض بين الفاعل والمفعول

يمثل الاعتراض بين الفاعل والمفعول زيادة بين عنصرين ، أحدهما : أساسى ، والثانى : غير أساسى ، ويشكل الاعتراض بين هذين العنصرين سمة واضحة فى إطار الجملة الفعلية ، وربما يكون الفاعل والمفعول وفق ترتيبهما فى الجملة ، وربما يكون على غير ترتيب فى موضعهما فيتأخر الأول ويتقدم الثانى ، ويمثل لذلك فى شعر شوقى قوله :

المثل هذا ذُقْتَ فى الدنيا الطَّوى وانشقَّ من خَلَقٍ عليك رداءُ؟ حـ١/ ٣٧

وقوله: يسأل الناسُ عندها الناسَ: هل فى الناس ذو المقلة التى لاتنام حـ١/ ٢٨٨

فى البيت الأول اعتراضان ، أحدهما بين الفاعل تاء المخاطب والمفعول « الطوى » وثانيهما بين الفعل « انشق » والفاعل « رداء » . وفى الثانى فصل بين الفاعل « الناسُ » والمفعول « الناسَ » . ويلاحظ أن الاعتراض الحادث جاء بين فاعل ظاهر ومفعول ظاهر .

٤ - الاعتراض بين الفعل والمفعول

هذا الاعتراض ظاهره بين الفعل والمفعول ، والأصل الا يوجد المفعول إلا بوجود الفاعل ، ولكن قد يحذف الفاعل من الجملة حذفاً ظاهرياً ، فيكون مستتراً ، مثل ذلك قوله :

مُلْكٌ نشاطره ميامَن حالِه وترى بإذن الله حُسنَ مآله حـ١/ ١٥٩

ومثل :

فابلغْ - فَدَيْتُكَ - كلَّ ما ثك، فالملا ينوى ابتلاعك حـ٢/ ٨٠

فالاعتراض فى البيت الأول « بإذن الله » فصل بين الفعل « ترى » والمفعول حُسنَ والفاعل مستتر ، كما فصل الاعتراض « فديتك » بين

الفعل « أبلغ » والمفعول « كلٌّ » والاستتار هنا واجب ، ويلاحظ أن المفعول ظاهر صريح ، وربما يكون مفعولاً مؤولاً من أنَّ ومعموليها ، مثل :

ماكنت أعلم - والحوادث جمة - أن الحوادث مُقْلَةٌ وقوام حـ٢/ ١٣٥

فصل الاعتراض بين الفعل « أعلم » والمفعول المؤول بالمصدر من أن ومعموليها وكان الاعتراض فى كل ما سبق واقعاً بين عناصر مرتبة فى موقعها .

٥ - الاعتراض بين الفاعل المؤخر والمفعول المقدم

الأصل فى الفاعل أن يتقدم على المفعول ، ولكن يجوز أن يتقدم المفعول على الفاعل ، إذا كان اللبس مأموناً فى الجملة . وثمة مواضع يكون تقدم المفعول فيها واجباً ، فمن النوع الأول ، وهو تقدم المفعول جوازاً ، قوله :

يتولى البحارَ - مهما ادلهمت - منك فى كل جانب لألاءُ حـ١/ ١٥

وقوله :

منع اللُّبْثَ وإن طال المدى فَلَكٌ ما العصاه مُسْتَقَر حـ٢/ ١٦١

لوحظ من خلال تتبع هذه الصورة من الاعتراض بين المفعول المقدم جوازاً على الفاعل أنها قليلة الورود ، إذا ما قورنت بالصورة التى يتقدم فيها المفعول على الفاعل وجوباً، لكون المفعول المقدم ضميراً متصلاً والفاعل اسماً ظاهراً ، ويمثل ذلك من شعر شوقى قوله :

ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ بيانٌ غيرُ مختلفٍ ونُطْق حـ٢/ ٧٦

وقوله :

لقد لامنى ياهند فى الحب لائمٌ مُحِبٌّ إذا عُدَّ الصِّحابُ حبيبُ حـ٢/ ١١٤

فهذه الصورة لا يجوز فيها تقديم الفاعل على الضمير المتصل .

٦ - الاعتراض بين المفعول الأول والثاني

وفى إطار الحديث عن المفعول يحسن أن نشير إلى أن الاعتراض قد يقع بين المفعول الأول والثانى فى الجملة التى تشتمل على فعل ناصب لمفعولين ، والاعتراض بينهما هو اعتراض بين جزئين مكملين ، مثل قوله :

وهبتك غير هياب يَراعاً أشدُّ على العدوّ من الحسام حـ١/ ١٩٩

وقوله :

فحسبتها - والحساب يُجْدى - ساحرة من ساحرات الهند حـ٤/ ١٣٠

فالاعتراض فى البيت الأول فصل بين المفعول الأول « كاف المخاطب » والمفعول الثانى « يراعا » وفى البيت الثانى فصل بين المفعول الأول « هاء الغائبة » والمفعول الثانى « ساحرة » .

٧ - الاعتراض بين الفاعل والحال

الحال من المكملات فى الجملة ، شأنه شأن المفاعيل بأحوالها المختلفة ، وقد وقع الاعتراض بين الفاعل والحال ، وهو قليل الورود ، قال شوقى :

طلعنا - وهى مقبلةٌ - أسوداً ورحنا -وهى مدبرةٌ- نعاما حـ١/ ٢١٠

فالاعتراض هنا بين الفاعل والحال المفرد ، وقد وقع فى البيت مرتين .

٨ - الاعتراض بين الفاعل وشبه الجملة المتعلق به

ثمة اعتراض بين الفاعل والجار والمجرور ، من ذلك قول شوقي :

فأدبروا - ووجوه الأرض تلفهم - كباطل من جلال الحق منهزم حـ١/ ١٨٨

وهذا الضرب قليل الورود فى الاستخدام .

٩ - الاعتراض بين المفعول وشبه الجملة المتعلق به

كما وقع الاعتراض بين المفعول والجار والمجرور فى قوله :

يطأطئُ العلماءُ الهامَ إنْ نَبَسوا من هيبة العلْم لا من هيبة الحُكُم حـ١/ ١٩٣

وتشبه هذه الصورة سابقتها فى قلة شيوعها واستخدامها ، وفى كلتا الحالتين فالجار والمجرور متعلق بما يسبقه ، لكونه يوضح مبهماً ، أو يزيل غموضاً علق به .

١٠ - الاعتراض فى الجملة الإنشائية

شغل الاعتراض فى إطار الجملة الإنشائية مواضع متعددة بين عناصرها المختلفة بأحوالها المتعددة ، فالإنشاء ليس شكلاً واحداً ، بل أشكال تتنوع بين الأمر والنهى ، والنفى ، والنداء ، والقسم ، والشرط ، والاستفهام .

فمن نماذج الاعتراض بين الطلب وجوابه ، قول شوقى :

وسل القبورَ - ولا أقول سل القرى - هل من ربيعة حاضرٌ أو بادى حـ١/ ١٠٨

وقوله :

ودعوا التفاخر بالتراث - وإنْ غلا - فالمجد كسبٌ والزمان عصام حـ١/ ٢٢٤

فالطلب هنا وقع بفعل الأمر الصريح ، وقد ورد فى (١١) موضعاً ، وهو نمط يزيد عن الطلب باسم فعل الأمر الذى ورد فى (٥) مواضع ، مثل قوله :

إيه - فروق - الحسن نجوى هائم يسمو إليك بجده وبخاله حـ١/ ١٦٠

ومثل :

إيه - عبد الحميد - جلَّ زمان أنت فيه خليفة وإمام حـ١/ ٢٢٨

فروق : الأستانة . ويلاحظ أنه لم يرد من أسماء أفعال الأمر غير هذا

الاسم الذى يدل على طلب الاستزادةَ مما يليه .

ووقع الاعتراض بين النداء ومطلوب النداء فى (١٢) موضعاً ، من ذلك قوله :

ياقلب أحمد - والسهامُ شديدةٌ ماذا لقيت من الغزال الرامى؟ حـ٢/١٣٨

ووقع الاعتراض بين القسم والمقسم عليه ، فى (٩) مواضع ، منها قوله :

والله ماأدرى - وأنت وحيده - أعليه يُبكى، أم عليك يُناح حـ٣/٥١

وجاء الاعتراض بين الشرط وجوابه فى (١١) موضعاً ، من ذلك قوله :

لولا امتنان العين - ياطيف الرضا - ماسامحت أيامها فيما جرى حـ٢/٣٣

وقوله :

كلما رنَّ فى المسارح - إن كنت - انثنى بالهُتاف والتهليل حـ٣/١٣٨

وأخيراً وقع الاعتراض فى تركيب الاستفهام فى (٢٥) موضعاً ، من ذلك قوله :

أين - ياواحدَ مروانَ - عَلَمْ من دعاك الصقر سمَّاه العُقابَ؟ حـ٢/١٧٧

وقوله :

يارَبٌ، قلْ: سَيْفُكَ أم سَيْفُه ؟ أيُهما - ياربُّ - ماضٍ ثقيل؟ حـ٤/٤٨

فالاعتراض وقع بين الاستفهام فى البيت الأول والمستفهم عنه ، وفى الحالتين فقد فصل بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر ، وهناك اعتراض وقع فى تركيب الاستفهام فصل فيه بين الفاعل والمفعول فى قوله :

هل ترحمون - لعل الله يرحمكم - بالبيد أهلاً، وبالصحراء جيرانا؟ حـ١/٢٣٣

كما جاء الاعتراض فى تركيب الاستفهام ليفصل بين المفعول الأول والثانى

في قوله :

هل تراهم - وأنت موف عليهم - غير بُنْيَانِ أُلْفَةٍ واتحاد؟ حـ٣/٥٧

وهو استفهام حرفي ، تمثل في « هل » وهو حرف غير مختص ، يدخل على الاسم والفعل على السواء .

على هذا الحال كانت صورة الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية ، وقد لوحظ ما يلي :

- شيوع الاعتراض بين الفعل والفاعل ، ثم بين الفاعل والمفعول ، ثم الفعل والمفعول ، يلي ذلك الاعتراض بين الفاعل المؤخر والمفعول المقدم ، ثم الفعل ونائب الفاعل ، وأخيراً بين المفعول الأول والثاني ثم الفاعل والحال .
- لوحظ أن أنماط الجملة الإنشائية تمثل مجتمعة نسبة شيوع واضحة في الاستخدام ، وقد مثل الاعتراض في تركيب الاستفهام نسبة عالية في الاستخدام ، يليه ما ورد بين النداء ومطلوبه ، ثم الطلب وجوابه ، ثم الشرط وجوابه ، وأخيراً بين القسم والمقسم عليه .

جـ - انماط الجملة المعترضة

تعدد الاعتراض بين الجزئين المتلازمين ، واختلفت عناصره المكونة له . لقد تنوعت التراكيب المعترِضة تنوعاً ملحوظاً ، فربما تكون جملة تامة ، أو شبه جملة ، أو كلمة واحدة ، ولم يكن كل نوع من هذه الأنواع نمطاً واحداً ، والجدول الآتي يوضح بصورة مجملة مجموع ما رد في كل شكل .

العدد	نمط التركيب المعترِض
١٧٧	جملة اسمية تامة
٢٩٤	جملة فعلية تامة
٨٦	شبه جملة
٦	كلمة واحدة
٥٦٣	

كما يبدو من الجدول السابق فقد تفاوت كل نمط عن الآخر تفاوتاً واضحاً، وهذا التفاوت لم يكن حادثاً بين نمط ونمط فقط ، بل كان النمط الواحد يسوده التباين بين أحواله المختلفة .

لقد تنوعت الجملة الاسمية بين الجملة غير المنسوخة ، والجملة المنسوخة ، وكان النوع الأول أكثر أشكال الجملة الاسمية وروداً ، إذ وردت فى (١٥٣) موضعاً ، بينما وردت المنسوخة فى (٢٤) موضعاً ، وقد لوحظ أن الخبر فى أكثر الجمل جاء مفرداً (١٦٢) موضعاً ، وفى (١٥) موضعاً جاء جملة فعلية .

١ - الاعتراض بالجملة الاسمية

فمن الجمل الاسمية المعترِضة التى جاء فيها الخبر مفرداً ، قوله :

ومن المروءَةِ - وهْى حائطُ دِينِنا -   أن نذكرَ الإصلاحَ والإحسانا حـ١/٢٦٨

ومن الجمل الاسمية المعترِضة التى جاء فيها الخبر فعلاً ، قوله :

عهد الفرنج - وانت تعلم عهدهم -   لا يبخسون المحسنين فتيلا حـ١/١٦٤

وثمة جمل اعتراضية اسمية تامة كان الخبر فيها جملة فعلية ، جاءت على طريقة التعجب القياسية ، فى قوله :

من ضحاياه - وما أكثرها ! -   ذلك الكاره فى غضِّ العُمُر حـ١/١١٨

وهذا الضرب من الجمل الاعتراضية قليل الورود ، فلم يقع لنا إلا فى موضعين خلال تتبعنا لها .

فأما الاعتراض بالجملة الاسمية المنسوخة فلم يكن شائعاً شيوع النوع الأول، قال شوقى :

يانجم سوريًا - ولستَ بأولٍ - ماذا نَمَتْ من نيِّرٍ وقَّاد ؟ حـ١/١٠٨

وقال :

وُلِدَتْ - فكنتَ المهدَ - ثم ترعرعت فأظلها منك الحَفِيُّ المُشْفِق حـ٢/ ٧٢

(يقصد فى البيت الثانى بالميلاد ميلا الحضارة فى مصر، والنيل هو المهد لها)

وثمة جمل اسمية معترِضة منسوخة بالحرف ، مثل :

هل ترحمون - لعل الله يرحمكم بالبيد أهلاً،وبالصحراء جيرانا؟ حـ١/ ٢٣٣

٢ - الاعتراض بالجملة الفعلية

أما الاعتراض بالجملة الفعلية التامة فقد كان متنوعاً بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية المنوعة بين النداء والشرط والنفى والنهى ونحو ذلك من الصور التى تأتى بها .

وقد ورد الاعتراض بالجملة الفعلية الخبرية فى (٥٩) موضعاً ، وزعت هذه المواضع بين (٣٨) موضعاً ، كان الفعل فى هذه المواضع متعدياً ، و (٢١) كان الفعل فيها لازماً ، من ذلك قول شوقى :

لم يكن ذاك من عمى، كل عين - حجب الليل ضوءَها- عمياء حـ١/ ١٨

وقوله :

كانت لنا كبد - فحاق بها الهوى - قُهِرتْ، وقد كانت من الأطواد حـ٢/ ١٢١

وكان الفعل فى الجمل المعترِضة منوعاً بين الماضى كما مر ، والمضارع والأمر والنفى والنهى . فالمضارع فى مثل قوله :

ياواصِفَ الدَّم - يَجْرى ههنا وهُنا قُم انْظر الدَّمَ فهو اليومَ دأْماءُ حـ٢/٨

والأمر فى مثل قوله :

النيل - فاسمع، وافهم الحديث - يُعْطِى، ولكنْ يأْخُذُ الخبيث حـ٤/١٢٩

والنفى فى مثل قوله :

ومن عبث الدنيا -وما عبثت سدًى- شَبَبْنا وشِبْنا والزمان وليد حـ٢/ ١٢٠

والنهى جاء فى مثل قوله :

يوم كنا - ولاتسل : كيف كنا؟ - نتهادى من الهوى ما نشاءُ حـ٢/١١٢

ويلاحظ أن الأمر والنفى والنهى مما يدخل فى إطار الجملة الإنشائية . ومن الاعتراض بالجمل الإنشائية الشرط والنداء والقسم، وبيان ذلك كما يلى:

٣ - الاعتراض بالشرط

تعد الجملة الشرطية أكثر ضروب الاعتراض شيوعاً واستخداماً فى شعر شوقى ، إذ وردت فى (١٣٩) موضعاً ، وكانت أداة الشرط غير موحدة ، إذ تنوعت بين الحرفية والاسمية ، وكانت الحرفية أكثر شيوعاً من الاسمية ، كما تباينت الحرفية بين الجازمة وغير الجازمة ، فقد لوحظ أن الجازمة أكثر وروداً من الحرفية غير الجازمة ، والجدول الآتى يوضح أحوال الشرط من حيث الاسمية والحرفية ونوع الأداة من حيث جزمها وعدمه .

النمط الشرطى	العدد	نوع الأداة من حيث الوظيفة	حرفية	اسمية
الشرط الاسمى	٢	جازمة	٨٥	٣
الشرط الحرفى	١٣٧	غير جازمة	٥١	
	١٣٩			١٣٩

انحصرت أداة الشرط الاسمية في اثنتين فقط ، هما : مهما ، كلما ، وقد وردت الأولى فى موضعين ، ووردت الثانيـة فى موضع واحد ، من ذلك قول شوقى :

يتـولى البـحارَ - مهـما ادلهـمت -   منـك فى كل جـانب لألاءُ حـ١/ ١٥

وقوله :

أقول لأيـام الصـبا - كـلمـا نات -   أمالَكَ ياعهدَ الشباب مُعيد حـ٢/ ١٢٠

ولم يقع لـنا خلال تتبعـنا أسماء الشرط وجودهـا متبوعة بفـعل مضارع ، سوى ما ورد من أفعال ماضية .

وأما أداة الشرط الحرفية الجازمة فـقد انحصرت فى أداة واحدة هى « إنْ » التى ترددت فى كل المواضع التى أشرنا إليها ، من ذلك قوله :

كـلُّ حَيٍّ - وإنْ تَراخَت مـنـايـا   هُ - قضاء عن الحياة انقطاعه حـ٣/ ١٠٣

وقد لوحظ أن الأفعـال التى أعقبت « إنْ » فى كل المواضع جـاءت بصيغة الماضـى باستثناء (٥) مواضع جاءت فيها « إنْ » متبوعة بـفعل مضارع ، جاءت فى (١) موضع واحد متبوعة بالمضارع مباشرة ، هو قوله :

فـفـيـهـا الـذى -إنْ يُقـم- لايُعـدّ   من الناس- أو يمض-لايُحْسَبُ حـ٢/ ١٤٨

وجاءت فى (٤) مواضع متبوعة بـ «لم» ثم الفعل المضارع من ذلك قوله:

وذكرى وإنْ لـم ننس عـهدك سـاعة   وشوق وإنْ لم نفتكر بإياب حـ٣/ ٣١

فالعملُ ليس لـ « إنْ » بل للحرف « لم » الذى يتبعه الفعل مباشرة .

وفيمـا يخص جملـة الشرط المعترِضـة التى تقدمـها أداة شرط حرفيـة غير جازمة فقد تنوعـت بين « إذا » التى وردت فى (٣٤) موضـعاً ، و « لو » التى جاءت فى (١٤) مـوضعاً ، و « لولا » التى وردت فى (٣) مواضع ، ويلاحظ أن « إذا » أكثر وروداً من الأدوات الأخرى ، قال شوقى :

كم فى التراب -إذا فتشت عن رجل-   من مات بالعهد، أومن مات بالقسم حـ١/ ١٩١

وقال :

إن الـغـرور - إذا تمـلـك أمَّة -   كالزهر يخفى الموت وهو زؤام حـ١/ ٢٢٤

أما الاعتراض المصدر بـ « لو » ففى مثل قوله :

قـاتل الـنفـس - ولو كـانت لـه -   أسخطَ اللهَ، ولم يُرْضِ البشر حـ١/ ١٢٠

وأما الاعتراض المصدر بـ « لولا » ففى مثل قوله :

يـاطـيـر - لـولا أن يـقـو   لوا: جُنَّ، قلت : تعقَّل - حـ١/ ١٦٧

اسـمـع قـرب مُفَصَّل   لـك، لم يـفدك كـمُجْمِل حـ١/ ١٦٧

ويلاحظ أن أداة الشرط الحـرفية الجازمة انحصرت فـى أداة واحدة فقط ، بينما غير الجـازمة شملت الأدوات الثلاثة ، وإنْ تفاوتت نسـبة الشيوع من أداة لأخرى .

٤ - الاعتراض بالنداء

وكان الاعتراض بالـنداء مما شاع فى شعر شوقـى أيضاً ، إذ ورد فى (٩٠) موضعاً ، وقد لوحظ تنوع المنادى بين المعرفة والنكرة المقصودة ، وتنوع المنادى

المعرفة بين العَلَم (١٩) موضعاً ، والمنادى المعرف بالإضافة (٣٠) موضعاً ، وهو يتوزع بين المعرف بالإضافة إلى معرف (بأل) الوارد فى (١٧) موضعاً ، والمضاف إلى علم (٥) مواضع ، والمضاف إلى ضمير المتكلم (٧) مواضع ، وإلى ضمير المخاطب (١) موضع واحد . ومن المعرفة أيضاً المعرف (بأل) فى (٢) موضعين ، وجاء المنادى النكرة المقصودة فى (٩) مواضع .

كما لوحظ أن المنادى تنوع من حيث أداة النداء المستخدمة بين « أيُّ » التى تستخدم لنداء مافيه (أل) و « يا » التى تستخدم لنداء ما ليس فيه (ال) البعيد . وقد تفاوتت « يا » بين الذكر والحذف ، إذ ورد ذكرها مع المنادى فى (٥٩) موضعاً ، وجاءت محذوفة فى (٣١) موضعاً ، ونمثل لكل أحوال الاعتراض بالنداء فى شعر شوقى بما يلى :

جاء الاعتراض بالمنادى العَلَم فى مثل قوله :

- زمان الفرد - يافرعون - ولَّى ودالت دولةُ المُتَجبِّرينا حـ١/ ٢٦٢

وجاء الاعتراض بالمنادى المعرف بإضافته إلى العلم فى مثل قوله :

- قفى - ياأختَ يوشَعَ - خبِّرينا أحاديثَ القرونِ الغابرينا حـ١/ ٢٥٤

ومن الاعتراض بالمنادى المعرف بالإضافة إلى المعرف (بأل) قوله :

- عش للعلا والمجد - يا خيرَ البنين - وللفخار حـ٣/ ٧٠

ومن الاعتراض بالمنادى المضاف إلى لضمير ، قوله :

- فإن أُقرِئْتَ - يامولاى - شِعرى فإنَّ اباك تَعْرِفُه ويَدْرِى حـ٤/ ٣٧

الإضافة هنا لضمير المتكلم ، وجاءت لضمير المخاطب ، فى قوله :

- فجاءها يقول : - يابشراكِ - إن الذى دعوتِ قد لباكِ ! حـ٤/ ١٨٣

فالنداء هنا مجازى ، إذ البشرى لا تنادى حقيقة ، فالمنادى محذوف تقديره « ياهذه » بشراك ، أو البشرى لك ، وربما فعل الشاعر ذلك لإبراز شدة الفرح لما يفرح ويستبشر به ، أو الأسى والحسرة لما يتفجع عليه لمن يقول « ياحسرتى » أو « يالهفى » فالأصل : ياقوم حسرتى ، ياهذا لهفى على كذا .

وجاء الاعتراض بالمنادى النكرة المقصودة فى مثل قوله :

- إنْ يكن غير ما أتَسُوه فخارٌ فأنا منك - يافخارُ - براءُ حـ١/ ١٧

وحكم النكرة المقصودة حكم العلم المفرد فى النداء ، لأن النكرة إذا قصدت كانت محددة ، وصارت كالعلم المقصود فى الوظيفة النحوية والإعراب والدلالة .

فى كل ما سبق كان المنادى مسبوقاً بأداة النداء ، وربما يأتى المنادى غير مسبوق بالأداة ، وقد لوحظ من استعراض ما ورد محذوفاً أداة ندائه ، أنه تنوع بين العلم المفرد ، والمضاف إلى معرفة ، ونمثل للأول بقول شوقى :

- ألست - دِمَشقُ - للإسلام ظِئْراً ومرضعة الأُبُوَّةِ لاتُعَقُّ ؟ حـ٢/ ٧٥

وقوله :

- إليك نموتُ - مِصرُ - كما حَيينا ويبقى وجُهكِ المَفْدِيُّ حيًا حـ٤/ ١٩٨

ونمثل للنوع الثانى بقوله :

- فعفواً - أمير المؤمنين - لأمةٍ دعَتْ قادراً، مازال فى العفو يرغب حـ١/ ٥٣

فالإضافة فيما سبق لاسم ظاهر ، وجاءت الإضافة إلى ضمير ، كما فى قوله :

- أدرك كنانتك الكريـ ـمة - ربنا - وتقبَّل حـ١/ ١٦٨

وقد يحذف المضاف إليه ، كما فى قوله :

- عبادك - ربٌّ - قد جاعوا بمصرٍ　　أنيلاً سقت فيهم، أم سرابا حـ١/ ٦٢

المنادى فى كل ما سبق كانت أداة النداء « يا » لكونه يعرى من « ال » ، ولم يأت الاعتراض بالنداء المعرف (بأل) إلا فى موضعين ، منهما قوله :

- تحية - أيها الغارى - وتهنئة　　بآية الفتح تبقى آية الحقبِ حـ١/ ٥٨

تلك هى ضروب الاعتراض بالنداء ، وقد تبين أنه انحصر فى المنادى العلم المفرد ، والنكرة المقصودة ، والمنادى المضاف ، ولم يقع اعتراض بالمنادى الشبيه بالمضاف ، ولا النكرة غير المقصودة ، كما أن المنادى المعرف (بأل) لم يقع إلا قليلاً جداً .

٥ - الاعتراض بالقسم

شكل الاعتراض بالقسم ضرباً من ضروب الفصل بين المتلازمين . وقد جاء الاعتراض بالقسم بألفاظ متنوعة بين اللفظ الصريح بالقسم أو ما فى معناه من الألفاظ الأخرى ، قال شوقى :

- ذاك - والله - الغِنَى كلُّ الغِنَى　　اى صعب فى المعالى ماسَلَكْ حـ٢/ ١٧٥

ومن ألفاظ القسم فى الاعتراض « لعمر » مضافة إلى لفظ « الله » ، فى قوله :

- هُزُّوا القُرى من كهفها ورميمها　　انتم -لعمْرُ اللهِ- اعصابُ القرى حـ١/ ٤٣

وقد تضاف إلى اسم ظاهر غير الله ، فى قوله :

- وكل أخى عيشٍ وإنْ طال عَيْشُه　　تُرابٌ -لَعَمْرُ الموت- وابن تراب حـ٣/ ٣٢

وربما تضاف إلى الضمير ، فى مثل قوله :

- يـونـان لو بـيـعـت بـهـرميـرلمـا خَسِرَتْ - لَعَمْرِكَ - صفقةُ المتاع حـ٣/ ٩٤

وقد يكون القسم بغير ذلك من الألفاظ ، كقوله :

- إلـى البـيـت الحرام بـك اتجـهنـا ومصر -وحقِّها- البيت الحرام حـ٤/ ٧٢

ومن المعروف أن القسـم لا يكون إلا بأسماء الله الحسنـى أو بالمعبود ، أو بما يقدس ، أو بمـا هو غالٍ وعزيز عند المـرء ، وهو من التراكيـب الحرة ، التى تقع فى أول الكلام أو وسطه أو آخره .

٦ - الاعتراض بشبه الجملة

وقع الاعتراض بشبه الجملة ، كما وقع بـالجملة الاسمية والفعلية ، وهى إما أن تكون ظرفاً ، أو جاراً ومجروراً ، فهـما صورتان لها ، وكان الاعتراض بالجـار والمجرور أكثر شيوعاً فـى الاستخـدام من الظـرف ، إذ ورد الأول فى (٥٨) موضعاً ، وورد الثانى فى (٢٨) موضعاً ويمثل النوع الأول قوله :

- ألاَلَيْتَ البلادَ لها قلوبٌ - كما للناسِ - تنفطرُ الْتياعا حـ١/ ١٤٤

وقوله :

- وهل آن -من أهل الكتاب- تسامحٌ خَلِيقٌ بآدابِ الكـتابِ جديرُ حـ٣/ ٨٢

وقد تـعددت حروف الجـر الواردة فى الاعـتراض وتـنـوعت بين الـباء (٨) مرات ، وعلى (١٠) مرات ، وفى (١١) مرة ، والكاف (٩) مرات ، واللام (٧) مرات ، ومن (١٣) مرة .

ومن الاعتراض بالظرف ، قوله :

-ايزيسُ ذاتُ المُلـكِ-حين توحَّدت- أخَذَت قِوامَ امورها الأشـياءُحـ١/ ٣٤

ومن المـعلوم أن الظـرف يتنوع بـين ظرف الزمـان والمكان ، وقد تـعددت الكلمات الدالة على الظـرف ، وتبـاينت فى ورودها معترِضة ، إذ جاءت كلمة

« الأمس » (٣) مرات ، وإذ (٢) مرتين ، وبعد فى (٤) مواضع ، وحين فى (٣) مواضع ، وأحيانً فى (١) موضع واحد ، ودون فى (٣) مواضع ، وعند فى (٢) موضعين ، وكل من : « غداً » و « قبل » و « لما » و « مذ » مرة واحدة ، ومذ فى (٣) مواضع ، ومنذ فى (٣) مواضع . ومن المعلوم أيضاً ان من الظروف ما ما يختص بالزمان ، مثل : أمس ، غداً ، حين ، أحياناً ، إذ ، لما ، مذ ، منذ ، ومنها ما يختص بالمكان مثل : دون ، عند ، ومنها ما يشترك بين الزمان والمكان ، مثل : بعد ، قبل .

٧ - الاعتراض بكلمة واحدة

فيما سبق من ذكر لأحوال الاعتراض تبين لنا أنه يقوم على عملية إسنادية تامة ، أى يتمثل فى جمل تامة ، وهو يختلف عن هذا النوع الذى يقع بغير إسناد . وهذا النمط من الاعتراض قليل الشيوع ، إذ ورد فى (٦) مواضع ، وقد تنوع بين ما يدل على التنزيه أو التعجب ، أو الإغراء ، أو ضمير الفصل ، وتوضيح ذلك كما يلى :

فما يدل على التنزيه قوله :

- العبقرية من ضنائنه التى يحبو بها- سبحانه- من شاء حـ٤/ ٥٠

فكلمة سبحان فى البيت اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه لله من الصاحبة والولد ، وعن كل ما لا ينبغى له أن يوصف به (اللسان حـ٦/ ١٤٤) .

وما يدل على التعجب والدهشة قوله :

- رباعُ الخلدِ - وَيْحَكِ - مادَهاها؟ أحقٌ أنها دَرَسَتْ؟ أَحَقٌّ؟ حـ٢/ ٧٥

فكلمة « ويحك » اسم فعل مضارع بمعنى أعجب . وما يدل على الاغراء قوله :

- ياقلبُ -شأنك- لاأمُدُّكَ فى الهوى　　أبداً، ولا أدعوك للإقصار حـ٢/ ١٢٦

فكلمة « شأنَك » مفعول به لفعل محذوف تقديره « الزم » .

وجاء الاعتراض بالفعل فقط فى قوله :

- آمالُ مصرَ إليها - طالما - طمحتْ　　هل تبخلون على مصر بآمال؟ حـ١/ ١٧٣

فالاعتراض هنا بالفعل « طال » الذى دخلت عليه « ما » ، و « ما » إذا زيدت بعد الحرف كفته عن العمل ، وإذا الحقت بالفعل فإنها تكفه عن رفع الفاعل ، ويحتاج إلى فعل آخر بعدها ليرفع الفاعل ، و « ما » لا تلحق بكل الأفعال ، بل تلحق بثلاثة أفعال ، هى : طال ، قلّ ، كثر .

واخيراً وقع الاعتراض باستخدام الضمير « هو » فقط وهو لا يشيع فى الاستخدام ، إذ ورد فى (٢) موضعين ، منهما قوله :

- أبا الفاروق، أقبلنا صفوفاً　　وأنت من الصفوف -هو- الإمام حـ٤/ ٧٢

فهذا الضمير يسمى ضمير الفصل ، يقع بين المتلازمين والاستخدام هنا فيه التفات من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب ، للإثارة ولفت الانتباه .

واخيراً من خلال متابعة أحوال ما جاء اعتراضاً بن المتلازمين يمكن استخلاص ما يلى :

- شيوع الجملة الفعلية التامة بأحوالها المختلفة ، أكثر من الجمل الاسمية . وقد لوحظ أن أكثر أنماط الجملة الفعلية وروداً ما كانت شرطية ، يليها النداء ، وأن أكثر أنماط الجملة الاسمية وروداً ما كانت غير منسوخة ، ويلى هذين النوعين فى الاستخدام ما كان شبه جملة .

- قلة الاعتراض الوارد بكلمة واحدة بشكل ملحوظ ، مما يعنى غلبة الاعتراض الإسنادى على غير المسند .

المتطالبين المعترض بينهما . فقيمة الاعتراض أنه يكون بمثابة رخصة فى يد المتكلم أو الكاتب لإضافة ما يراه من معان تخدم الغرض الذى تسعى إليه الجملة الأساسية ، وهى التى اعترض بين جزئيها .

ولم يقف أمر هذا المعنى عند حد الجمل الاسمية والفعلية التامة ، بل ظهر فى أشباه الجمل المتعلقة بالجار والمجرور . وهو يرتبط بالفاعل أو المفعول ، أو المبتدأ أو الخبر ، أى أن هذا المعنى يأتى لخدمة الوظائف النحوية التى تشتمل عليها الجمل المعترَضة . فمن الاعتراض بالجملة الاسمية التى تعلق معناها بالفاعل ، قوله :

- سهِرتَ، ولذَّ النومُ - وهُوَ مَنَّيةٌ - رَعايا تولأَّهــا الهوى ورُعاةُ حـ١/ ٨٨

ومن الاعتراض بالجملة الفعلية التى تعلق معناها بالمنادى الذى حذفت أداته ، قوله :

-قَوْمى-وجلَّتْ وجُوهُ القوم-مصرُبكم الفت على كرماء الدهر نسيانا حـ١/ ٢٣٤

والجملة الفعلية التى توضح معنى يتعلق بالموصوف فى قوله :

- أو كحوت - يرتمى الموج به - سابح بين ظهور وخفاء حـ٢/ ٤

ومن الاعتراض بشبه الجملة للتوضيح والتبيين المتعلق باسم كان ، قوله :

- أعلنت أمرها الذئاب وكانوا -فى ثياب الرعاة من قبل-جاءوا حـ١/ ١٧

وكذلك ما جاء من شبه الجملة لتوضيح معنى يرتبط بالفاعل ، فى قوله :

- وأعيدَ المجدُ القديمُ، وقامت فى معالِي آبائِهَا الأبناءُ حـ١/ ١٨

فالاعتراض فيما ذكرنا من مواضع ، ومالم نذكر جاء موضحاً ومبيناً لمعنى متصل إما بركن أساسى أو لمتمم من متممات الجملة ، وهو يوضح وصفاً لفاعل أو مفعول ، أو لمكان وقع فيه حدث وما يصحب هذا الحدث .

٢ - التقرير

من المعانى التى أفادها الاعتراض فى شعر شوقى معنى التقرير ، وهو جعل الشئ أو الأمر يثبت أو يستقر ، وهذا المعنى يتمثل فى نمط من الجمل التى تبدو فى تركيبها جملاً وصفية ، ولكنها من صنف التراكيب المعبرة عن نتيجة عمل متعلق بحدوث حدث سابق عليه . فالتركيب التقريرى فى الواقع ذكر لشرط من شروط العمل ، ووصف لنتيجة هذا العمل ، فهو ليس من صنف الجمل الوصفية العادية . ويعرف هذا النمط عند النحاة العرب بالجمل الشرطية ، وهى تصنف فى إطار الجمل المتلازمة ، لتلازم جواب الشرط بفعل الشرط ، وليس بخاف أن معنى الشرط يتحقق فى الجملة المركبة بحروف وأسماء . وقد شاع التركيب الشرطى الاعتراضى فى شعر شوقى شيوعاً ملحوظاً ، كما أشرنا فى (١٣٩) موضعاً ، موزعاً فى استخدامه بين أداة حرفية واسمية ، جازمة وغير جازمة . ولوحظ ان أكثر الحروف الجازمة « إنْ » ، ولم يرد من الأسماء الجازمة سوى « مهما » ، ومن غير الجازمة « إذا » و « لو » من ذلك قوله :

- والحق ليس - وإنْ علا - بمؤيَّد   حتى يحوط جانبيه حسام حـ١/ ٢١٦

وقوله :

- قاتل النفس - ولو كانت له -   أسخط الله ولم يرض البشر حـ١/ ١٢٠

ومثل

- والحاملين - إذا دُعوا ليعلموا -   عبءَ الأمانة فادحاً مسئولا حـ١/ ١٧٠

ونمثل لـ « مهما » التى لم ترد متبوعة بفعل مضارع كما هو الشائع مع بقية أدوات الشرط ، بقوله :

- يتولى البحار - مهما ادلهمت -   منك فى كل جانب لألاء حـ١/ ١٥

وهذه الجمل تختص بإيقاعها وتلازم مركباتها النحوية والاهتمام بالمعنى الوارد فى صدرها ، وتمثل مكوناتها ونبرتها سمة مميزة نحوياً ودلالياً ، فهى تدل على الإمكان والافتراض . وقد لوحظ أن الشرط الوارد فى معظمه مركب حرفى ، ولم يكن اسمياً إلا فى ثلاثة مواضع ، موضعين لـ « مهما » وموضع لـ « كلما » . وسواء أكانت اسمية أم حرفية ، فإنها تربط بين مكونين أو مركبين ، يقعان فى عملية إسناد واحدة ، وقد لاحظ النحاة تلازم المركبين فعدّوهما كلاماً واحداً . كما رأوا أن المركب الشرطى القائم على الحرفين « إنْ » و « لو » عبارة عن مركب موصولى حرفى يفيد معنى الشرط والزمن والحالة ، وله دلالة إخبارية ومنطقية واضحة السمات[1] .

٣ - التنبيه ومعان اخرى

شاع هذا المعنى بشيوع المنادى فى شعر شوقى ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل . وقد تكون أداة النداء محذوفة أو مذكورة . « والنداء ليس بإخبار ، إنما هو نفس التصويت بالمنادى ليقبل ، ثم يقع الإخبار عنه فيما بعد . وهو حال خطاب لحاضر ، فالمنادى مخاطب . وتؤدى حروف النداء دوراً هاماً فى تنبيه المخاطِب للمخاطبَ ، أو تنبيه المدعو والبيان له »[2] .

وتتعدد المعانى السياقية التى يأتى لها النداء ، إذ قد يكون للتنبيه والإفهام ؛ وقد تردد هذا المعنى فى (٣١) موضعاً ، من ذلك قوله :

- زمان الفرد - يافرعون - ولى ودالت دولـه المتجبرينا حـ١/ ٢٦٢

ومثل - وكيف تنام - ياعبد الحميد - وتغفل عن دماء العالمينا حـ١/ ٢٦٩

فالنداء هنا لم يقف عند حد التنبيه بل تعداه إلى إثارة الانتباه ، وجذب

---

(١) راجع مفصلاً : الجرجانى - المقتصد حـ١/ ٢٧٣ - ٢٨٨ ، الاستراباذى - الكافية حـ١/ ٤٥٠ - ٤٦٥.

(٢) راجع مفصلاً : ابن يعيش - شرح المفصل حـ١/ ١٢٧ - ١٢٩ ، حـ٢/ ٩ ، حـ٨/ ١١٤ بتصرف .

الأفهام إلى المتعلق بمطلوب النداء ومضمونه . وقد يكون التنبيه متعلق بالطلب والحث على فعل أمر ما ، وتحقيق مطلب من المطالب ، مثل :

- قفي - ياأخت يوشع - خبرينا أحاديث القرون الغابرينا حـ١/ ٢٥٤

وربما يكون النداء للدعاء والرجاء ، وهذا المعنى تردد فى (١٦) موضعاً ، من ذلك قوله :

- عبادك - رَبِّ - قد جاءوا بمصر أنيلاً سقت فيهم أم سرابا حـ١/ ٦٢

ومثل :

- إنْ صدقت - يارب - احلامه فإن خطب المسلمين الجليل حـ٤/٤٨

فى مثل قولنا : « ياالله أو يامالك أو يارب لا يجوز أن يقال إنه تنبيه للمدعو كما تقدم ، ولكنه أخرج مخرج التنبيه ، ومعناه الدعاء لله عز وجلَّ ، ليقبل عليك الخبر الذى تطلبه منه ، والذى حسن إخراجه مخرج التنبيه البيان عن حاجة الداعى إلى إقبال المدعو عليه بما يطلبه[1] .

وربما يكون الرجاء بغير النداء ، كقوله :

-هل ترحمون-لعل الله يرحمكم- بالبيد أهلاً ، وبالصحراء جيرانا حـ١/ ٢٣٣

ولا يقف معنى النداء عند ما سبق من معان ؛ فقد يكون للمدح أو الذم ، وقد تردد هذا المعنى فى (٢٥) موضعاً ، فالمدح فى مثل قوله :

- إذا زرت - يامولاى - قبر محمد وقبلت مثوى الأعظم العطرات حـ١/ ٩٤

ومثل :

- فعفواً - أمير المؤمنين - لأمة دعت قادراً ، مازال فى العفو يرغب حـ١/ ٥٣

والذم مثل :

- وحَذارِ مــن دَمِهــا الــزكِيِّ تُرِيــقُهُ   يكفيك -ياقاسىَ- دُم العشاق حـ٢/ ٧٨

وقد يكون النداء للفخر والإشادة ، وقد تردد هذا المعنى فى (١٠) مواضع ، منها قولة :

- عش للعلا والمجد - ياخير البنين - وللفخار ـ٣/ ٧٠

ومثل :

- لـعـلـنـى إن ثـبـتـت أقـدامـى   ونلتُ -يَاكل المنى- مرامى حـ٤/ ١٣٣

وربما يـكون النداء لإظـهار الفـرح والسرور ، وهـذا المعنى تـردد فى (٨) مواضع ، منها قوله :

- لـعـلـنـى إن ثـبـتـت أقـدامـى   إنَّ الـذى دَعَوْتِ قد لـبَّاكِ حـ٤/ ١٨٣

ويلاحظ أنه فى قوله « ياكل المنى » و « يابشراك » حذف المنادى ، فالنداء هنـا على سبـيل المجاز ، إذ « المنى » لا تـنـادى ، و « البشرى » لا تـنادى ، ومثله قوله فـى مواضع أخري « ياطيف الرضا » حـ٢/ ٣٣ و « يافجر السلام » حـ١/ ٣٩ . والأصل « يـاقوم » أو « ياهذا ، يـافلانة » ، والحذف هـنا لإبراز مدى سعادته وفرحه بما تم وحدث من أحداث .

ونخـلص من هذا كـله إلى أنه إذا كـان الغرض الأسـاسى من النـداء هو التنبيـه، فإن الذى نؤكده أن كل تنبـيه يكون لغرض معين ، وهـدف مقصود ، يوضحه معنى محدد من خلال السياق الذى يرد فيه .

٤ - التوكيد

ورد معنى التوكـيد فى التراكيب الاعتراضية فى (٣٥) موضعاً ، وهو معنى يهدف المتكلـم من ورائه إلى الإثبات ورفع الالتباس لدى الـقارئ أو المستمع ، ودفع إمكـانات الشك عن مضـمون الجملة المعـترض بين أجزائها . وقـد اتخذ

معنى اتوكيد صوراً متعددة ، منه ما يتـصل بالقسم ، أو استخدام النفى الحرفى أو الفعلى ، أو الحروف المشبهة بالـفعل ، وهى المعروفة بـ « إنَّ » وأخواتها ، أو قد كون التوكيد لفظياً ، وهو يقع فى الجـمل الاسمية والفعلية . ومن أمثلة التوكيد بالاعتراض قول شوقى :

- علـمت أن وراء الضـعف مـقدرة وأن للحق -لا للقوة- الغلبا حـ١/ ٧٤

وقوله :

تكـون - وأنت أنت رياض مـصر - عرابى اليوم فى نظر الأنام؟ حـ١/ ١٩٩

وجاء التوكيد اعتراضياً بالقسم فى مثل قوله :

هُزُوا القـرى من كـهفـها ورقـيمـها أنتم-لعمر الله-أعصاب القرى حـ١/ ١٤٣

فالاعـتراض هنـا يهدف إلى إبـراز دلالة الجمـلة المعـترضة والتـأكيد عـلى مضمونها باستخدام جمل غايتها إبلاغية تنبيهية إلى أهمية ما قبل الاعتراض وما بعده ، نفـياً أو إثباتاً ، إيجاباً أو سـلباً ، مدحاً أو ذماً ، ومثل هـذه المعانى لا تخفى على الدارس .

٥ - التحديد والتعيين

يرتبط هذا المـعنى بالمفعول فيـه ، أو ما يعرف بالظرف الذى ربمـا يكون فى شكل كلمة دالـة على الظرف ، غير مسندة إلى شئ آخـر ، وربما يكون الظرف فـــى جملـة ومسنـداً إلى غيره مـن الكلام . وقـد ورد هذا المعنـى فى (٢٨) موضعـاً ، موزعاً بين الظـروف: أمس ، إذْ ، بعد ، حين ، أحـياناً ، دون ، عند ، غداً ، قبل ، كلما ، لما ، مذ ، منـذ . وقد لوحظ أن معظمها جاء بمرة واحدة ، باستثناء بعضها ، مثل : أمس ، إذْ ، بعد ، دون ، مذ ، منذ ، فقد وردت مرتين ، كما لـوحظ أن غالبيتها جـاءت مسندة باستثنـاء أظرف ، مثل : أمس ، أحياناً ، غداً ، فقد جاءت غير مسندة ، قال شوقى :

- واذكر الأنصار - بالأمس - ولا تنس الصحابا حـ١/ ٨٥

وقال :

- أفـراحــه - لمـا رآك طـلـيــقـة أفراح يوسف يوم حلّ عقاله حـ١/ ١٦١

فالجملة الظرفية فى تركيبها تشبه تركيب الجملة المكونة من قسمين متلازمين. وتحتوى على مفعول فيه له الصدارة ، وهذا موقع له أهميته الدلالية والنحوية ، إذ يتضمن التحديد والتعيين مع التنبيه والإيضاح ، أى تنبيه السامع للمعنى المقصود ، وإيضاح المفعول فيه الزمانى والمكانى ، وفى ذلك ضرب من الإخبار والإفهام ، لكون الظرف وما يليه مباشرة بمثابة الابتداء أو المبتدأ ، وتتمة الكلام لما يليه مباشرة بمثابة الإخبار .

٦ - الحكمة

لوحظ أن التركيب الاعتراضى قد ينزل منزلة الحكمة بهدف إسباغ الموعظة على السامع ، لإثارة انتباهه ، ولفت نظره إلى أهمية أحد الجزئين من المتطالبين أو المتلازمين ، فهى بمثابة تعقيب يأخذ بعقل السامع أو القارئ ، وينزل منه منزلاً ليس هيناً ، لما يشتمل من دلالات لا تغيب عن سامعها . وهذا المعنى لم يشع فى التراكيب الاعتراضية شيوعاً لافتاً فقد ورد فى (١٠) مواضع منها قوله :

ياقوم عثمان - والدنيا مداولة- تعاونوا بينكم ياقوم عثمان حـ١/ ٢٣٣

وقوله :

ياأخى - والذخر فى الدنيا أخ - حاضر الخير على الخير أعانا حـ٢/ ١٩٠

ومثل :

ينبيك مصرعه - وكل زائل - أن الحياة كغدوة ورواح حـ٢/ ٢٣

لوحظ أن هذا المعنى لم يقع من كلمة مفردة ، بل اعتمد على جمل تامة، وهي جمل اسمية ، وقد أعدت النظر في أنماطها فلم أحظ بوجود للجمل الفعلية فيما ورد ، وهي جمل بسيطة التركيب ، سهلة المأخذ ، واضحة المعنى، مرتبة العناصر باستثناء ما ورد من تقديم للخبر شبه الجملة على المبتدأ النكرة ، في مثل قوله :

- لها حق - وللأحباب حق - رشفتُ وصالَهم فيها حبابا حـ١/ ٥٩

وقوله :

- قُلْتُ لليل - ولليل عواد - مَنْ أخو البَثِّ؟ فقال: ابن فِراقْ حـ٢/ ١٧٢

فهذا التركيب في نهاية الأمر لم يخرج عن نمط الجملة الاسمية ، وهو يتعلق تعلقاً شديداً بما يتقدمه ، وتأتي أهمية هذا المعنى من ناحيتين نحوية ودلالية ، فمن الناحية النحوية نجد أن المبتدأ في كل تركيب اعتراضي بمثابة تأكيد لما قبله ، وهذا المبتدأ الإخبار عنه تبليغ وإفادة وإيحاء بأهمية المعنى المقصود بالاعتراض ، وتلك قيمة دلالية .

٧ - التقديس

كان معنى التقديس والتنزيه للمعبود من المعاني السياقية التي يأتي لها الاعتراض ، وهذا المعنى يتعلق بالتراكيب التي تتعلق بالمعبود سبحانه ، وقد يكون المعنى مرتبطاً بجملة تامة ، أو بكلمة غير مسندة ، وهو معنى جاء تقوية للمبتدأ ، وليس للخبر ، مثل قوله :

- ترجى لهم ، والله -جل جلاله- مناومنك بهم أبرُّ وأرفقُ حـ٢/ ٧٤

وقد يقع الاعتراض من هذا الضرب ، بين ركني الجملة الفعلية ، مثل قوله :

- ونودي: اقرأ - تعالى الله قائلها- لم تتصل قبل من قيلتْ له بفم حـ١/ ١٨٤

ففى كل هذه المواضع لوحظ أن التركيب الاعتراضى هنا جملة فعلية كاملة أركانها وهذا هو الشائع لمثل هذا المعنى الذى ربما يرد فى كلمة واحدة ، مثل قوله :

- العبقرية من ضنائنه التى يحبوبها -سبحانه- من شاء حـ٤/ ٥٠

مثل هذا الاعتراض ومعناه خاص ، إذ لا يكون لغير الله ، فلا يوصف به أحد من العباد ، وفى إطار الجملة الفعلية يكون إبراز الشأن الفاعل ، وفى المصادر المسموعة إبراز لشأن المضاف إليه .

٨ - الدعاء بالخير او الشر

ثمة نمط من التراكيب الاعتراضية تحمل معنى الدعاء الذى ربما يكون بالشر أو الخير ، وقد ورد هذا المعنى فى (٨) مواضع موزعة بين تراكيب مثبتة وأخرى منفية ، فمن المثبتة قوله :

- فانظر - رعاك الله - فى حاجهم فنظرة منكَ تنيل المراد حـ١/ ١١١

ويلاحظ أن الدعاء هنا خير جاء بصورة الجملة الفعلية التامة . وجاء الدعاء بصورة شبه الجملة فى قوله :

فارحل - بحفظ الله جل صنيعه - متعفياً إنْ شئت أو معزولاً حـ١/ ١٦٤

فالاعتراض ليس واحداً ، بل اثنان ، دعاء وتقديس للمدعو به . وجاء مقصوراً على الدعاء فقط فى قوله :

فابنوا - على بركات الله - واغتنموا ماهيأ الله من حظ وإقبال حـ١/ ١٧٣

فالدعاء فى كل ما سبق بالخير ، يقصد توفيق الله ورعايته للمدعو له : وقد يكون الدعاء بقصد التضحية والفداء وطول البقاء ، للمقصود بالخطاب ، كما فى قوله :

- فـــابْلَغْ - فَدَيْتُكَ - كـــلٌ مـــا ثك، فالملا ينوى ابتلاعك حـ٢/ ٨٠

وقوله :

فقــال: سل - فـداك أمي وأبــى - عسى تنالُ بى جليلَ المطلب حـ٤/ ١٧٥

فى كل مـا تقدم من شواهـد كان الاعتراض بالإثـبات ، وجاء بالنـفى فى قوله:

ياناعس الطرف- لاذقت الهوى أبداً - أسهرت مضناك فى حفظ الهوى، فنم حـ١/ ٩ ١٧

وقوله :

تلـك الوجوه - لاشكـونا فقـدها - بَيَّضَت اقْرُبَى لنـا مُسْوَدَّها حـ٢/١٥٨

وهو دعـاء اعتـراضى بـالخير . ويـلاحظ أن هـذا النمـط من الـتراكـيب الاعتراضية ، يقوم على العلاقات الإسناديـة ، وكل تركيب متناسق العناصر ، والعلاقات التركيبية جميعها نحوياً ودلالياً . كما يلاحظ أن المركب الفعلى يلعب دوراً حيوياً فى إبراز المعنى ، معتمداً عـلى أهمية الفعل المسند . كما أن أدوات المعانى تلعب دوراً هاماً فى الدلالة على المعنى المنوط بالتركيب وموقعه ، لاحظ قوله : « لاذقت » وقوله : « لاشكونا » .

٩ - الإرشاد والتوجيه

يعتمد هذا المـعنى على الطلب والإنشاء ، ولا يحـسن فى جوابه صدق أو كذب ، ويعتـمد على الإسناد والتـركيب التام ، لإسداء نصـح أو تقديم إرشاد وتوجيه للمخاطب ، الذى يـسبق الاعتراض ، أى الجزء الأول من المتلازمين ، ومن ذلك قوله :

-يـاكـثيـر الـصَّيـد لـلصَّيـد الـعُلا -قُمْ تأمَّلْ-: كيف صادتْك المَنون؟ حـ١/ ٢٤٧

وقوله :

- أيهـا الشرق - انتـبه من غفـلة - مات من فى طرقات السَّيل ناما حـ٢/ ٩١

لاشك أن هذا المعنـى يقتضى حضوراً من المخاطِب والمخـاطَب ، فالغائب ونحوه لا يوجـه إليه نصح أو إرشاد ، لكونـه طلباً ، والطلب يسـتلزم وجوداً شخصياً لاعتماده على المشافهة ، فهـذا النمط من الاعتراض إنشائى التركيب ، فله شكـله وبناؤه ومعناه ووظـيفته الدلالية التـى تهدف إلى الإفهام والتـنبيه ، وتتسم بسمة بعيدة عن احتمال للصدق أو الكذب .

١٠ - *التعجب*

التعجب إنمـا يكون فيما جاوز الحد المعروف ، وخـرج عن العادة ، وصار كأنه لا يبـلغ وصفه ، ولا يوقف علـى كنهه . وهو باب مبـالغة مدح أو ذم ، ولا يكون إلا فيما ثبت واستقر حتى فاق أشكاله وخرج عن العادة . والتعجب خبر محض ، يحسـن فى جوابه صدق أو كذب ، ويأتى للتعظـيم والتفخيم أو الذم والتحقير[١] .

وهذا المعنـى لم يكن شائعاً فى الـتراكيب الاعتراضيـة ، إذ لم يرد إلا فى موضعين هما قوله :

لامـه النـاس - وما أظـلـمهـم ! - وقليل من تَغاضَى أو عذَر حـ١/ ١١٨

وقوله :

مـن ضحـايـاه - ومـا أكثـرهـا ! - ذلك الكارهُ فى غَضِّ العُمرُ حـ١/ ١١٨

فالتعجب كما نـرى تركيب يصنف فى الجملة الاسمية المـركبة ، وله أهمية فى الدلالة عـلى الوظيفة التـنبيهية فى الظـاهرة اللغوية . وذلك قـد يعود إلى النغم المصـاحب للنطق الصوتى بجـملة التعجب ، وهو دال صوتى تـركيبى له درجة من الموقع السمعـى عند المتكلم والسامع . وقد ينزع إليـه المتكلم للإيجاز

(١) شرح المفصل ٨/ ١٢٩ .

والاختصار والتعبير عن أبعاد معنوية مكثفة مركبة . فالنطق والانفعال المصاحبان للجملة يؤكدان الإيقاع الصوتى وعلاقته النحوية التركيبية (مبتدأ + خبر مكون من جملة فعلية) ويزيدان المعنى تقوية وإخباراً .

واخيراً بمتابعة دراسة معانى الاعتراض من خلال السياق فقط لوحظ مايلى:

- الاعتراض لا يقع فى الجملة من باب الترف فى التركيب النحوى ، ولكن يقصد إليه الكاتب أو المتحدث لغرض محدد ، ومعنى معين يقصد إليه لتقوية المعنى وتأكيده وتوضيحه مما يعنى أنه لا اعتراض بلا دلالة .
- تبين أن معنى التوضيح والبيان أكثر المعانى وروداً ، ثم التقرير ، ثم التنبيه، ثم التوكيد ، يليه التحديد والتعيين ، ثم ما يدل على معنى الحكمة ، يليه ما يدل على التقديس ، ثم الدعاء بالخير أو الشر ، ثم الإرشاد ، ثم التعجب ، وكلها معان ودلالات يحملها الاعتراض بوقوعه فى السياق الذى يرد فيه .

تاسعاً: خاتمة البحث

أظهرت دراسة الاعتراض من الناحية التركيبية والدلالية ما يلى :

- الاعتراض فى شعر العربية ومنثورها كثير حسن ، ودال على فصاحة المتكلم ، وقوة نَفْسه ، وامتداد نَفَسه ، كما أشار إلى ذلك ابن جنى ، وهو يجرى مجرى التأكيد عند العرب .
- لم يرد لهذا الموضوع ذكر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، وتمثل جهود أبى على الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ، وابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) فى القرن الرابع الهجرى بداية اهتمام وعناية بدراسته .

وفى القرن السادس لم يتعرض له الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) فى كتاب المفصل، على حين كان يتناوله تناولاً مختصراً متناثراً فى « الكشاف » وهو يعالج آيات القرآن بالشرح والتفسير ، ولكون ابن يعيش (ت ٦٣٨ هـ) شارحاً كتاب المفصل فلم نظفر بشئ ذى بال يتعلق بهذا الموضوع .

- يمكن القول بأن القرن الثامن الهجرى شهد عناية ملحوظة بقضية الجملة الاعتراضية ضمن دراسة مفصلة للجملة بأحوالها المختلفة ، ويتمثل ذلك فى جهود ابن هشام (ت ٧٦٢ هـ) التى أودعها كتابه المعروف بـ « مغنى اللبيب » ، إذ خص هذا الموضوع بعناية فائقة ، فجمع مادة ضخمة ، فتحت باباً لم يكن له مثيل ، وقد تبعه النحاة الذين جاءوا بعده ، فأخذوا يدورون فى فلكه ، يفسرون عباراته ، ويلحقون بها الشواهد والأمثلة دون إضافة أو تغيير على ما أسس وشاد .

- الاعتراض معنى قائم بذاته لا يلتقى فيه ومعنى آخر لمصطلحات : الالتفات، الإطناب ، الحشو ، فليس صحيحاً ما قيل بوجود ترادف بين الاعتراض وهذه المصطلحات ، فلكل معناه اللغوى ، ودلالته الاصطلاحية ، وصورته التركيبية التى يكون عليها ، والغرض الذى يستخدم له .

- يربط الغربيون بين الاعتراض والتنغيم ، ويصنفونه إلى اعتراض صوتى يتصل بالتنغيم والوقف ، وآخر يتعلق بالكتابة ، ويكون مصحوباً بعلامات يدركها المرء بعقله ويراها بعينه ، وهى من أبسط وسائل الاعتراض على المستوى الشفهى أو الصوتى الذى يجد صعوبة حتى عند أبناء اللغة الأصليين الذين لا يراعون ولا يطبقون ولا يدركون هذه الوسائل .

- ثمة تغييرات اصطلاحية تستخدم وصف الاعتراض ، مثل : الإرداف ،

عبارات الربط ، الإضافات الاعتراضية ، عبارات التعليق ، وكلها تشير إلى أن هذا الضرب من التراكيب يأتى ضمن تراكيب أخرى أساسية .

- الاعتراض ضرب من ضروب التوسعة ، ووسيلة من وسائل إطالة عناصر الجملة ، ويأتى لأغراض مختلفة ، مثل : التوكيد ، والتبيين وكشف حقيقة ما تليه الجملة ، التحسين والتزيين ، والتنزيه والتقديس ، والدعاء واستدرار العطف ، والتنبيه ، والترغيب فى فعل أمر أو التنفير منه ، التخصيص ، التحسر ، التعظيم والتفخيم ، ودفع الإيهام ، وحسن الإفادة .

- لوحظ أن جهود القدماء اتجهت إلى دراسة مكونات الجملة المعترَضة ، ولم يعالج أى منهم مكونات الجملة المعترِضة وأحوالها .

- لا يقف الاعتراض عند حد الجملة الواحدة ، بل قد يتعدى الجملة الواحدة إلى جملتين أو أكثر ، وقد أجاز الزمخشرى الاعتراض بسبع جمل ، وهو ما يعرف بـ « اعتراض فى اعتراض » . وننوه إلى أن الاعتراض بين المتلازمين يكون مقبولاً إذا كان محدود العدد ، فإذا زاد إلى الحد الذى جوزه الزمخشرى ، فإنى أراه غير مرغوب ، لكونه يطيل الفصل بين المتطالبين ، ويفقدهما صفة الترابط ، وقد يتفرع المعنى إلى معان أخرى ، فيدفع بالقارئ أو القائل إلى عدم إصابة المراد من معنى المتلازمين ، ثم من معانى الجمل الاعتراضية التى كثرت ويصعب عليه إقامة العلاقة بين المعانى كلها .

- تتمثل حروف الاعتراض فى الواو ، الفاء و إذْ ، لن ، سوف ، حتى ، اللام الموطئة ، وهى فى الأصل حروف استئناف وعطف ، وإنما تكون للاعتراض فتقترن بها الجملة الاعتراضية ، إذا وقعت بين شيئين متطالبين

أو متلازمين ، وأكثر هذه الحروف شيوعاً واستخداماً فى الشعر والنثر الواو .

- لا تمثل الجملة الاعتراضية عنصراً إسنادياً ولا غير إسنادى ، لكونها لا تقع موقع الخبر أو الفاعل أو المفعول أو الحال ، فلا تحل محل المفرد ، ولذا فهى لا محل لها من الإعراب ، ولا تمثل وظيفة نحوية .

- لم يجر الاعتراض مجرى الفصل بين المتصلين بما هو أجنبى ، فهما مختلفان ، لكون الاعتراض خاصاً والفصل عاماً ، فكل اعتراض فصل ، وليس كل فصل اعتراضاً ، إذ الاعتراض لا يكون إلا كلاماً تاماً ، والفصل يقع بالحرف أو الكلمة أو الجملة .

- يتفاوت الاعتراض عن الحال ، فالأول لا وظيفة نحوية له ، والثانى له وظيفة نحوية ، والجملة الاعتراضية إنشائية ، والجملة الحالية تقع خبرية ، كما يجوز أن تصدر الاعتراضية بدليل استقبال ، مثل : السين ، سوف ، لن .

- قد يعترض شرط على شرط ، وذلك بتعاقب شرط لشرط متقدم عليه مع توحّد الجواب لهما . وهذا الضرب من الاعتراض يقع على نحو معين من التركيب والاستخدام .

- يشغل الاعتراض فى شعر شوقى حيزاً كبيراً ، إذ هو شائع فى استخدامه ، وقد ورد فى (٥٦٣) موضعاً ، وكان وروده متنوعاً سواء أكان على مستوى الجملة المعترَضة أم الجملة المعترِضة .

- وقع الاعتراض فى شعر شوقى بين عناصر الجملة الاسمية ، وعناصر الجملة الفعلية ، وكان بين عناصر الاسمية أكثر من وقوعه بين عنصر الفعلية ، إذ كان وروده مع الأولى فى (٢٩٧) موضعاً ، ومع الثانية فى (٢٦٦) موضعا .

- تنوع الاعتراض فى شيوعه بين عناصر الجملة الاسمية ، إذ ورد بين المرتبة العناصر فى (١١٣) موضعاً ، وبين غير المرتبة عناصرها فى (٥٧) موضعاً. والمنسوخة بفعل ناسخ فى (٣٩) موضعاً ، والمنسوخة بحرف ناسخ (٣٦) موضعاً ، والمعطوف والمعطوف عليه (٣٢) موضعاً ، والصفة والموصوف (١٦) موضعاً ، والبدل والمبدل منه (١) موضع واحد ، والصلة والموصول (٣) مواضع ، ولم يقع لنا بين الجار والمجرور ، أو الصفة والموصوف بجملة اسمية ، أو المبتدأ أو الخبر حين يكون جملة اسمية .

- كان شبه الجملة الجار والمجرور أكثر شيوعاً من شبه الجملة الظرف ، كما شاع الاعتراض بين عناصر الجملة المنسوخة بـ « كان » أكثر من النواسخ الفعلية الأخرى ، كما شاع الاعتراض بين عناصر الجملة المنسوخة بـ «إنَّ» أكثر من بقية النواسخ الحرفية .

- تنوعت مواضع الاعتراض بين مكونات الجملة الفعلية ، واختلفت العناصر التى فُصل بينها ، إذ تبين أن أكثر العناصر التى وقع بينها الاعتراض تتمثل فى الاعتراض الواقع بين الفاعل والمفعول (٥٦) موضعاً ، يليه ما بين الفعل والفاعل (٣٦) موضعاً ، ثم بين الفعل والمفعول (٢٣) موضعاً ، ثم بين الفاعل المؤخر والمفعول المقدم (١٥) موضعاً ، ثم بين المفعول والجار والمجرور (١٤) موضعاً ، يليه ما بين الفاعل والجار والمجرور (١٣) موضعاً ، ثم الفعل ونائب الفاعل (١٢) موضعاً ، ثم بين المفعول الأول والثانى (٩) مواضع ، وبين الفاعل والحال (٦) مواضع .

- فى إطار الجملة الإنشائية شغل الاعتراض مواضع متعددة بين عناصرها ، واختلفت حالاته من حيث الشيوع ، إذ يمثل الاعتراض فى تركيب

الاستفهام (٢٥) موضعاً ، ثم بين النداء ومطلوبه (٢١) موضعاً ، ثم بين الطلب وجوابه (١٦) موضعاً ، ثم بين الشرط وجوابه (١١) موضعاً وبين القسَم والمقسم عليه (٩) مواضع ، ويفهم من مجموع هذه المواضع أن أنماط الجملة الإنشائية تمثل مجتمعة نسبة شيوع واضحة بالنسبة لأحوال الجملة الأخرى .

- كانت التراكيب المعترِضة متنوعة بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، وشبه الجملة ، والكلمة الواحدة غير المسندة . ولوحظ أن الجملة الفعلية المعترِضة أكثر من الجملة الاسمية ، إذ بلغ مجموعها (٢٩٤) والاسمية (١٧٧) وشبه الجملة (٨٦) والكلمة الواحدة (٦) . وقد وزعت الفعلية بين الشرط (١٣٩) موضعاً ، والنداء (٩٠) موضعاً ، والفعلية الخبرية (٥٩) موضعاً ، والقسم - وهو مشترك بين الفعلية والاسمية - (٢٦) موضعاً . كما وزعت الجملة الاسمية بين المنسوخة وغير المنسوخة ، فغير المنسوخة جاءت فى (١٥٣) موضعاً ، والمنسوخة فى (٢٤) موضعاً ، ولوظ أن (١٦٢) موضعاً كان الخبر فى الجملة الاسمية مفرداً ، وأن (١٥) موضعاً كان جملة فعلية .

- فى إطار شبه الجملة المعترِضة كان الجار والمجرور فى (٥٨) موضعاً ، والظرف فى (٢٨) موضعاً ، والاعتراض بكلمة واحدة أقل أنواع ما اعترض بين المتلازمين ، إذ ورد فى (٦) مواضع ، وفى هذا دليل على أن الاعتراض بالجملة التامة أكثر استخداماً وشيوعاً .

- لا اعتراض بلا دلالة ولا معنى ، فالاعتراض بين المتلازمين ليس من باب المصادفة أو زخرفة الجملة ، وتحميلها معنى أكثر مما تستحق ، فكل كاتب أو متكلم يلجأ إليه لغرض معين ، وحاجة ملحة توجبها طبيعة التركيب

اللغوية من جانب ، وإيصال معنى معين إلى القارئ من جانب آخر . وتتعدد الدلالات والمعانى التى تأتى لها بتعدد تراكيب الاعتراض وتنوعها.

- فى شعر شوقى ظهرت معان عدة للتراكيب المعترِضة ، وهى معان سياقية يفسرها السياق الذى يرد فيه التركيب المعترِض ، وقد اختلفت هذه المعانى فى نسبة شيوعها ، فالمعنى الدال على التوضيح والتبيين ورد فى (٢٣٥) موضعاً ، والدال على التقرير فى (١٣٩) موضعاً ، والدال على التنبيه ومعان أخرى فى (٩٠) موضعاً ، والدال على التوكيد فى (٣٥) موضعاً، والدال على التحديد والتعيين فى (٢٨) موضعاً ، والدال على الحكمة فى (١٠) مواضع ، والدال على التقديس والتنزيه فى (٩) مواضع ، والدعاء بالشر أو الخير فى (٨) مواضع ، والإرشاد والتوجيه فى (٧) مواضع ، والتعجب فى (٢) موضعين .

- وأخيراً يمكن القول بأن الاعتراض فى شعر شوقى لم يكن على درجة واحدة من الشيوع والاستخدام فى أغراض الشعر المختلفة ، إذ لوحظ أن الاعتراض يشيع فى شعر الوصف والنسيب ، ويكثر فى شعر السياسة وما يتصل بالأحداث التاريخية والمناسبات الاجتماعية .

- يقل الاعتراض فى الشعر الغنائى وأحياناً يصل إلى حد الندرة ، وما يغنى من أشعار يتجنب ما فيه من اعتراض بقدر الإمكان . ولا يختلف شعر الرثاء كثيراً عن شعر الغناء فى قلة وقوع الاعتراض وعدم شيوعه فى قصائده ، وربما يكون ذلك راجعًا إلى أن الاعتراض زيادة وتفصيل وإطالة للجملة ، مما لا يتفق كثيراً وهدف هذين الغرضين .

المصادر والمراجع(1)

اولاً: المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير (ضياء الدين ت ٦٣٧ هـ)

- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر - تحقيق د. أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانه - ط ١/ ١٩٦٠ - نهضة مصر .

أحمد شوقى

- الشوقيات - ديوانه - ٤ أجزاء فى مجلدين ١٩٩٣ - مكتبة مصر - القاهرة .

أميل يعقوب

- المعجم المفصل فى شواهد النحو الشعرية - ط ١/ ١٩٩٢ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

د. بدوى طبانه

- علم البيان - ط٣/ ١٩٧٧ - الأنجلو المصرية - القاهرة .

البغدادى (عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣ هـ)

- خزانة الأدب - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - ط٢/ ١٩٧٩ - الهيئة المصرية العامة .

التهانوى (محمد أعلى بن على التهانوى ت ١١٥٨)

- كشاف إصطلاحات الفنون - مكتبة خيَّاط - بيروت - لبنان (د.ت) .

(*) اكتفينا هنا بإيراد المصادر والمراجع التى تردد ذكرها أكثر من مرة ، وما استخدم بشكل محدود فقد اكتفينا بإيراد بياناته كاملة فى كل هامش ورد فيه .

د. التيجانى بوريقة
- الالتفات - بحث منشور بمجلة جامعة الزيتونة بتونس - من ص ١٢١ إلى ص ١٣٢ - العدد الثانى ١٩٩٣ ، ومن ص ٤٧ إلى ص ٥٤ العدد الثالث ١٩٩٤ .

الجرجانى (عبد القاهر ت ٤٧١ هـ)
- المقتصد فى شرح الإيضاح - تحقيق د. كاظم بحر المرجان ١٩٨٢ - وزارة الثقافة والإعلام - بغداد .

د. جليل رشيد فالح
- فن الالتفات فى مباحث البلاغيين - بحث منشور بمجلة آداب المستنصرية بالجامعة المستنصرية - العراق - من ص ٦٣ إلى ص ٩٧ العدد التاسع ١٩٨٤ .

ابن جنى (ابو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ)
- الخصائص - تحقيق محمد على النجار - ط٣/١٩٨٦ - الهيئة المصرية - القاهرة .

أبو حيان (محمد بن يوسف على بن يوسف ت ٧٤٥ هـ)
- ارتشاف الضَّرب من لسان العرب - تحقيق د. مصطفى النماس - حـ١ - حـ٣/ ١٩٨٤ - ١٩٨٩ - مكتبة الخانجى - القاهرة .

الشيخ / خالد بن عبد الله الأزهرى
- شرح التصريح على التوضيح - عيسى البابى الحلبى بالقاهرة (د.ت).

الرضى الاستراباذى (رضى الدين محمد بن الحسن ت ٦٨٦ هـ)
- شرح الكافية - ١٩٨٥ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ٤٦٧ هـ - ٥٣٨ هـ)
- الكشاف - الطبعة الأخيرة ١٩٧٢ - مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة .

السكاكى (أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على ت ٦١٧ هـ)
- مفتاح العلوم - ط١/ ١٩٣٧ - مطبعة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة .

السلسيلى (أبو عبد الله محمد بن عيسى ٧١٥ - ٧٧٠ هـ)
- شفاء العليل فى إيضاح التسهيل - تحقيق د. الشريف عبد الله على الحسينى البركاتى - ط١/ ١٩٨٦ المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة - السعودية .

السيوطى (أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين ت ٩١١هـ)
- الأشباه والنظائر - تحقيق / طه عبد الرءوف سعد - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة (د.ت) .
- همع الهوامع - تحقيق وشرح / د. عبد العال سالم مكرم - دار البحوث العلمية - الكويت - ١٩٧٥م .

الشنوانى (أبو بكر بن اسماعيل ١٠١٩ هـ - ١٦١١ م)
- حاشيته على شرح مقدمة الإعراب لابن هشام - بعناية محمد شمام - ط٢/ ١٩٥٣ - منشورات دار الكتب الشرقية ، تونس .

الصبان (محمد بن على ١٢٠٦ - ١٧٩٢م)
- حاشيته على شرح الأشمونى، عيسى البابى الحلبى- القاهرة (د.ت) .

د. عبد العزيز عتيق
- علم المعانى ١٩٨٥ - دار النهضة العربية - بيروت - لبنان .

العطار (الشيخ / حسن محمد ت ١٢٥٠ هـ)
- حاشية العطار على شرح الأزهرية فى علم النحو - مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى - القاهرة (د.ت) .

العلوى (يحيى بن حمزة ت ٧٤٥ هـ)
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - بعناية سيد بن على المرصفى ١٩١٤ - مطبعة المقتطف - مصر .

أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ)
- المسائل الحلبيات - تحقيق د. حسن هنداوى - ط١/ ١٩٨٧ - دار القلم - دمشق .

ابن فارس (ابو الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ)
- الصاحبى - تحقيق السيد أحمد صقر ١٩٧٧ عيسى البابى الحلبى - القاهرة .

د. فخر الدين قباوة
- إعراب الجمل وأشباه الجمل - ط٤/ ١٩٨٣ - دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان .

القالى (أبو على إسماعيل بن القاسم ٣٥٦ هـ)
- الأمالى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (د.ت)

قدامة بن جعفر ت ٣٣٧ هـ
- نقد الشعر - تحقيق كمال مصطفى ١٩٦٣ - القاهرة .

ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله ت ٦٨٢ هـ)
- شرح التسهيل - تحقيق د. عبد الرحمن السيد ، د. محمد بدوى المختون - ط١/ ١٩٩٠ - دار هجر - القاهرة .

د. محمد حماسة عبد اللطيف

- فى بناء الجملة العربية ١٩٨٢ - دار القلم - الكويت .

محمد الهادى الطرابلسى

- خصائص الأسلوب فى الشوقيات - منشورات الجامعة التونسية ١٩٨١.

د. محمود السعران

- علم اللغة - دار الفكر العربى - القاهرة (د.ت) .

المرادى (بدر الدين بن قاسم بن عبد الله بن على (ت ٧٤٩ هـ))

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية بن مالك - تحقيق د. عبد الرحمن سليمان - ط٢/ ١٩٧٥ - مكتبة الكليات الأزهرية .

ابن المعتز (عبد الله ت ٢٩٦ هـ)

- البديع - تحقيق : كراتشوفسكى - دار الحكمة - دمشق (د.ت)

المنصف عاشور

- بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية ١٩٩١ - منشورات كلية الآداب بمنوبة - تونس .

د. نهاد الموسى

- الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية فى العربية - بحث من ص ١٤٥ إلى ص ١٧٥ منشور بكتاب الملتقى الدولى الثالث فى اللسانيات الذى عقد فى تونس فى الفترة من ١٨ - ٢٣ فبراير ١٩٨٥ - ونشر عام ١٩٨٦ العدد السادس من سلسلة اللسانيات .

ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين ت ٧٦١ هـ)
- اعتراض الشرط على الشرط - تحقيق د. عبد الفتاح الحمز - ط١/ ١٩٨٦ - دار عمّار - عمان - الأردن .
- مغنى اللبيب - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ)
- الصناعتين : الكتابة والشعر - تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم - ط١/ ١٩٥٢ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .

ابن يعيش (موفق الدين ت ٦٤٣ هـ)
- شرح المفصل - عالم الكتب - بيروت - لبنان (د. ت) .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

- Bloomfield, Language, London, Fourteenth impression, 1979.
- Dwight Badinger, Meaning and Form. Longman Group, London and New York, 1977.
- H. A. Gleason, Linguistics and English Grammer, U. S. A. 2d edition, 1965.
- Sideny Greenbaum and Randoph Quirk, A student's Grammer of the English Language, Longman Group, England, 1990.
- WinFred P. Lehman. Descriptive Linguistics, An introduction. Random House New Yourk, 2nd edition, 1976.